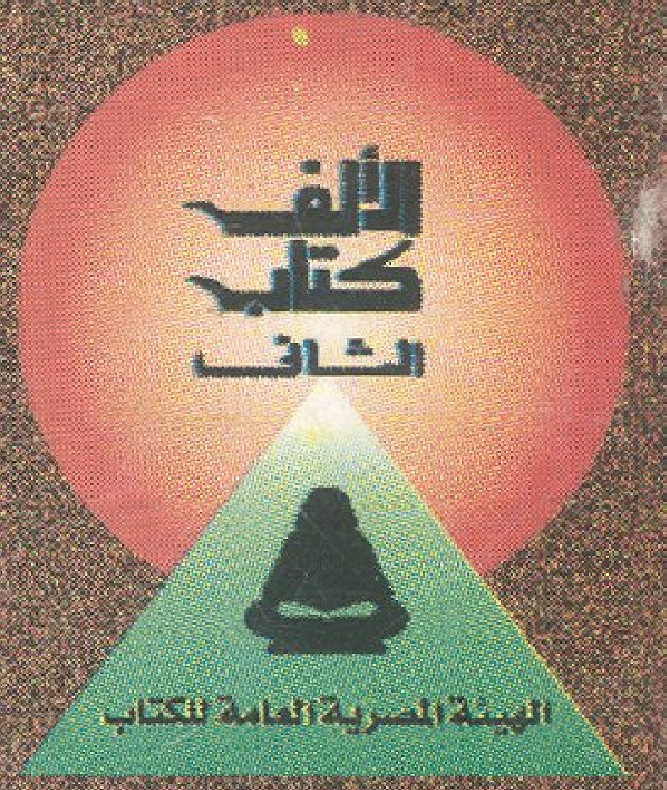


بربارة واترسون

أقباط مصر

ترجمة : إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم : د. مصطفى عبد الله شيحة

Barbara Watterson

Coptic Egypt

بربارة واترسون

أقباط مصر

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم

د. مصطفى عبد الله شيحة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٢

فهرس

مقدمة الطبعة العربيــة

يقدم هذا الكتاب المترجم الى القارىء العزيز معلومات وفيرة متلاحقة في جانب من جوانب الحياة المصرية لأقباط مصر شاملا الجوانب التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والفنية لفترة طويلة منذ العصر الاغريقي وحتى الآن ، في عرض متواصل دل على خبرة وثقافة المؤلفة الدكتورة بربارة واترسون ٠

فالكتاب يتكون من ثمانية فصول ، بالاضافة الى قائمة المصــادر والمراجع التي اعتمدت عليها المؤلفة مع ما أضافه المترجم من فهرس أبجدى لأسماء الاعلام ٠ وقد تنوعت فصول الكتاب الى حد كبير بدءا من الفصل الأول الذى اشتمل على عرض للوضـــع السياسى للاغريق في مصر ٠ وهى حقبة طويلة جمعت أحداثها المؤلفة ، وقد تناولت خلالها صدامهم مع الفرس ووصول الاسكندر الأكبر الى مصر ، وما كان من أمره وتخطيط مدينة الاسكندرية ثم حروبه ومغادرته الاسكندرية ، ثم الأحداث السياسية التى أعقبت وفاته حتى آلت مصر الى حكم البطالمة ثم الرومان مدعمة كتاباتها بالنصوص المختلفة ٠ والحق أن المؤلفة تعرضت في هذا الفصل الى أحداث كثيرة ٠

وفى الفصل الثانى من الكتاب ، أبرزت المؤلفة أوضاع المسيحية في مصر حتى سنة ٣٠٣ م ، وكانت سنوات مليئة بالاضطهادات الدينية في كل أرجاء الامبراطورية الرومانية عامة ، وفى مصر خاصة ، قاسى فيها الذين اعتنقوا المسيحية أهوالا عظيمة ، حيث كان الانخراط في المسيحية يعد

جريمة فى كافة أنحاء الامبراطورية • وقد شهدت هذه الفترة استشهاد جموع كبيرة منهم فى سبيل العقيدة الجديدة • وقد أشارت المؤلفة الى دخول المسيحية فى مصر على يد القديس مرقس الانجيلى •

أما الفصل الثالث من الكتاب ، فقد أفردته المؤلفة لأحوال المسيحية فى مصر حتى سنة ٤٤٤ م بدءا من عصر الامبراطور دقلديانوس بأحداثه السياسية واضطهاده الدينى الكبير للمسيحية ، حيث كان الاضطهاد الذى قام به هذا الامبراطور قد فاق كل الاضطهادات الدينية السابقة وترتب على ذلك سقوط أعداد كبيرة من الأقباط فى مصر شهداء • ومن المعروف أنه بدءا من هذا الاضطهاد الكبير اختار أقباط مصر اسما علما جديدا ليميزهم عن مسيحيى العالم وهو الأقباط وتقويما جديدا بل وفنا مميزا جديدا لهم يخالف العهد الرومانى فى مصر • وقد بدأت أحداث الاضطهادات الدينية تضمحل بعد وفاة دقلديانوس ، وخاصة عندما ظهر الامبراطور قنسطنطين الكبير وبدأت الأمور فى الاستقرار تدريجيا • وقد عرضت المؤلفة فى هذا الفصل لكثير من الأحداث الدينية المتعلقة بالمجامع الدينية فى هذه الفترة وما صاحبها من آراء مختلفة بين الكنيسة المصرية ، والكنيسة الغربية •

وقد تعرضت المؤلفة بعد ذلك فى الفصل الرابع للحديث عن المسيحية فى مصر حتى سنة ٦٤٢ م من خلال الحديث عن بطاركة مصر ، وما جرى من عقد مجامع دينية ، وما كان من انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة المسيحية الأم من خلال الجدل حول طبيعة السيد المسيح ودخول الفرس مصر وخروجهم ثم بدء الفتح الاسلامى •

ثم تناولت المؤلفة الحركة (الديرية) فى مصر فى الفصل الخامس ، ومن المعروف أن مصر هى التى قدمت للعالم المسيحى كله أسس ونظم الحركة الديرية من خلال بدايات حركة الرهبنة فى مصر ، ومدى ما قدمه آباء ورهبان مصر من قيم • وقد أفاضت المؤلفة فى ذكر كثير من أحوال رهبان مصر ونظمهم وحياتهم وذكر الآباء الأوائل فى الصحراء ، مع ترجمة

لحياتهم وذكر لبعض معجزاتهم وذكر الأديرة الباخومية والقواعد التي تحكم حياة الرهبان ، بالاضافة الى الرهبنة في مصر السفلى ، وخاصة منطقة وادي النطرون ٠

وقد أفاضت أيضا المؤلفة في الفصل السادس من الكتاب في الحديث عن آباء الكنيسة القبطية بمناهجهم المختلفة ، وابراز بعض النصوص التي تحدثت عن مناهج حياتهم ومعاناتهم ٠

أما الفصل السابع ، فقد تعرضت فيه المؤلفة لذكر الأديرة العامرة في مصر في القاهرة وفي الوجهين القبلي والبحري فتحدثت عن دير الأنبا أنطونيوس وملحقاته ومغارته ودير الأنبا بولا ، ودير المحرق ثم أديرة وادي النطرون كدير البراموس ودير القديس مكاريوس ودير الأنبا بيشوى ودير السريان ثم دير الأنبا صموئيل في الفيوم ودير أبو مينا غرب مدينة الاسكندرية ٠

هذا ، وقد قدمت المؤلفة في الفصل الثامن معلومات لا بأس بها عن اللغة والفنون والعمارة القبطية ، وقد شملت هذه المعلومات جوانب اجتماعية من حياة اقباط مصر مثل عقود ووثائق الزواج والمعاملات التجارية ، وان كانت لم تبرز الفن القبطي في مواده المتنوعة والمتعددة وان تحدثت عن المنسوجات القبطية وكذلك المنحوتات ونماذج من بعض الكنائس القبطية وطرزها وعناصرها في الكنائس المنفردة ، وكنائس الأديرة وأتبعت ذلك بالحديث عن العناصر المعمارية المكونة للدير ٠

وانني على ثقة من أن هذا الكتاب الذي تقدمه للقارىء انما يحوى موضوعات تاريخية وسياسية ودينية وفنية كثيرة ومتنوعة ، تنقلت فيها الكاتبة من موضوع لآخر من وجهة نظرها ٠ وفي اعتقادنا أن هذا الكتاب المترجم يعد شهادة طيبة من سيدة غير مصرية لشعب مصر بتاريخه العظيم والمتواصل الذي يحتضن كافة المذاهب والأديان ، ويوفر لها حرية العبادة بمساواة كاملة لكل الذين يعيشون على أرض مصر ٠

وبعد ، فقد بقيت كلمة شكر وتقدير لمترجم هذا الكتاب العلامة الأستاذ ابراهيم سلامة الذى بذل جهدا مضنيا فى ترجمة نصوصه ، فقد كان رجلا دقيقا غيورا على بلده من كتابات الأجانب • وقد لاحظت ذلك من خلال النص الانجليزى للكتاب ، وتعليقات واضافات السيد المترجم وتحقيقه للتواريخ الخاصة بالكنيسة المصرية ، واستقامة وسهولة أسلوبه رغم صعوبة النص ، ولا غرابة فى ذلك ، فللمترجم باع طويل فى الترجمة من خلال ما قدمه للمكتبة العربية من ترجمات •

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

أ• د• مصطفى عبد الله شيحه

القاهرة فى ٢٤ صفر ١٤٢١ هـ
٢٨ مايو ٢٠٠٠ م

تصـــــدير

« قضيت فترة طويلة ومعى القائمون على مشروع « الألف كتاب الثانى » فى البحث عن كتاب يعرض لتاريخ ، وحياة المصريين فى العصر القبطى الذى يمتد من بداية القرن الأول الميلادى ويستمر حتى اليوم ، عرضا شاملا بمعنى عدم الاكتفاء بالناحية السياسية وانما بتجاوزها الى عرض بقية النواحى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية والفنية وغيرها من النواحى التى تؤثر فى تشكيل الحياة اليومية . وأخيرا عثرنا على هذا الكتاب الذى يقدم بانوراما واسعة ، وتعريفا شاملا لحياة الأقباط أى المصريين فى العصر القبطى » . وقد أصرت المؤلفة على اطلاق اسم الأقباط على أهل مصر الذين ينحدرون عن قدماء المصريين نظرا لوجود آخرين من الاغريق وغيرهم من الجنسيات التى عاشت فى مصر وأطلقت على نفسها صفة واسم المصريين .

وانني أحسد المؤلفة لقدرتها العجيبة على تغطية هذه الفترة الزمنية الطويلة التى تستغرق عشرين قرنا من الزمان ، بهذا الايجاز العجيب الذى نؤكد على أنه ايجاز شـــامل ومانع . مؤلفة الكتاب الدكتورة بربارة واترسون درست علم المصريات بجامعة ليفربول وعملت محاضرة فى هذا العلم بهيئة تقديم المحاضرات الجامعية لغير طلبة الجامعة التى يطلق عليها اسم : Department of Extension Studies . وهى الآن محـــاضرة مستقلة فى علم المصريات وأســتاذة زائرة تلقى محاضراتهـا على أفواج الرحلات السياحية للشركتين المعروفتين باسم : Swan Nile and Hellenic Cruises . وللمؤلفة كتابان آخران هما :

الأول هو : Introducing Egyptian Hieroglyphs

والثانى هو : More about Egyptian Hieroglyphs

والكتاب الثانى منهما يقدم تبسيطا لقواعد النحو في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) • أما هذا الكتاب الذى نقدم ترجمته الآن فقد بدأته بالحديث عن أحوال مصر فى العصر البطلمى ثم عرض للفتح الرومانى وتحويل مصر الى ولاية رومانية تمد روما بالقمح ، وغيره من المحاصيل التى اعتمد عليها الرومان فى تحقيق الازدهار للامبراطورية الرومانية •

واستمرت المؤلفة فى الحديث عن مصر وشعبها القبطى موضحة الكيفية التى دخلت بها المسيحية الى مصر ، مع عرض لظروف الاضطهادات والشقاقات الدينية التى أدت الى انفصال الأقباط المصريين وكنيستهم القبطية (أتباع مذهب الطبيعة الواحدة) عن بقية العالم المسيحى الذى تبع معظمه مذهب الطبيعتين فى مجمع خلقيدونية • ولن استمر فى عرض محتويات الكتاب لأن هذا الدور من الأفضل أن يقوم به القارىء بنفسه • ولكننى أعرض لبعض الملحوظات :

١ ـ عندما كنت أستعرض الخلافات الدينيــة وما أدت اليه من مواجع ومذابح ضـد الأقباط لفت نظرى مقال للدكتور محمود حمدى زقزوق ، وزير الأوقاف نشر فى جريدة الأهرام على صفحتها العاشرة بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٩٩ ، تحت عنوان : الاسلام وحوار الأديان • وبعد قراءة المقال رأيت أن أقتبس منه هذه الفقرة البليغة التى ختم بها المقال وهى :

« **وهناك ملاحظة أخيرة تتلخص فى أنه اذا أريد اجراء حوار مثمر بين الأديان ، والوصول الى تعاون مشـــترك فيما بينها فانه لا يجوز للمتحاورين أن يستعيدوا ـ دائما فى ذاكرتهم وحواراتهم ـ عوامل الكراهية القديمة ، والعقد الموروثة من ازمان غابرة ، واحياؤها من جديد ، بل ينبغى ، بدلا من ذلك ، أن يتبنى الجميع فكرا ايجابيا يسعى الى بناء مستقبل مشرق ينعم فيه العالم بالسلام • اننا نواجه**

اليوم أجيالا جديدة ، وعوالم جديدة ، لم يكن لها ذنب فى أى ظلم وقع فى العصور السابقة ، كما أنه ليس لها فضل فى الأعمال الايجابية للأجيال السابقة أيضا . وما تحتاجه منا هذه الأجيال الجديدة هو أن نتيح لها الفرص المناسبة لبناء حياة مثمرة ، وان نساعدها في الوصول الى ذلك . وعلى قادة الأديان فى العالم أن يبرهنوا على مصداقيتهم ، ويتحملوا مسئوليتهم فى توعية أتباعهم بكل ما يحيط بعالمنا من مخاطر ، والتعاون فيما بينهم عن طريق الحوار فى انقاذ البشرية من كل ما يتهدد وجودها فى الحاضر ، وفى مستقبل الأيام » .

صدقت يا دكتور زقزوق ، وأنا من جهتى سألتزم بنصيحتك هذه ولن أعرض للمآسى والمذابح التى تعرض لها الأقبــاط من أتباع روما وبيزنطة المنادين بمذهب الطبيعتين ، وأقول لأصحاب المذاهب المختلفة ما قلته أنت لأصحاب الأديان المختلفة ، ويتلخص فى جملة قصيرة مؤداها أن ينسى الجميع الماضى ، ونعمل معا على انقــاذ العالم من ويلات الحروب بأنواعها وسيطرة المادة بكافة أسلحتها .

٢ ـ أخذت على المؤلفة وغيرها من المؤلفين الغربيين اهتمــامهم بالشكليات وتجاهلهم للروحانيات . وأقول ان على اخوتنا الغربيين أن يدرسوا الروحانية القبطية الأرثوذكسية بعمق وتجــرد لأنها ستفسر لهم كافة ما عجزوا عن فهمه من التاريخ والتراث والأدب والفن القبطى . . .

٣ ـ لم أستطع أن أقدم تفسيرا لكافة الرموز والمصطلحات القبطية التي وردت بالكتاب ، اكتفاء بما قدمته من مجهود سابق في هذا الصدد عندما أضفت الى ترجمة الجزء الثانى من كتاب : الكنائس القبطية القديمة في مصر ـ لمؤلفه الرحالة ألفريد جوشوا بتلر ملحقا بالمصطلحات القبطية بالكنيسة الأرثوذكسية . وأنا أحيل القارىء الى هذا الملحق لمعرفة كافة الاصطلاحات الكنسية المستخدمة بالكنيسة القبطية .

اما عن عظمة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : كنيسة المصريين فيكفي لبيان هذه العظمة ما نراه الآن من مسارعة أتباع الكنائس الغربية من المصريين الى اضافة كلمة « الاقباط » الى أسماء مذاهبهم الأجنبية . أسأل الله أن يجعل فى هذه الترجمة فائدة لجميع المصريين وغير المصريين من القراء الذين يبحثون عن الحقيقة ، ويسعون الى وضع كافة الأمور فى نصابها .

ويسعدنى أن أنوه فى نهاية هذا التصدير بالجهد العظيم الذى بذله الأستاذ الدكتور مصطفى شيحة فى مراجعة هذه الترجمة شاكرا له تعبه وتقريظـه لشخصى الضعيف جزاه الله عني وعن كل الذين يتعاون معهم كل خير .

ابراهيم سلامة ابراهيم

القاهرة فى ١٦/١١/١٩٩٩ م

تنـــــويه

كنا نتمني أن يشاهد معنا صـــدور هذا الكتاب المراجع الدكتور مصطفى عبد الله شيحة وكيل كلية الآثار جامعة القاهرة ، ولكن شاءت ارادة الله ان ينتقل الى العالم الباقي ، ونحن نسال له الرحمة الواسعة ، ولأسرته وزملائه وتلاميذه الصبر والسلوان ، ويكفيه ما تركه من أثر في النفوس وأعمال محفوظة على مدى التاريخ .

ابراهيم سلامة ابراهيم

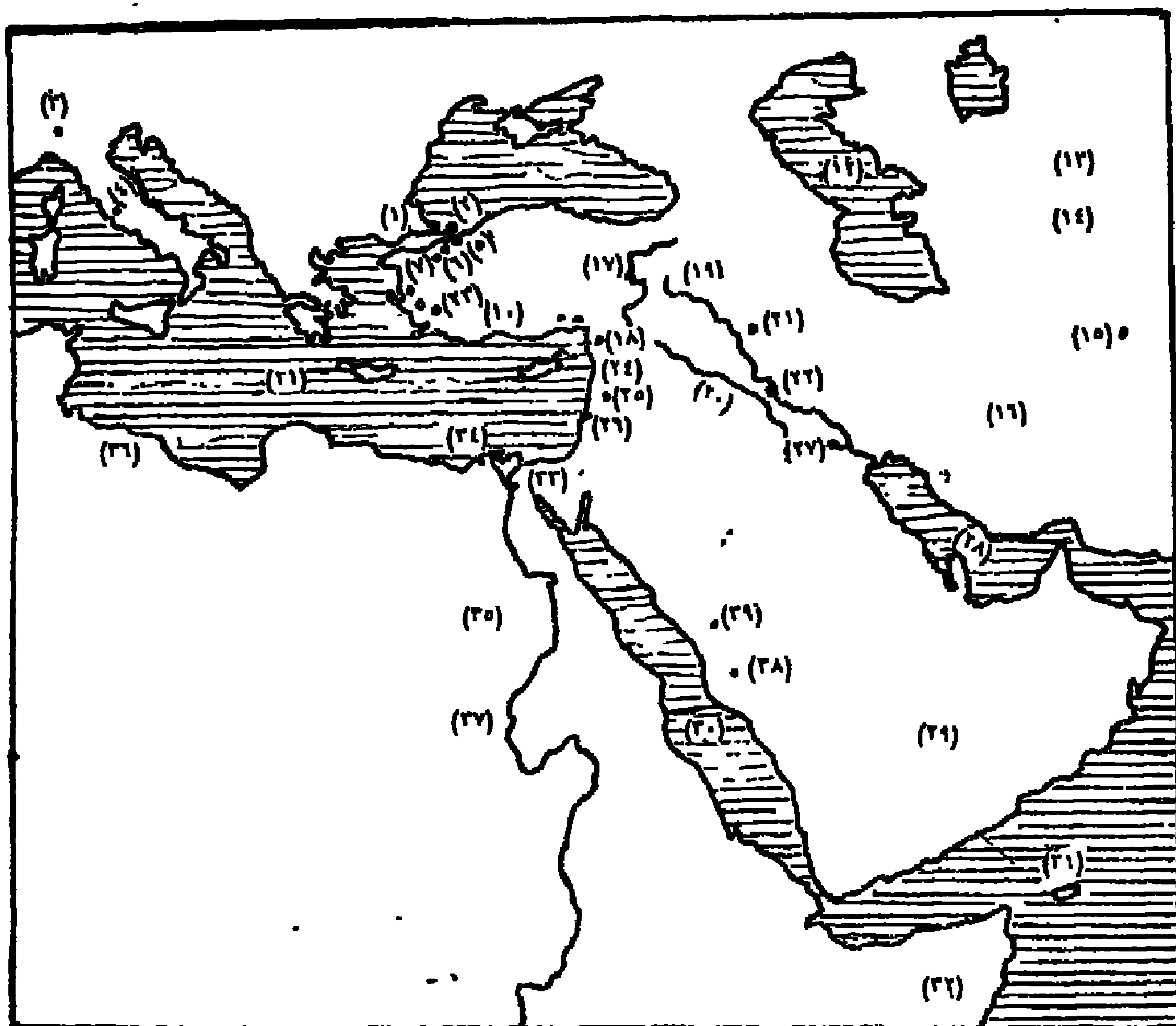
مقدمة الطبعة الانجليزية

اشـــتقت كلمـة « قبط » من الكلمـة اليونانيـة « أيجيبتيوس Aiguptious » ، وهى صفة تكونت من الاسم « أيجيبتوس Aiguptos » واستخدمت أصلا لتدل على سـكان مصر الوطنيين ، للتمييز بينهم وبين الاغريق وغيرهم من الأجانب الذين عاشوا فى البلد · وبعد فتح مصر سنة ٦٤٠ للميلاد حرف العرب كلمة « أيجيبتوس » الى « قبط » التى تنطق Copt بالانجليزية ، واستخدموها للدلالة على السكان المسيحيين الأصـليين الذين كانوا يشـكلون الأغلبية حينذاك ، ومع حلول القرن السادس عشر ، بدأ الأوربيون فى استخدام اصطلاح « قبط » للدلالة على سكان مصر من المسيحيين فقط · وفى ذلك الحين كان هذا القسم من السكان قد تناقص كثيرا بعد أن أصبحت الأغلبية مسلمين ، فاصـبح اصطلاح « قبط » يعنى ببساطة « المصرى » دون الارتباط بأى مضمون دينى · ثم اتخذ تدريجيا المعنى الأكثر تخصصا وهو « المصرى المسيحى » ·

الشرق الادنى والشرق الأوسط
خلال الفترة التى غطاها الكتاب

(انظر الخريطة)

(١) القسطنطينية	(٢) خلقيدونيـــة
(٣) ميـــلان	(٤) رومــا
(٥) نيقوميديا	(٦) نيقيـــة
(٧) جرانيكوس	(٨) ســـميرنا
(٩) أفسس	(١٠) ليـــديا
(١١) البحر الأبيض المتوسط	(١٢) بحر قزوين
(١٣) سوجديانا	(١٤) باكتوريـا
(١٥) حيراته	(١٦) فارس
(١٧) بيثينيـــا	(١٨) انطاكيـــة
(١٩) نهــر دجلة	(٢٠) نهر الفـرات
(٢١) جوجاميـــلا	(٢٢) بغـــداد
(٢٣) ساردس	(٢٤) ســـوريا
(٢٥) دمشـــق	(٢٦) صـــور
(٢٧) بابــل	(٢٨) الخليج العربى
(٢٩) شبه الجزيرة العربية	(٣٠) البحــر الأحمر
(٣١) المحيط الهندى	(٣٢) اثيوبيـــا
(٣٣) القـــاهرة	(٣٤) الاســـكندرية
(٣٥) مصر	(٣٦) ليبيـــا
(٣٧) نهـــر النيل	(٣٨) مـــكة
(٣٩) المدينـــة	

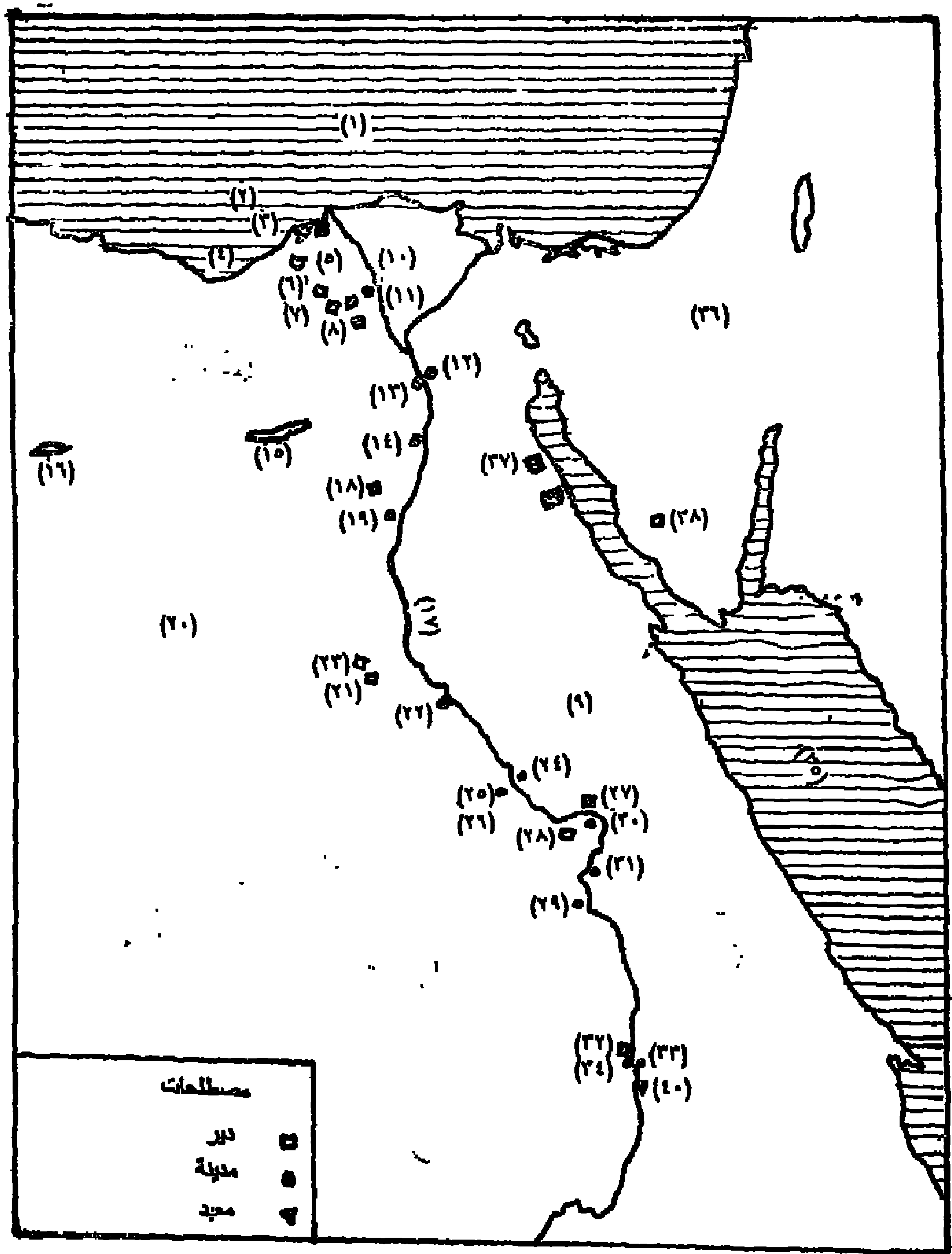


شكل رقم (١) : الشرق الأدنى والشرق الأوسط خلال الفترة التي غطاها الكتاب .

المواقع القبطية الرئيسية فى مصر

(انظر الخريطة)

(١) البحر الأبيض المتوسط	(٢) الاسكندرية
(٣) بحيرة مريوط	(٤) دير مارمينا
(٥) وادى النطرون	(٦) دير البراموس
(٧) دير السريان	(٨) دير الأنبا مكاريوس
(٩) الصحراء الشرقية	(١٠) طوخ دلكة
(١١) كفر داود	(١٢) القاهرة
(١٣) ممفيس	(١٤) بوش
(١٥) واحة الفيوم	(١٦) واحة سيوة
(١٧) نهر النيل	(١٨) دير القديس صموئيل
(١٩) البهنسا	(٢٠) الصحراء الغربية
(٢١) دير المحرق	(٢٢) أسيوط
(٢٣) باويط	(٢٤) اخميم
(٢٥) سوهاج	(٢٦) الدير الأبيض والدير الأحمر
(٢٧) تابنيسى	(٢٨) تشينوبوسكيون (نجع حمادى)
(٢٩) اسنا	(٣٠) دندرة
(٣١) الأقصر (طيبة)	(٣٢) دير القديس سمعان
(٣٣) أسوان	(٣٤) الفنتين
(٣٥) البحر الأحمر	(٣٦) سيناء
(٣٧) دير الأنبا أنطونيوس	(٣٨) دير سانت كاترين
(٣٩) دير الأنبا بولا	(٤٠) فيلة



شكل رقم (٢) المواقع القبطية الرئيسية فى مصر

١ ـ الاغريق فى مصر

لعبت مصر دورا مهما وحازما في تطور الكنيسة المسيحية المبكرة ، من حيث تقاليدهـا ولاهوتياتهـا • وبالرغم من أن للمصريين الوطنيين مساهماتهم الخاصـة التى نلحظها بوضوح فى حقل الرهبنة ، الا أن زعامتهم المؤثرة بشدة قد انبثقت أولا منذ دخول مصر في العصر الهلينستي بسبب تفوقها الفكرى المبكر في عالم الاسكندرية القديم • وعلى ذلك ، فقد كان لوجود الاغريق فى مصر أهمية حاسمة بالنسبة للدور الذى كان فى مقدور مصر أن تلعبه فى البدايات المبكرة للمسيحية •

كانت مصر ترحب بالاغريق على شواطئها قبل تأسيس الاسكندرية بعدة قرون ، بوصفهم مرتزقة فى البداية ، وتجارا فيما بعد ، بالرغم من أن التقليد (*) يذكر أن مينلاوس وهيلين كانا أول من وصل اليها بعد سقوط طروادة • وبعد حوالى ألفين وخمسمائة عام من تاريخها ، لم تعد مصر بحاجة الى المرتزقة الأجانب ، لأنه بصرف النظر عن الفترة القصيرة التى جاءت خلالها جماعة من الأجانب عرفت فيما بعد باسم « الهكسوس » وتسللت من الشرق ، وحكمت شمال مصر ، فقد عاشت مصر آمنـة وراء حدودها •

(*) التقليد هو الاحداث والتعاليم والاقوال الموروثة عن رسل المسيح وتلاميذه وهى تتميز بانها شفهية لشرح وتفسير ما ورد مدونا فى الأناجيل والأسـفار الاخرى التى فى العهد الجديد ـ (المترجم) •

احتل الاشوريون مصر سنة ٦٧١ ق٠م ٠ وعينوا الملك الألعوبة « بسماتيك الأول » في سنة ٦٦٤ ق٠م ٠ ولكن مع حلول سنة ٦٥٨ ق٠م٠ استقل بسماتيك عن أشور التي تصارعت مع قوة بابل الناشئة ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا لم تعد مصر منعزلة عن الأحداث التي تجري في الشرق الأدنى ، وأصبح من المحتم عليها الانسياق في الصراعات التي ثارت مع سقوط القوى القديمة وبزوغ فجر القوى الجديدة ٠ وكان بسماتيك الأول هو أول ملك مصري يستخدم الاغريق كمرتزقة ، وهي عادة كانت منتشرة في العالم القديم ، ولم تكن هناك أية دولة قادرة على شن حرب ضد أعدائها بدون مساعدتهم ٠

وأثناء حكم أبريز (ملك مصر في الفترة ما بين عامي ٥٨٩ ــ ٥٧٠ ق٠م٠) تم أسر اليهود الى بابل ، فبحث الكثيرون منهم عن ملجأ لهم في مصر ٠ وبعد مرور قرن من الزمان أقيمت مستعمرة يهودية في الفانتين ، وهي جزيرة في النيل على حدود مصر الجنوبية (مقابل مدينة أسوان الحديثة) ، كما انتشر المستوطنون اليهود في كافة أنحاء مصر ٠ وربما كان بعضهم أحفادا لأولئك الذين أقاموا في الاسكندرية ٠ وفي سنة ٥٧٠ ق٠م ، أرسل أبريز جيشا مصريا الى قورينة (مدينة شحات الحالية التي تقع على بعد ١٦٥ كيلو مترا من بنغازي) لمساعدة الاغريق الذين أقاموا مستعمرة هناك سنة ٦٣٠ ق٠م٠ أثناء قتالهم مع ليبيا ٠ وقد هزم الجيش تلك الهزيمة التي ألقيت تبعتها على أبريز ، وتسببت فيما بعد في إثارة الغضب نتيجة لغيرة المصريين من المهاجرين الاغريق الذين واصلوا الاستقرار في مصر منذ أيام بسماتيك الأول ٠ واتهم أبريز بمنحهم امتيازات عديدة ، خاصة الذين كانوا يعيشون منهم في نوكراتيس (النوبارية حاليا) وهي المركز التجاري الذي أنشأه الاغريق في غرب الدلتا ٠ وتلا ذلك عامان من الحرب التي قادها قائد مصري يدعى أمازيس الذي خلع أبريز سنة ٥٦٨ ق٠م ٠ ونفاه من البلاد ٠ وبعد عام واحد عاد أبريز من المنفى في حماية جيش بابلي أمده به نبوخذنصر ، ولكنه هزم وقتل تاركا أمازيس يحكم بدون منازع حتى موته سنة ٥٢٦ ق٠م٠

واتخذ أمازيس خطوات لاسترضاء رعاياه المصريين بتحديد اقامة التجار الاغريق فى نوكراتيس وتجميع المرتزقة الاغريق فى مدينة ممفيس (المصرية) فقط ، وركز الجيش المصرى على حدود مصر ، ثم ظهرت عند نهاية حكمه قوة جديدة .

كانت بابل قوة منهكة يحكمها ابن بيلشاصر واسمه نابونابيد نيبونيدوس ، المعروف بأنه « عالم الآثار » بسبب ميله لدراسة الأطلال القديمة مما أضر بواجباته كملك . أما القوة الجديدة فهى فارس ، وقد شكلت مصر تحالفا مع بابل ، وليديا ، واسبرطة ضدها . ولما كانت اسبرطة عاجزة عن تقديم المساعدة بسبب بعدها جغرافيا ، فقد سقطت بابل فى يد الفرس سنة ٥٣٩ ق.م. وفى سنة ٥٢٥ قام قمبيز ملك فارس بغزو مصر نفسها ، وساعده ، فى ذلك ، مروق القائد الاغريقى فانيس الذى ترك مصر حاملا معه الرسوم التخطيطية للطرق التى تخترق الدلتا

وحكم الفرس مصر لمدة ١٢٠ عاما تالية ، وأدمجوا الجيش المصرى فى الجيش الفارسى ، واستخدموا الأسطول البحرى المصرى الضخم الذى أبلى بلاء حسنا ضد الاغريق . وفى سنة ٤٩٠ ق.م. هزم الفرس فى موقعة ماراثون . وقضى الجزء الغربى من الدلتا على وجه الخصوص ٨٠ عاما فى حالة تمرد ضد الحكم الفارسى ، وكان يتلقى العون من البلدان الاغريقية فى مقابل الحبوب . وفى سنة ٤٠٤ ق.م استطاع أميراتيوس الذى من سايس تحرير الدلتا من الفرس ، ثم طرد الفرس من مصر نهائيا فى سنة ٤٠٠ ق.م. وقضت مصر مرة أخرى ٥٩ عاما تحت حكم الملوك الوطنيين الذين كانوا يتلقون النصح من المستشارين الاغريق . وظل المرتزقة الاغريق يعملون فى الجيش المصرى ، ولكن هؤلاء المرتزقة الجدد كانوا يختلفون عن السابقين فى أنهم لم تكن لديهم نية الاستقرار فى مصر ، وكانوا يوجهون اخلاصهم فقط لمن يدفع الأجر الأكبر .

وفى سنة ٣٨٥ ق.م. دخل الفرس مصر مرة أخرى ، فوجدوها موحدة وتعيش فى ازدهار مع جيش يقوده أعظم قادة عصره وهو تشابرياس

الاغريقى • أنشأ تشابرياس نظام دفاع قويا فى الدلتـا ، ولذلك فشل الفرس فى محاولتهم قهرها ، تلك المحاولة التى استمرت على مدى ثلاث سنوات • وخلال حكم نختانيبو الثانى (٣٥٩ ـ ٣٤١ ق•م •) آخر ملوك مصر الوطنيين عاد تشابرياس الى أثينا • وحاول الفرس معاودة الغزو مرة أخرى ، ولكنهم هزموا فى هذه المرة على يد جيش مصرى يسانده المرتزقة الاغريق بقيادة قائد اسبرطى هو أجيسيلاوس • وعلى كل حال فقد شن الفرس هجوما آخر فى سنة ٣٤١ ق•م بجيش مكون من ٣٠٠ ألف رجـل و ٣٠٠ سفينة حربية فى مواجهة جيش مكون من ٦٠ ألف مصرى ، و ٢٠ الف اغريقى ، و ٢٠ ألفـا من المرتزقة الآخـرين • وقد هزم المصريون ، وتلا ذلك مرور عشر سنوات من الحكم الفارسى الجائر عومل المصريون خلالهـا بقسوة أشـد مما سبق ولم يزد وضعهم عن كونهم مصدرا للحبوب ، حتى مجىء الاسكندر الأكبر الذى لم يعتبره المصريون غازيا بل محررا لهم من حكامهم الفرس أصحاب الأمر والنهى •

اعتلى الاسكندر الثالث (الأكبر) عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ ق•م• ولم يتجاوز عمره العشرين عاما • وبعد انتخابه قائدا لجيش الاغريق بعامين ، اخترق آسيا الصغرى بجيش قوامه ٣٥ ألف رجل من المقدونيين والاغريق لشن الحرب ضد فارس ، وهزم داريوس الثالث ملك فارس فى معركـة عند نهر جرانيـكوس شرق طروادة ، حيث فر داريوس من ميدان المعركة ، وبعد ذلك فتحت مدن آسيا الصغرى بواباتهـا للاسكندر • وفى سنة ٣٣٣ ق•م • هزم الاسكندر داريوس للمرة الثانية فى معركة اسوس شرق جبال طوروس فى كيليكية ، وفر داريوس للمرة الثانية وشق طريقه الى نهر الفرات ، ولكن أمه وزوجته وأطفاله وقعوا فى أسر الاسكندر • ولم يتبع الاسكندر داريوس ولكنه بدلا من ذلك تقدم الى فينيقية حيث تسلم خطابا من داريوس يعرض فيه السلام • ورد الاسكندر قائلا انه اذا حضر داريوس اليه فسيرد اليه ليس فقط أسرته بل أيضا امبراطوريته • ولم يقبل داريوس هذا العرض المهين ، فتقدم الاسكندر للاستيلاء على دمشق ، وكافة المدن بساحل البحر الأبيض

المتوسط ، فيما عدا مدينة صور التي قاومته لمدة سبعة أشهر ، ولم تستسلم الا بعد الهجوم الساحق عليها في ٢٠ أغسطس سنة ٣٣٢ ق٠م ٠

وقبل سقوط صور بقليل أرسل داريوس رسالة أخرى للاسكندر يعرض فيها افتداء أسرته مقابل ١٠ آلاف تالنت ، وشروطا للسلم تضمنت التنازل للاسكندر عن كل آسيا الصغرى غرب الفرات ، واقامة تحالف يدعمه طلب يد ابنته للزواج ٠ وقدم الجنرال بارمينيون النصح للاسكندر قائلا : « لو كنت مكانك لقبلت هذا العرض » ، فرد عليه الاسكندر : « لو كنت مكانك يا بارمينيون لقبلت هذا العرض » ٠ وعلى أية حال فان الاسكندر أرسل الى داريوس ردا مختلفا وكتب اليه قائلا انه ليس في حاجة الى نقود داريوس ، وانه يمتلك الآن كل الأرض التي يعرض عليه داريوس نصفها ، وانه اذا رغب في الزواج من ابنة داريوس فانه سيفعل ذلك دون الحاجة الى اذن منه ، واذا رغب داريوس في اقامة تحالف فعليه أن يحضر ، ويطلب ذلك شخصيا ٠ وعلى ذلك ، فقد انطلق الى مصر التي كانت حسب ما ذكره أريان كاتب سيرته هي الهدف الأصلي لانطلاقه جنوبا ٠

ولو كان الاسكندر قد قبل بنصيحة بارمينيون لتغير مسار التاريخ ، ولتحقق توازن القوى بين اليونان وفارس بصرف النظر عن الاستقرار ٠ ولابد وأن ملكا أقوى كان سيظهر في فارس ويقلب هذا التوازن ٠ وبالرغم من امكانية ازدهار الحضارة الهلينية (*) في آسيا الصغرى غرب الفرات ، الا أنها لم تكن بقادرة على الوصول الى فارس والهند والشرق ٠ وكان على مصر ، حينذاك ، أن تظل جزءا مقهورا من أجزاء الامبراطورية الفارسية ٠ كما كان على الاغريق المصريين أن يعجزوا عن تقديم مساهمتهم الكبيرة خلال السنوات التي تشكلت فيها الديانة المسيحية ٠

وقد وصل الاسكندر الى مصر في أكتوبر سنة ٣٣٢ ق٠م ٠ ورحل في أبريل سنة ٣٣١ ق٠م ٠ أي بعد سبعة أشهر ٠ وخلال هذه الفترة

(*) كان يطلق على حضارة الاغريق قبل الاسكندر الاكبر اسم الحضارة الهلينية ٠ وبعد فتوحات الاسكندر والاختلاط بالحضارات الشرقية اصبحت تسمى الحضارة الهلينستية — (المترجم) ٠

القصيرة ترك بصمته على مصر ، كما أن مصر أيضاً تركت بصمتها عليه • عندما اقترب الاسكندر من ممفيس العاصمة القديمة لمصر خرج الحاكم الفارسي مزاكيس لاستقباله ، وأهدى اليه ٨٠٠ تالنت وكل الأثاث الملكي • أما في ممفيس نفسها فقد أهدى الكهنة للاسكندر منصب الملك • وفي ١٤ نوفمبر سنة ٣٣٢ توج الاسكندر ملكا على مصر العليا ومصر السفلى ، وعلى ذلك أصبح الها حسب التقليد المصرى •

وبذل الاسكندر جهدا كبيرا لاظهار احترامه للديانة المحلية ، فقد عرف آلهة مصر ، وقدم القرابين الى أبيس الثور الحى الذى تقدسه مدينة ممفيس رمزا للاله بتاح على العكس من أحد الفرس الذين سبقوه واسمه أوتشوس الذى قتـل أحـد عجول أبيس وأكله • وأمر الاسـكندر أيضا باعادة بناء المعبدين اللذين فى الكرنك والأقصر • أما بالنسـبة للاغريق المقيمين فى مصر فقد أقام لهم الألعاب الرسمية ، بما فيها من المنافسات الرياضية والأدبية •

وفى يناير سنة ٣٣١ ق٠م غادر الاسكندر ممفيس وأبحر فى الفرع الغربى (الكانوبى) من النيل ، قاصدا زيارة المركز التجارى الرئيسى القديم للتجارة الاغريقية وهو مدينة نوكراتيس ، وفى نيته أن يجعل منها مركز التجارة الرئيسى لشرق البحر الأبيض المتوسـط ، ولكن نوكراتيس التى كانت تقوم فى موقع منعزل داخل اليابسة خيبت أمله • وعلى أية حال ، فانه بعد الابحار حول بحيرة مريوط نزل الى الشاطىء فوق شريط ضيق من الأرض يقع بين البحيرة والبحر مقابل جزيرة فاروس ، كان هوميروس قد وصفه فى الكتاب الرابع من الأوديسة بأنه جزيرة وسط البحار المتلاطمة بعيدا عن مصب نهر النيل ، حيث يأتى البحارة لسحب المياه من بئر ، ويستطيعون انزال قواربهم على قواعدها المسطحة الى عمق البحر • وسرعان ما فوجىء الاسكندر بصلاحية الموقع لاقامة مدينة جديدة : انه ميناء عميق محصن ، له مدخلان ضيقان من جهة اليابسـة مما يسهل الدفاع عنه ، انه موقع ساحلى ، وفى مقدور البرودة الناتجة عن نسيم البر والبحر السائد فى المنطقة توفير مناخ صحى له •

كان الاسكندر شديد الحماس حتى انه لم يستطع الانتظار لبدء العمل فى بناء مدينته الجديدة ، وهى أولى المدن العديدة التى حملت اسمه ، الاسكندرية • ولكن هذه المدينة اختلفت عن المدن الأخرى ـ مثل الاسكندرية (الآن هيرات) والاسكندرية (كاندهار) وهما فى أفغانستان ، والاسكندرية بورتوس (الآن كراتشى) فى باكستان ـ من حيث أنها المدينة الوحيدة التى جرى تخطيطها منذ البداية لتكون مركزا عظيما للتجارة والحرف المتعلقة بها فيما بين الشرق والغرب • وتمشى بنفسه فى البقعة ، موضحا التخطيط العام للمدينة من حيث موقع الطريق المقدس وميدان السوق ، وعدد المعابد والآلهة (الاغريقية وايزيس المصرية) التى تعبد فيها • واستخدم الحبوب المجروشة لرسم الخطوط بدلا من الطباشير ، مما اجتذب الطيور لتتغذى عليها ، وأدى ذلك الى تنبؤات العرافين بأن الاسكندرية ستزدهر وتطعم الكثير من البشر ، وهى تنبؤات تحققت بالفعل • وكان دينوكراتيس الخلقيدونى (واضع الرسم التخطيطى للمدينة وهو الذى وضع أيضا تخطيط مدينة أفسس) ، مسئولا عن الرسم التخطيطى للاسكندرية وتنفيذه •

بلغ محيط المدينة ٢٥ كيلو مترا ، وصممت على شكل شبكة محورية Axial Grid بحيث يخترقها شارعان رئيسيان ، عرض كل منهما ٣٠ مترا ، مع شارع آخر يمتد من الشرق الى الغرب بطول سبعة كيلو مترات • وتتقاطع هذه الشوارع بزوايا قائمة مع شوارع أخرى أصغر مساحة • وتم توصيل جزيرة فاروس بالأرض باقامة حاجز من الحجر يسمى (هيبتاستاديوم Heptastadium) ، واقيم على جانبيه ميناءان ، الأكبر منهما فى الجانب الشرقى ، والأصغر الذى أطلق عليه اسم (يونوستوس Eunostos) فى الجانب الغربى • وقسمت الاسكندرية الى قسمين : حى راكوتيس (يسمى فى اللغة المصرية القديمة راكوت وفى العربية راقودة) وهو الحى الغربى ، وهو الحى الشعبى ، وقد أقيم فوق القرية القديمة التى كانت تحتل هذه البقعة • والقسم الثانى هو حى بروكيون أى حى منطقة القصر الملكى • وبالمناسبة فان ما يزيد على

ربع مساحة المدينة تشغله القصور والمعابد ـ التى كان أشهرها معبد سرابيس ـ والمبانى العامة ، بما فيها الحمامات والملاعب وميدان سباق الخيل Hippodrome والمسرح · أما باقى المدينة فقد كان يسكنه حوالى ٣٠٠ ألف نسمة من المواطنين الأحــرار ، وعدد من العبيد لا يقل كثيرا عن هذا الرقم · أما الصناعات الرئيسية بالمدينة فكانت هى نسيج الكتان ، والزجاج ، والبردى ·

ولما بدأ بناء المدينة العظيمة تملكت الاسكندر حسب ما رواه آريان الرغبة فى زيارة آمون فى سيوة · وبدأ رحلته فى فبراير سنة ٣٣١ ق·م ليقطع مسافة ٥٠٠ كيلو متر عبر الصحراء الى سيوة ، وهى رحلة استغرقت منه ثلاثة أسابيع ، وفى سيوة استشار الاله · ولكنه لم يبح بسر السؤال الذى سأله ، وفيما بعد كان تعليقه الوحيد أنه تلقى الجواب الذى أراده قلبه · وعلى أية حال فان الاســكندر من وجهة نظر المصريين قام بالرحلة الى سيوة ليتعرف الى الاله آمون بوصفه ابنه اذ كان ملك مصر يعتبر ابنا للاله الرسمى منذ فترة طويلة مثلما هو ابن لأبيه الأرضى ، الملك ، وكانت ممارسة العبادة Theogamy هى الطريقة الوحيدة التى يثبت بها الملك الحاكم أحقيته فى الجلوس على العرش ·

وعاد الاسكندر الى الاسكندرية فى الوقت الرسمى المحدد لتأسيس المدينة وهو ٧ أبريل سنة ٣٣١ ق·م · وبعد ذلك بأسابيع قليلة ترك القطر المصرى بعد أن وضع الترتيبات الادارية لمصر ، هذا العمل الذى أوكله الى المصريين · ولم يعد اليها حيا مرة أخرى ، كما أنه لم يشاهد أبدا اكتمال بناء مدينته الاسكندرية · وفى يوليو من ذلك العام تقدم نحو بلاد النهرين حيث هزم داريوس هزيمة نهائية فى معركة جاوجاميلا فيما وراء نهر دجلة ، تقدم بعدها للاستيلاء على فارس نفسها · وفى العام التالى اغتيل داريوس فى باكتريا ·

وفى ١٠ يونيو سنة ٣٢٣ ق·م مات الاسكندر فى بابل ، وبقيت على قيد الحياة أرملتاه · احداهما ستاتيرا (واسمها أيضا بارسين) ،

تزوجها فى سنة ٣٢٤ ق٠م وكانت ابنة عدوه اللدود داريوس الفارسى ، وقد بقيت فى بلاد فارس ، والأخرى كانت روكسانا ابنة أوكسيارتس ، رئيس سوجديانا (أفغانستان) ، وكان الاسكندر قد تزوج روكسانا سنة ٣٢٧ ق٠م ومنذ ذلك الحين ـ صارت الزوجة الأثيرة لديه برغم أنها لم تكن ذات حسب ونسب مثل ستاتيرا ، وكانت تقيم معه أيضا فى بابل ٠ وعندما كان الاسكندر على فراش الموت سئل : « لمن ستترك مملكتك ؟ » فكان رد الاسكندر « Hoti to kratisto » ـ ومعناها اما « للأقوى » واما « للأسوأ » ٠ ولما كان من المفروض أن الاسكندر قد استخدم صيغة التفضيل بشكل خاطىء بدلا من صيغة المقارنة ، فمن الممكن اعتبار أنه كان يقصد أحد ولديه ، لأنه كان متأكدا من أن روكسانا حامل ، أكثر من أن تكون ستاتيرا كذلك ، واذا كان كلا الطفلين اللذين سيولدان بعد موته ذكرا فان الأقوى منهما (الأحسن صحة) يجب أن يخلفه ٠

وجرت العادة بضرورة أن يختار الجيش المقدونى ملكا جديدا تنفيذا لتوصية الحرس الملكى للحاكم المتوفى Somatophylakes ٠ وعلى ذلك فقد حاول بيرديكاس رئيس وزراء الاسكندر ، الذى أعطاه الاسكندر خاتمه وهو على فراش الموت ، أن يقنع رجال الحرس الملكى بتأجيل قرارهم حتى تضع روكسانا مولودها فاذا كان ولدا استطاع أن يرث عرش أبيه ٠ وعلى أية حال ، فان بيرديكاس لم يكن ليهتم كثيرا بضرورة أن يرث ابن الاسكندر عرشه ، كما كان واضحا أنه أراد العرش لنفسه ، ولذلك فقد عزم على اقناع رجال الحرس الملكى بانتخابه نائبا للملك أثناء حمل روكسانا ، وأن يستغل هذا المنصب للتخطيط لزواجه فيما بعد من أخت الاسكندر كليوباترا ، فيجد لنفسه بذلك مبررا للمطالبة بالعرش بسبب ارتباطه بالأسرة الحاكمة المقدونية ٠

وكان بيرديكاس مكروها ، كما أن اقتراحه بانتظار ولادة ابن الاسكندر كان سببا فى اثارة الضجيج بين رجال الحرس الملكى ، حتى اقترح أحدهم

وهو بطلميوس ان ينتظروا فعلا حتى تضع روكسانا مولودها ، فاذا كان المولود بنتا فان عرش الاسكندر يجب أن يعطى لأقرب أقربائه من الذكور وهو أخوه غير الشقيق فيليب أرخيدايوس ابن فيليب المقدوني ، وفيلينا التى كانت راقصة من ثيساليا ، أما اذا كان مولود روكسانا ذكرا فان الارث يجب أن يقسم بينه وبين فيليب أرخيدايوس •ويوضع الحاكم الجديد أو الحاكمان الجديدان تحت وصاية وصي • الأصغر منهما لأنه طفل ، والأكبر بوصفه مصابا بداء الصرع • أما امبراطورية الاسكندر فلابد من وضعها تحت سيطرة الولاة Satraps • وكان بيرديكاس يطمح الى الحصول على منصب الوصي لنفسه ، كما أراد كل من رجال الحرس الملكي أن يتخذ لنفسه منصب الوالى ، مع تطلع كل منهم لأن تكون ولايته قريبة من مركز عالمهم وهى مقدونيا ، أو أن يتولى ولاية كبيرة بما فيه الكفاية لتحقيق هدف الاستقلال فى المستقبل • وفى نفس الوقت فان روكسانا التى لم تكن أقل طموحا من رجال الحرس الملكى لم تضيع وقتا فى ارسال خطاب ممهور بتوقيع مزيف لزوجها المتوفى ، الى الأميرة ستاتيرا تستدعيها الى بابل • وعندما وصلت ستاتيرا الى بابل تصحبها أختها درايبتيس أرملة هيفايسنيون الأثير لدى الاسكندر ، قتلت روكسانا الأميرتين وألقت جثتيهما فى بئر ، وبذلك تخلصت من أى منافس فى طلب عرش الاسكندر •

وبعد مرور المدة المناسبة ولدت روكسانا ابنا هو الاسكندر الرابع ، وانتخب بيرديكاس قائدا عاما للقوات المسلحة ووصيا على وريث العرش • أما الامبراطورية فقد تجزأت كما يلي : أصبح أنتيباتر واليا على مقدونيا ، وليسيماخوس على طراقيا ، وأنتيجونوس على معظم آسيا الصغرى ، ومليجر على فينيقيا ، ولوليدون على سوريا ، وسليوقوس على بابل ، أما بطلميوس فقد أعطيت له ولاية بعيدة عن مقدونيا كثيرا مع اعتبارها أقل الولايات اعتبارا وهى : مصر •

وكان بطلميوس ابنا لأحد أتباع واحد من أثرياء الريف المغمورين يسمى لاجوس ، وأرسينوى التي تمت بصلة قرابة بعيدة للأسرة الملكية

فى مقدونيا • وقد أثار هذا الزواج غير المتكافىء الشك فى أن لاجوس قد وافق على الزواج من سيدة كانت قد حملت حديثا بطفل الملك فيليب ، الذى بصرف النظر عن حقيقة أبوته لبطلميوس ، كان مهتما بالولد وجعله رفيقا لابنه الاسكندر • وعندما غادر الاسكندر مقدونيا فى مغامراته الكبرى ، ذهب معه بطلميوس ، الذى رفع من شأن نفسه كثيرا فى الحملات الحربية التالية • ففى البداية صـــار عضوا من رجال الحرس الملكى ثم قائدا للخيل • وبالرغم من ان بطلميوس بدا شريفا وأمينا بالمقارنة مع رفاقه من الضباط ، الا أن طموحه دفعه لتقديم نصيحته لرجال الحرس الملكى فيما يتعلق بوراثة العرش الملكى • أما تخصيص مصر كولاية له فربما لقى منه التقدير لأنها تقع على حافة امبراطورية الاسكندر ، وليست على اتصال مباشر بالولايات الأخرى • ولابد أنه عرف أنها يمكن أن تكون مصدرا لثروة عظيمة تمكنه من الحصول على الاستقلال ان لم يكن التفوق • وعلى كل حال فلابد أن بطلميوس الفطن قد حسب أن مصر التى استقبلت الاسكندر ليس كفاتح بل محرر ، والتى عاملها بدبلوماسية ، والتى نادت به ابناً للاله الأعظم آمون ، سيكون من السهل تولى حكمها مقارنة بغيرها من الولايات خاصة مع بطلميوس نفسه الذى خلص مصر من وال سيىء والذى كان لذلك محبوبا من المصريين •

ومن المحتمل أن بطلميوس قد تقبل المتاعب مثلما فعل الاسكندر قبله ، ليتعلم عادات وتقاليد البلد ، لأنه عندما ظهرت مسألة مكان دفن الاسكندر قرر بطلميوس ألا يدفن الاسكندر فى أيجاى (فرجينا) العاصمة القديمة لمقدونيا ومكان الدفن التقليدى لملوكها ، وبدلا من ذلك ، اقترح ان يأخذ جثمانه ليدفن فى مصر • وكان التقليد المصرى يقضى بأنه عند وفاة الاله الملك أوزيريس ، فان ابنه حورس يقوم بدفنه ، ولذلك فان كل ملك مصرى حى يعتبر مثل حورس ، وكل ملك ميت يعتبر مثل أوزيريس • وعندما يموت الملك فان خليفته يقوم بدور حورس ، ويدفن الملك الميت أوزيريس ، وبذلك يكتسب الحق فى ارتقاء العرش • وكان بطلميوس بدفنه للاســـكندر يقوم بدور حورس بالنســبة لأوزيريس • بالرغـــم

من أنه لم يكن مطالبا بعرش مصر فى تلك المرحلة • ولم يعترض المقدونيون الآخرون على ذلك ربما لأنهم اعتبروا أن دفن الاسكندر فى مدينته الجديدة العظيمة اجراء سليم •

أما فى بابل ، فقد جرى تحنيط جثة الاسكندر تحنيطا جيدا حتى انه قيل عنه عند فتح التابوت بعد ذلك بأكثر من قرنين « كان وجهه مازال محتفظا بنضارته » ، وكانت الجثة قد وضعت فى تابوت من الذهب المطروق ، وغطى التابوت بغطاء سميك من الأرجوان الموشى بالذهب ، ووضع فى ضريح ضخم محمول على عجل ، وكان سقف الضريح مقببا ومغطى بالذهب والقرميد المطعم بالجواهر • وتوج أعلاه باكليل من الذهب على شكل ثمار الزيتون كان يلمع فى الشمس • وحمل على أعمدة أيونية الطراز من الذهب • وقد وضع تمثال النصر المجنح عند كل ركن من اركان السقف ، أما الأفاريز الطولية لسقف التابوت التى غطيت بالذهب للمرة الثانية فقد زينت برؤوس وعول علقت عليها حلقات ذهبية تدعم اكليلين لامعين الوانهما متعددة ، ووضعت على الشراريب المتدلية من أطرافهما أجراس كبيرة كانت تدق عند مرور المركبة ، وقد وضع تحت كل جانب من جوانب الافريز أربع ستائر ملونة ، تحمل احداها صورة الاسكندر فى مركبة حربية ويحيط به رجال الحرس الملكى ، أما الثانية فتحمل صورة تمثل موكب افيال الحرب الهندية • وتحمل الثالثة صورة الخيالة ، أما الرابعة فتحمل صورة أسطول من السفن • وأما الفراغات المفتوحة بين الأعمدة ، فقد علقت فيها شبكة ذهبية تحمى التابوت الذى بداخلها من الشمس والتراب ، ولا تحول بينه وبين نظرات الاعجاب •

ذكر ديودوروس الذى سمع وصف المركبة من شاهد عيان (ديودوروس ، الكتاب السابع عشر : الفصل الثامن والعشرون) ان المركبة « كانت تبدو فخامتها أثناء مشاهدتها أبهى من مجرد وصفها ، وقد اجتذبت العديد من المشاهدين بسبب شهرة الاسكندر الواسعة » •

وقد اشاعت المركبة الذهول في قلب كل من شاهدها أثناء تقدمها الملكي البطيء في رحلتها الطويلة من بابل الى مصر . « وخرج الناس من كل مدينة مرت بها لاستقبالها ، وساروا الى جانبها أثناء ذهابها » . وحسب ما ذكره ديودوروس فان بطلميوس « بالغ في تكريم جنـــازة الاسكندر فذهب لاستقبالها في سوريا وهو على رأس الجيش » . وقد فعل بطلميوس ذلك ، لتأكيد أن الاسكندر قد نقل الى مقره في مصر ، الى أبيــه آمون . واستقر الضريح الرائع مع التابوت الثمين عدة سنوات في ممفيس بينما كان يجرى اعداد المقبرة Sema في الاسكندرية حسب ما هو معروف .

وأثناء زيارة بطلميوس الى ممفيس لوضع جثمان الاسكندر في مكان راحته المؤقت ، مات أحد الثيران المعبودة أبيس ، فوزع بطلميوس هبة مكونة من ١٥ تالنت من الفضة عند دفنه . وحاز اعجاب كهنة ممفيس عندما أعاد اليهم تماثيل الآلهة المصرية ، التى كان قمبيز وغيره من ملوك الفرس ، قد نقلوها من مصر الى بابل ، فنقلت بدورها عائدة من بابل بمعرفة بطلميوس .

وسرعان ما زار بطلميوس الاسكندرية بعد ذلك وتملكه العجب وهو يشاهد مدى التقدم الذى تم اجراؤه في مبانيها خـــلال السنوات العشر التي مرت منذ انشائها . لقد حقق دينوكراتيس ومهندسه المعمارى سوستراتوس ـ وموطنه كنيدوس ـ نتائج طيبة على يد القوة التى عملت معهما ، فقد أوشك بناء الحاجز الحجرى Heptastadium على الانتهاء ، وأصبح في الامكان استخدام الميناءين حتى بالنسبة لأضـــخم السفن ، وبالرغم من أن الاسكندر قرر أن يعيش المقدونيون والاغريق واليهـــود والمصريون في ود متبادل بالاسكندرية ، الا أن دينوكراتيس صمم أحياء منفصلة لليهود وللمصريين ، ولم يرد ما يفيد أن تلك الأحياء كانت مثل حـــارة اليهود (جيتو Ghetto) يتحتم على غير الاغريق أن يعيشـــوا فيها . وعلى الرغم من هذا ، فقد لزم اليهود الحى الخاص بهم في شرق

المدينة ، كما لزم المصريون الحى الخاص بهم فى منطقة راكوتيس على شواطىء بحيرة مريوط ، وفيما بعد شغلوا حيا وطنيا مصريا ثانيا يقع على جزيرة فاروس •

وبدأ دينوكراتيس فى بناء القصر الملكى على الرأس البحرى المسمى لوكيـــاس Lochias عند تلاقى الشارعين الرئيسيين ، وهما : الشارع الكانوبى Medson Pedion وشارع أرجيوس ، كما بدأ فى بناء مقبرة الاسكندر Sema • أما أعظـم انجـازات دينوكراتيس ، فهى الترعة الواسعة العميقة التى حفرها من شيديا على النيل الى ميناء يونوستوس ، لكى يمد المدينة ليس فقط بالماء الصالح للشرب بل أيضا بمجرى عام للسفن مأخوذ من النيل • كان اهتمام بطلميوس الرئيسى ينصب على توطيد اقامته فى مصر بالرغم من عجزه عن تحاشى الانغماس فى المشاحنات والحروب الخاصة بالولاة الآخرين ، على الأقل لمنعهم من التدخل فى شئون بلده المختار • ولكنه عرقل فى البداية ، عندما تذكر أنه مجرد وال ، وليس ملكا ، وأنه يحكم مصر لصالح ورثة الاسكندر • وعلى كل حال ، فقد قتل فيليب أرخيدايوس فى سنة ٣١٧ ق٠م ، وكان ذلك بيد أم الاســـكندر الأكبر أوليمبياس • وفى سنة ٣١٠ ق٠م قتل الاسكندر الرابع من أمه روكسانا بيد كاساندر بن أنتيباتر والى مقدونيا • وفى سنة ٣٠٤ ق٠م • استطاع بطلميوس اعلان نفسه ملكا على مصر باســـم بطلميوس الأول (سوتير) ، وأصبح بذلك مؤسسا لأسرة البطالمة الملوك مقدونيا الذين حكموا مصر من سنة ٣٠٤ حتى سنة ٣٠ ق٠م •

كان بطلميوس الأول هو المسئول عن رسـم الخطوط الرئيســـية للنظم الادارية والتشريعية والعسكرية البطلمية • وقد لقيت عاصمته الجديدة الاسكندرية معاملة تختلف عن بقية مصر ، ومع مرور الوقت ارتبطت الاسكندرية بمصر واعتبرت دائما من ضمنها ، وليست خارجة عنها • لقد أراد الاســـكندر أن يجعلها مدينـة هللينية تدار على أسس ديموقراطية : وعلى ذلك أصبح كل ساكن مقدونى أو اغريقى له حق

المواطنة ، مما يبيح له حمل السلاح وحرية التجمع فى تجمعات مفتوحة لمناقشة الشكاوى السياسية • أما السكان المصريون واليهود فليست لهم مثل هذه الحقوق • وبالرغم من حدوث الزواج المختلط خاصة بين الطبقات الدنيا ، فان أطفال مثل هذه الزيجات لم يتمتعوا بحقوق المواطنة الاغريقية • ولم يرغب بطلميوس فى أن يجعل من الاسكندرية مدينة دولة City state (*) ، ولذلك فانه بالرغم من السماح لمواطنيها بحمل السلاح فانه لم يسمح لهم باستخدامه • أما جمعياتهم فكانت مجرد غرف مداولة ليست لها أية قوة سياسية • وعلى ذلك فالاسكندرية لم يكن لها مجلس للشيوخ أو مجلس بلدى ، وهى حقيقة يبدو أنها لم تلفت انتباه مجتمعها الاغريقى أكثر من اللازم ، على الأقل فى البداية ، لأنهم كانوا مقتنعين بما يحسونه من التفوق ازاء المواطنين المصريين ، وبقدر أقل تجاه السكان اليهود الذين كانوا يشكلون أهم العناصر غير الاغريقية فى المدينة • أما الحكومة فقد تركوها للملك •

وأثناء حكم بطلميوس الأول عرفت مصر الها جديداً هو سيرابيس ، وهو اله مهجن تشكل اسمه من المزج بين اسمى اثنين من الآلهة المصرية القديمة هما أوزيريس وأبيس ، وقد استعار هذا الاله بعض خصائصه من أوزيريس ، ولكن خصائصه الرئيسية كانت هلنستية (**) أخذها عن زيوس واسكلبيوس ودايونيسوس ، وعلى ذلك فهو اله العالم السفلى واله الخصوبة الذى أصبح طبيبا ومعاونا للجنس البشرى • وقد بنى له بطلميوس معبدا عظيما فى الاسكندرية أطلق عليه اسم السرابيوم اعتبر

(*) كان نظام المدينة الدولة هو السائد فى بلاد اليونان قبل أن يقوم فيليب المقدونى والد الاسكندر الأكبر بتوحيد هذه المدن فى دولة واحدة • وكنا نسمع عن الحرب بين أثينا واسبرطة على سبيل المثال ؛ لأن كل مدينة يونانية كانت دولة مستقلة لها نظامها السياسى والاقتصادى وأيضا جيشها الخاص بها والمسئول عن الدفاع عنها ضد أية حرب تشنها مدينة أخرى ـ (المترجم) •

(**) الحضارة الهلنستية هى الحضارة اليونانية (الهلينية) ، وقد أطلق عليها اسم الهلنستية Hellenistic بعد اختلاطها بالحضارة الشرقية فى البلدان التى فتحها الاسكندر الأكبر ثم أصبحت ولايات يحكمها قواده ـ (المترجم) •

واحدا من عجائب الدنيا ، وبرغم أنه أراد أن يقوم الاغريق والمصريون معا بعبادة سرابيس ، الا أن الاله الجديد لم يلق القبول الكامل من المصريين ٠

وفى سنة ٢٨٤ ق٠م مات بطلميوس وعمره ٨٤ عاما بعد أن تنازل عن العرش فى سنة ٢٨٥ لصالح ابنه بطلميوس الثانى (فلادلفوس) ، وكان بطلميوس الأول هو الوحيد من رجال حرس الاسكندر الذى يموت فى سن متأخرة بسلام على سريره ٠

وكان بطلميوس قبل موته قد أتخذ خطوات لتطوير الاسكندرية ليس فقط كمركز للتجارة ، بل أيضا كمركز أعلى للعلم فى العالم القديم ٠

لقد كانت فترة حكمه الرشيد لمصر سببا فى تحولها الى بلد غنى ٠ وكان قادرا على اجتذاب رجال العلم الى الاسكندرية واقناع بعضهم بالبقاء فيها على نفقة الدولة ٠ وكان من بين الذين حضروا للمعيشة والعمل بالاسكندرية تنفيذا لدعوة بطلميوس : اقليدس عالم الرياضيات الذى مازالت الهندسة التى ابتدعها تدرس حتى اليوم ، وهيروفيلوس وارستراتوس عالما الطبيعة ، وهيكاتايوس المؤرخ ، وزينودوتوس العالم النحوى ٠

وعرف بطلميوس ضرورة توفير البيئة الصالحة لعلمائه للدراسة والمعيشة ٠ وطلب فى ذلك نصيحة ديمتريوس فيلسوف وخطيب فاليروم ، الذى أوصى ببناء أكاديمية للفنون ، وبذلك ظهر متحف الاسكندرية كصرح مهيب بالقرب من القصر الملكى حيث كان الأساتذة وتلاميذهم يأكلون ويتحاورون ويتمشون معا على نفقة الدولة ٠ ولم نجد سجلا واحدا يبين أن بطلميوس استعان ولو بمصرى واحد فى هذه الأكاديمية ٠ ولم يحاول المتحف دراسة الفكر المصرى والتقاليد المصرية ٠ ومن الصعب أن نتصور أن اهتمام الاسكندرية الوحيد ببقية مصر كان يتركز فى التجارة والانتاج وجمع الضرائب ٠

وقد ورث بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) أرضا خصبة ، وقد أنشىء فى عهده الكثير من التنظيمات المالية والادارية البطلمية • واسس تجمعات سكنية اغريقية فى الفيوم تم تطويرها حتى أصبحت تدعى اقليم أرسينوى Arsinoite Nom • وأعاد فتح القناة القديمة التى كانت تربط بين النيل والبحر الأحمر وطور تجارة البحر الأحمر •

وعند وفاة والده قرر بطلميوس الثانى أن يدفنه فى الاسكندرية • وكانت المقبرة التى أقيمت لأجل الاسكندر الأكبر قد استكملت منذ وقت طويل ولكنها بقيت فارغة لأن جثة الاسكندر ظلت موضوعة فى ممفيس • طالب المحاربون المقدونيون القدماء بالجمع بين جثتى الاسكندر ورفيقه بطلميوس الى جانب بعضهما البعض فى المقبرة ، وتم ذلك بالفعل • وأصبحت المقبرة هى مركز المقابر الملكية البطلمية ، وفيما بعد كرم بطلميوس الثانى أباه باعلانه الها ، مؤسسا بذلك نظام عبادة الحاكم البطلمى •

أسست الاسكندرية تحت حكم بطلميوس الثانى العديد من مؤسساتها العظيمة • لقد تصور بطلميوس الأول فكرة بناء مكتبة عظيمة هناك لجذب الدارسين ، وفوض ديمتريوس الذى من فاليروم والذى أبعد من أثينا حديثا بجلب لفائف الكتب • وقيل ان ديمتريوس جمع حوالى ٥٠ ألف لفافة ، ووضعت هذه اللفائف فى المخازن دون فحص أو تصنيف • وبنى بطلميوس الثانى مكتبة فى حى بروتشيون عرفت باسم المكتبة الكبرى • وكذلك مكتبة أخرى فى حى راكوتيس داخل حرم معبد سرابيس (السرابيوم) دعيت باسم المكتبة الصغرى ، وهى التى يحدد موقعها اليوم ما أطلق عليه اسم (عمود بومبى) ، وبالأكثر تحديدا (عمود دقلديانوس) وهو عمود يبلغ ارتفاعه ثلاثين مترا أقيم تخليدا للامبراطور الرومانى دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥ ميلادية) ، وفوض زينودوتس لفحص وفهرسة لفائف المكتبة ، واتاحة الاطلاع عليها لكل من يرغب فى مطالعتها • وقد عاون زينودوتس فى هذه المهمة شاعر قورينة كاليماخوس •

وتدفقت لفائف الكتب على المكتبة • وشــاعت عبـارة تقول ان بطلميوس الثانى كان يتجول فى السوق بحثا عن الكتب ، والحقيقة أنه لم يبخل بالمال • وفيما بعد أصبح ابنه بطلميوس الثالث (يورجتيس الأول) متشددا فى الحصول على الكتب للمكتبة لدرجة أنه فى احدى المرات رفض بيع الحبوب لأثينا أثنــاء حدوث مجاعة ، الا اذا تســلم فى مقابل ذلك رهنا ، هو الأصول الخطية لكتب أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس • وبعد نسخ المخطوطات فى الاسكندرية بعناية أرسلت النسخ الى أصحاب المخطوطات وبقيت الأصــول فى المكتبــة الكبرى بالاسكندرية •

وهناك تقديرات عديدة بخصوص عدد الكتب التى كانت محفوظة بمكتبة الاسكندرية فى عنفوان ازدهارها • فذكر سينيكا أن عددها كان ٤٠٠ ألف لفافة ، أما أولوس جليوس فقد رفع مجموعها الى ٧٠٠ الف • ومن الممكن القول بأن التناقض يعود الى أن رقم جليوس يخص المكتبة الكبرى اما رقم سينيكا فيخص المكتبة الصغرى ، وقد أحرقت المكتبة الكبرى سنة ٤٧ م أثناء حصار يوليوس قيصر للاسكندرية ، ولكن حلت محلهــا مكتبة برجاموم التى أرسلهــا أنطونيوس هدية الى كليوباترا ، أما المكتبة الصغرى فكانت لاتزال موجــودة على أيــام الامبراطـور ثيودوسيوس الكبير ، وعلى أية حال ، ففى أثنــاء حكمه دمرت المعــابد الوثنية ، وفى سنة ٣٩١ م أتلف معبد سرابيس الذى كان معــروفا حينذاك باسم « جوبيتر ــ سرابيس » ، والذى كان يحتوى على المكتبــة الصغرى ، على يد أحد الدهماء الاســكندريين الذى دفعــه البطريرك ثيوفيلوس (*) • وقد تم جمع مكتبة أخرى فى الاسكندرية ولكن كان مصيرها الحرق على يد العرب سنة ٦٤١ م • وكان قائدهم عمرو بن العاص متشوقا لانقاذ هذه المكتبة ولكن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل اليه قائلا :

(*) ليس هناك دليل على هذه التهمة التى الصقت بالبابا ثيوفيلوس ــ (المترجم) •

« اذا كانت هذه الكتابات الاغريقية تتفق مع القرآن الكريم فهى غير ضرورية ولا تستحق المحافظة عليها ، واذا كانت لا تتفق معه فهى تؤدى الى الهلاك ويجب ابادتها » (*) .

وبعد تأسيس المكتبة وجه بطلميوس الثانى اهتمامه الى الأمور الأكثر عملية وأمر ببناء ما أصبح احدى عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم ، أى منارة الاسكندرية ، وقد أقيمت على الطرف الشرقى لجزيرة فاروس وصممها مهندس كنيدوس : سوستراتوس . وقد بنيت بالرخام من خمسة مستويات وكان ارتفاعها حوالى ١٤٠ مترا ، وكانت المستويات الثلاثة الأولى مربعة . أما الرابع فكان مثمن الأضلاع والزوايا . وكان الخامس دائريا ، مع مراعاة أن مساحة كل مستوى تال أصغر من مساحة المستوى الذى يسبقه . وقد جهز سقف المنارة بصفائح معدنية تعكس الضوء فى اتجاه السفن ، ولكنها لا تظهر من مستوى سطح الأرض . وفى الليل كان يتم اشعال فنار مرتفع فوقها كمرشد للبحارة .

ويمثل عصر بطلميوس الثالث (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق.م .) منتهى قوة البطالمة فى الداخل وتوسعهم فى الخارج . أما خلفاؤه فقد كانوا فاسدى الذمم ، انغمسوا فى الخصومات العائلية والحروب الأهلية التى لم تنقطع ، مما أدى الى اضعاف وافقار مصر فيما بعد . وفى سنة

(★) النص الأصلى لرسالة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص هو : « ان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله » . والحقيقة أن الحديث عن هذه الرسالة لم يرد فى كتابات المؤرخين العرب الذين أرخوا للفتح الاسلامى منذ البداية ولم يرد ذكرها الا فى كتاب ابن القفطى وحده فى القرن الحادى عشر الميلادى أى أثناء الحروب الصليبية . وقد قام الدكتور مصطفى العبادى فى حديثه مع الأستاذ فاروق شوشة فى برنامج أمسية ثقافية يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٩٩ ، أثناء جلوسى لترجمة هذه الفقرة من الكتاب ، بتفنيد هذا الاتهام . واننى أتساءل بصفة شخصية : اذا كان العرب قد أحرقوا المكتبة بالفعل فكيف تسنى لهم الحصول على الكتب التى ترجموا عنها فيما بعد فلسفة أرسطو وأفلاطون وأمهات الكتب اليونانية ؟ واذا كان المبنى قد احترق ألا يكون من الصواب القول بأن العرب قد نقلوا هذه الكتب الثمينة حتى تتم الاستفادة منها كما حدث بالفعل ؟ ـ (المترجم) .

٨٩ ق.م سرق أحدهم وهو بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) من الاسكندريين أحد مصادر فخرهم عندما أخذ تابوت الاسكندر الذهبى وصهره ليصنع منه قطع العملة ، وهو عمــل يدل على الاســتخفاف بالمقدسات ، مما دفع الاسكندريين الغاضبين الى قتله •

ولم يحاول البطالمة التعرف الى رعايـاهم من المصريين بالرغـم مما أظهروه من حسن القيـادة عندما احتضنوا ديانة المصريين الوطنية ونشاطهـم فى بنـاء المعابد • ولكن آخـر البطالمة وهى كليوباترا السابعة كانت هى الوحيدة الملمة نسبيا باللغة المصرية . وبالرغم من أن البطالمة قدموا العديد من الاصلاحات والابتكارات الزراعية والاقتصادية والتشريعية الرفيعة ، الا أنهم عاملوا مصر كما لو كانت ملكا خاصا لهم ، وتشددوا فى ذلك بالرغم من أنهم أحسنوا ادارتهـا واستغلالها بكفاءة •

وأصبحت الاسكندرية تحت حكم البطالمة العاصمة الفكرية للعالم القديم ومركزا تجاريا عظيما • وقد ساهم العديد من أعظم الفلاسـفة خلال ذلك العصر فى تحقيق انجازاتها الفكرية • وكان الأعظم بينهـم اقليدس وأراتوستينز الجغرافى الذى قاس محيط الأرض بدقة ، حتى انه الخطأ لم يتجاوز ٥٤ ميلا ، وبطلميوس الجغرافى الذى رسـم خريطة للعالم المعروف حينذاك ، والفلكيون الذين ثبتوا صور وأسماء مجموعات النجوم الثابتة (الأبراج) والتى مازالت تستعمل حتى اليوم وأدخلوا تعديلات على فكرة التقويم التى أدخلت فيما بعد فى التقويم اليوليانى •

وكان من بين رجال العلم الذين انجذبوا الى المكتبـة والمتحف بالاسكندرية : النحاة ، والشعراء ، الذين كانت لهم الأهمية القصوى ، وقد انجذبوا الى هناك بسبب مدرسة النحو التى أسسها زينودوتوس • وانشئت أيضـا مدرسة للفلسفة بالاسكندرية والتقت فى هذه المدرسة الاسكندرية فلسفات الشرق والغرب ، وقد جرت محاولات للربط بين

الاثنتين · ومن ذلك الحين ، أطلق على فلاسفة الاسكندرية اسم « الاقليديون » وقد اعتزل بعض الفلاسفة مذهب الشك الذى ميز هذه المدرسة وحاولوا بدلا منه توحيد فلسفة الشرق مع فلسفة أفلاطون وأصبح يطلق عليهم اسم « الأفلاطونيون الجدد » ، وكان أبرزهم فى القرن الأول الفيلسوف فيلون وهو يهودى من الاسكندرية · وفى سنة ١٩٣ للميلاد أسس أمونيوس ساكاس مدرسة الأفلاطونية الجديدة بالاسكندرية · وكان رجال المدرسة الجديدة من الشرقيين الذين تعلموا فى بلاد الاغريق مثل أفلوطين ، ويامبيكوس وأوريجانوس (أوريجين) ، وكانت كتاباتهم خليطا من العناصر الشرقية والأوروبية · وقد تأثر المدرسون الأساسيون لمدارس السؤال والجواب المسيحية Catechetical Schools التى ظهرت فيما بعد وازدهرت فى الاسكندرية بالفلسفتين الاقليدية والأفلاطونية الجديدة الى حد بعيد · وكان لهذه المدارس الأخيرة بدورها تأثير عظيم على الطريقة التى جرى بها تسليم (*) وتعليم المسيحية فى مصر ·

وعند منتصف القرن الأول الميلادى كان بالاسكندرية حوالى نصف مليون من السكان الأحرار ، وكانت مزدهرة الى حد بعيد ، وترسل الأساطيل التجارية الضخمة الى الهند واثيوبيا من خلال القناة الموصلة بالبحر الأحمر ، والتى أعيد تشغيلها مرة أخرى أثناء حكم بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) ، والى بقية أنحاء العالم عن طريق مينائها الكبير على البحر الأبيض المتوسط · لقد كانت مدينة عجيبة حقا فقد بناها الاغريق لصالحهم ، ولكنها كانت خارج التقاليد الديموقراطية المعتادة المرعية حتى فى أصغر مدينة اغريقية · وكان الملك ينشر مشيئته عن طريق اصدار المراسيم ، وقام بتعيين موظفين للمدينة ، ولم تكن هناك طريقة يعبر بها الاسكندريون عن آرائهم الا طريقة الفوضى

(*) التسليم هو تعليم الاخرين شفويا على يد معلمى الكنيسة حيث كانت معظم المعتقدات المسيحية يتم تداولها شفويا فى بداية المسيحية ويطلق على هذه العملية اسم التسليم ـ (المترجم) ·

واثارة الشغب . ولذلك كان سكان الاسكندرية معروفين دائما باثارة الاضطرابات . وقد ثار الاسكندريون مرات عديدة ، أولا تحت حكم البطالمة ، وفيما بعد تحت حكم الرومان . وقد عانت الاسكندرية من سلسلة من المذابح تحت حكم أباطرة الرومان مما ترتب عليه الانخفاض التدريجي في عدد السكان .

وكان آخر ذكر راشد يحكم مصر من البطالمة هو بطلميوس الحادى عشر أو الاسكندر الثانى (١٠٠ – ٨٠ ق.م) ، وقد أجبر على قبول مشاركة زوجة أبيه في الحكم تحت ضغط القائد الرومانى سولا . ثم تزوجها بعد ذلك ، وقتلها بعد ١٩ يوما . وقتل هو بدوره على يد الاسكندريين الثائرين . وأوصى من خلال وصيته التى يحتمل أنها كانت مزيفة بأن يئول ارث مصر الى روما . وقد عزفت روما فى البداية عن التدخل في شئون مصر ، ولكن بومبى فى سنة ٦٧ ق.م فوضته روما باخلاء البحر الأبيض المتوسط من القراصنة الذين كانوا يعترضون امدادات الغذاء الى روما ، وقد استفادت الاسكندرية من نجاح بومبى ضد القراصنة ؛ لأن تجارتها كانت تعانى منهم بشكل ملحوظ .

أدى الصراع بين بومبى ويوليوس قيصر الى مجىء قيصر الى الاسكندرية سنة ٤٨ ق.م لمطاردة عدوه . وهناك تقابل مع كليوباترا السابعة التى أنجب منها ابنا هو قيصرون ، وفى سنة ٤٤ اغتيل يوليوس قيصر فى روما . ولما لم يكن له أبناء من زوجته فقد تبنى ابن أخيه الأكبر جايوس أوكتافيوس الذى ترك له ثلاثة أرباع ثروته . وبعد التبنى غير جايوس أوكتافيوس اسمه الى جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس . وقد دعاه معاصروه باسم قيصر ، ولكن من المناسب لنا أن نميزه من أبيه بالتبنى فندعوه أوكتافيانوس .

وبعد موت قيصر تنافس مارك أنطونيوس وأوكتافيانوس على قيادة حزب قيصر ، ولكنهما صارا حليفين مؤقتين فى سنة ٤٣ ق.م فى حكومة

ثلاثية مع لبيدوس ، وانتقموا لمقتل قيصر فى فيلبى سنة ٤٢ ق٠م ٠ وبعدها اعتلى أنطونيوس ظهر سفينة في رحلة الانتصار لزيارة الولايات الرومانيــة الست التى أعطيت له ، وكانت جميعهــا فى اليونان وآسيا الصغرى والشرق الأدنى ، ولم تكن مصر من بينها باعتبارها مملكة مستقلة ٠ وفى صيف ســنة ٤١ ق٠م استدعى أنطونيوس كليوباترا لمقابلته فى طرسوس ٠ أما نتيجة لقائهما فهى معروفة بما فيــه الكفاية ، ولا تحتاج الى اعادة ذكرها ٠

وفى سنة ٣٧ ق٠م تزوج أنطونيوس من كليوباتــرا علنــا فى أنطاكية ٠ وفى سنة ٣٤ نظم احتفالا فى الاســكندرية أعلن فيه كليوباترا « ملكة للملوك » وحاكمة على : مصر ، وقبرص ، وكريت ، وسوريا ٠ وقد أطلق على الأبناء الذين أنجباهما معا ألقابا ملكية ، أما قيصرون فقد أصبح يدعى رسميا باسم ابن يوليوس قيصر وأصــبح شريكا فى الحكم مع أمه كليوباتــرا باسم بطلميوس الخامس عشر قيصرون ٠ ولم يشــك أوكتافيانوس فى أن أنطونيوس وكليوباترا يدبران لأن يحكما العــالم ٠

وفى خريف سنة ٣٣ ق٠م بدأ أنطونيوس وكليوباترا فى تحريك قواتهما الى أفسس ، حاشدين حــوالى ٩٠ ألف رجل وأسطولا مكونا من ٥٠٠ سفينة حربية ٠ وفى شتاء سنة ٣٢ ــ ٣١ ق٠م تحركا عبر بحر ايجة الى خليج أمبراقيا ٠ وفى ربيع سنة ٣١ ق٠م عبر أوكتافيانوس وقائده أجريبا البحر الأدرياتيكى بقوة تعادل قوة أنطونيوس وكليوباترا٠ وفى ٢ سبتمبر من ذلك العام ، هزم أنطونيوس فى موقعة أكتيوم ، وبعد ذلك بأقل من عام ماتت كليوباترا وابنها قيصرون ، وسقطت مصر فى يد أوكتافيانوس ٠

٢ ـ المسيحية فى مصر حتى سنة ٣٠٣ للميلاد
سنوات الاضطهاد

بعد موقعة أكتيوم وموت أنطونيوس وكليوباترا سقطت مصر فى يد أوكتافيانوس ، وبينما كانت الولايات الأخرى التابعة للامبراطورية الرومانية تحكم بمعرفة مجلس الشيوخ فى روما ، أصبحت مصر ملكا شخصيا له ، ومنع أعضاء مجلس الشيوخ من دخولها بدون اذن أوكتافيانوس الذى جعل مصر شونة الغلال لروما ، وبذلك أصبحت مصدرا للثروة الضخمة التى ستعود اليه شخصيا • وثبت صدق تقديره الى الحد الذى أصبح معه أوكتافيانوس قادرا على أن يدفع كل مستحقات الدولة بنفسه ، وكان يقوم بسداد متأخرات مدفوعات الايرادات للخزانة من ماله الخاص • وسواء أكانت الضرائب المطلوبة غلالا أم نقودا ، تدفع عن ١٠٠ ألف شخص أم أكثر ، فانه كان يقوم بسدادها • وبذلك أصبحت مصر ضيعة تستغل لصالح الأجانب ، وهو دور لم تجبر عليه حتى فى أسوأ أيام الفراعنة والبطالمة ، فحينذاك كان انتاج جهدها يبقى داخل القطر • وقد شكل امتلاك أوكتافيانوس لمصر بداية لأوضاع استمرت على مدى قرون عديدة أولا تحت الحكم الرومانى ، ثم الحكم العربى ثم التركى ، وفيها تحمل المصريون أحمالا عسيرة أنقصت من أعدادهم الغفيرة ، وحولتهم الى أقلية مستغلة وخاضعة •

وعندما أصبح أوكتافيانوس هو الحاكم الأوحد ، ورث روما التى كانت مركزا للامبراطورية وبؤرة اشعاع للعالم الغربى ، ولكنها كانت

لاتزال منظمة على أسس تناسب المدينة الدولة ، ولذلك عمل على خلق حكومة استبدادية قوية راعت الكراهية التقليدية للحكم المطلق والملكية ، مع أداء مهمة حكم الامبراطورية ، ولذلك امتنع أوكتافيانوس عن استخدام لقب « امبراطور » لنفسه ، وخدم كرئيس للدولة حاملا لقب « المواطن الأول Princeps » • وفى سنة ٢٧ ق•م• أضاف الى اسم العائلة (قيصر) لقب اغسطس أى المبجل •

ونورد هنا ما ذكره المؤرخ الرومانى تاكيتوس (٥٥ ـ ١١٥ للميلاد) فى هذا الصدد :

« منذ أيام اغسطس حكمت مصر مع القوات التى حشدت بها لحفظ النظام ، بواسطة الرومان الذين يحوزون رتبة الفرسان ويتصرفون كخلفاء للبطالمة • ويبدو انه كان من حسن السياسة أن ولاية من هذا النوع ـ أى الصعبة المنال ، والتى تصدر محصول القمح الثمين ، ولكنها منقسمة وغير مستقرة بسبب الطوائف الغريبة ، والمزايدات غير المسئولة ، وعدم الاكتراث بالقانون ، وافتقاد الحكومة المدنية ـ تظل تحت السيطرة المباشرة للبيت الامبراطورى » • (انظر كتاب : The Histories للمؤرخ تاكيتوس ـ ص ٢٧) •

وبعد وفاة أغسطس قيصر (أوكتافيانوس) فى سنة ١٤ للميلاد حكمت مصر من الاسكندرية على يد (وال) يدعى بلقب Prefect ، كان يمثل الامبراطور وله السلطة على النواحى المدنية والعسكرية • وكانت الاسكندرية ذاتها وكما هى العادة تتمتع بمركز خاص ، فيقوم بادارتها حاكم أطلق عليه لقب Archontes الذى يعنى صاحب السلطات التنفيذية Magistrate وأثناء حكم الامبراطور فسباسيان (٦٩ ـ ٧٩ للميلاد) قسمت مصر الى ثلاثة أقسام هى : مصر العليا ، والوسطى ، والسفلى ، وكان يدير كل قسم نائب للحاكم يسمى epistrategis مسئول أمام الوالى • وكان كل من نواب الحاكم

الثلاثة يسيطر على الموظفين الذين كان يتم اختيـــارهم من بين الاغـريق أو المصريين الذين يتمتعون بحق المواطنة الهيلنستية ، وهؤلاء كانوا يديرون الأقسام الصغرى أي المناطق التى أطلق عليها اسم nomes أو districts والمدن ، والقرى •

ومن المحتمل أن عدد ســـكان مصر فى ذلك الوقت كان حـــوالى ثمانية ملايين غالبيتهم من المصريين ، ويشمل هذا العدد أقلية من الاغريق أصحاب الامتيازات وعددا قليلا من المواطنين الرومان ، كما كانت هناك تجمعات يهودية فى أماكن عديدة خاصة الاسكندرية • وقد منع الزواج المختلط بين هذه المجاميع كوضع أساسي بالرغم من تجاهل ذلك كثيرا ، وتركزت ثروة مصر كما هى العادة دائماً فى الأرض الزراعية التى كان الامبراطور يمتلك معظمها ، أما الباقى فقد جرى توزيعه كمنح للمقربين اليه والقليل من المحاربين القدماء ، أو كان مملوكا لعدد صغير من المصريين حيث كان القليل منهم يعيش على هذه الأرض • وقد فضل معظم أصحاب الأراضي من المصريين المعيشة فى المدن أحيانا كموظفين للحكومة أو مديرين فى بعض الأحيان ، أما الغالبية العظمى من المصريين فقد عملت فى فلاحة الأرض كعمال زراعيين أو مستأجرين ، وبالاضـــافة الى ذلك ، فانهم كانوا معرضين للقيام بأعمال السخرة • لقـد كانت مصر تحت حـكم الأباطرة الرومان خاضعة لنظام اقطاعي يشبه ذلك الذى كان موجودا بانجلترا خلال العصور الوسطى •

وكانت هناك ضريبة واجبة الدفع لروما تسمى Annona وتدفع قمحا ، وكان مقدارها ثابتا فى كل عام حسب حجم المحصول واحتيـاجات روما • وقد أرسلت مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ١٥٠ ألف طن من الحبوب سنويا الى روما • وبالاضافة الى هذه الضريبة كانت هنـــاك رسوم تدفع فى أشكال عينية بشكل مباشر وغير مباشر ، أما الرسم المباشر الرئيسى فهو ضريبة الأرض التى فرضت على الممتلكات ، والمنتجات الزراعية مثل : مبانى المزرعة والحيوانات والأدوات التى تصنع في الورش • وقد

فرضت ضريبة الرأس كذلك على جميع الرعايا فيما عدا المواطنين الرومان • وكان المصريون يدفعون قيمتها كاملة ، أما الاغريق والأجانب بوجه عام فقد كانوا يدفعون نصف القيمة • وكانت جميع الضرائب تجمع بمعرفة جامعى الضرائب الذين كانوا فى العادة ينتمون الى الأصل الوطنى ، وقد انتهزوا كل فرصة لاثراء أنفسهم على حســاب أصحاب الأراضى أحيانا ، وعلى حساب الفلاحين فى أغلب الأحيان •

فى تلك البيئة ، وفى ظل ظروف القهر التى عانى منها الفلاحون المصريون جاءت المسيحية • ولابد انهــا كانت تحمل نفس الجاذبية بالنسبة لهم ، كما كانت بالنسبة لجموع الفقراء والعبيد الذين شكلوا الطبقة الدنيا فى المجتمع الرومانى •

وكان على المسيحية فى بدايتها أن تتنافس مع المذأهب والعبـادات والفلســفات المنتشرة فى العــالم الرومانى • لقد كانت لكل دولة فى الامبراطورية آلهتها الخاصة بها ، ولم تكن مصر هى أقلها ، فقد أثبتت الاحصائيات وجود ألفين من الآلهة أو الكائنات السحرية التى تنتمى الى نوع أو أكثر • أما أكبر مذهبين فلسفيين وثنيين فى ذلك الوقت فقد كانا هما المذهب الرواقى والأفلاطونية الجديدة • وقد رسمت الرواقية صورة المجتمع المثالى المنظم الملتزم بالأخلاقيات العملية ، وبالرغم من أنها وصلت الى قمتها عندما أجازها الامبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ ــ ١٨٠ م) كفلسفة مرشدة له ، فقد ظلت لعدة قرون تجتذب العقلية الرومانية بوصفها فلسفة المقدرة العملية • أما الأفلاطونيــة الجديدة التى ازدهــرت فى الاسكندرية فى العصر الرومانى فقد قيل انها اعتمدت على عوامل روحيــة معينة كانت ضمن تعاليم افلاطون التى انضمت اليها التعاليم الصوفية الشرقية وهى على عكس الرواقية ، لم تهتم بالعلة أو السببية ولكنها علمت بأن المطلق كان يتمثل فى التدريب الصوفى الذى لايمــكن التعبير عنــه كفكر عقــلانى •

ان عقلانية الرواقية والطبيعــة التجريدية للأفلاطونيــة الجديدة لم تحوزا القبول لدى الجماهير الجاهلة وغير المتعلمة ، وبدلا من ذلك بحثت

هذه الجماهير عن الراحة من متاعب حياتها في الديانات الغامضة العديدة التي حفلت بها الامبراطورية الرومانية • لقد أمدت شمال أفريقيا والشرق هذه الجماهير بشعائر دخيلة وغامضة ، بالاضافة الى ما قدمته مصر وهو الالهة ايزيس التي أصبحت في العصر الروماني تستقبل وتوحي بملامح عبادة شعبية سرية ، خاصة في روما نفسها • أما بـــلاد اليونان فقدمت الاله دايونيسوس الذى اعتبر صنوا للاله الروماني باخوس الذى انصبت عبادته على اقامة الحفلات الماجنة التي تشهد ممارســـة الفسق والسكر بالخمور • أما فارس فقدمت ميثراس اله النور الذى يساعد الناس في هذه الحياة ، ويحميهم في الحياة الأخرى • وكانت هناك ميول لهذه الديانة تمهد للمسيحية ، ولابد أنهـــا أعدت بســـهولة المكان الذى احتلته المسيحية نهائيا •

وقد نظر الرومان الى المسيحية في البداية على أنها مجرد عبادة سرية أخرى ، أو شكل آخر لليهودية المباحة رسميا • وكانت فلسطين التي تتضمن منطقة اليهودية التي يعيش بها اليهود جزءا من الامبراطورية الرومانية منذ سنة ٦٣ ميلادية • وعند صلب المسيح كانت القوميـــة اليهودية تجيش بالغضب ، وكان أعضاء السنهدريم (*) يعرفون أن حدوث أصغر واقعة قد يشعل الاضطرابات ضد الحكم الروماني • وبالفعل فانه بعد ذلك بعدة سنوات عرض جندي روماني ـ كان يقوم بالحراسة في المعبد بأورشـــليم أثناء عيد الفصح ـ نفسه للخطر وأثار ثـــورة قتل فيها ٣٠ ألف شـــخص حسب ما ذكره المؤرخ اليهودى يوســـيفوس (انظر كتاب يوســـيفوس وعنوانه : الحرب اليهودية ٢ : ٢٢٣ ـ ٣٣) • ولابـــد أن رئيس الكهنـــة قيافا قد أذاع أن أتباع المسيح ، وهم يدعون أنه المسيا المنتظر وقد جاء ليحرر اليهود من الحكم الأجنبي ، قد أغضبوا الرومان مما قد يدفع بهم الى تدمير الأماكن المقدسة وربما أيضا أمة اليهود : ولذلك فقد قرر قيافا

(*) مجلس القضاء الاعلى لدى اليهود القدماء ، وكانت له العـــديد من السلطات المحلية فيما عدا سلطة الحـــكم بالاعدام التي كانت من حق الوالي الروماني وحده ـ (المترجم) •

التضحية بشخص واحد لصالح الجميع ، وقد تأكدت مخاوف قيافا عندما نشبت الثورة ضد الرومان سنة ٦٦ للميلاد · ولم تنته الا بعد ذلك بأربع سنوات فى شكل كارثة كاملة عندما قامت الفرق الرومانية المنتصرة باقتحام أورشليم وحرق الهيكل (المعبد) وقتلت عشر السكان اليهود وشردتهم ، بالرغم من أن التشريد النهائى (الشتات Diaspora) لم يحدث حتى سنة ١٣٥ م (*) ·

ويبدو أن صلب المسيح كان له تأثير ضعيف على الموظفين الرومان فذكر يوسيفوس فى تسجيله للمشكلة التى حدثت بين روما واليهود أثناء حكم الوالى بيلاطس البنطى (٢٦ ــ ٣٦ م) أن المسيح كان واحدا من كثيرين ، وذكر أن يسوع الناصرى قد أوقف أمام بيلاطس الذى بعد أن استمع الى الاتهام الموجه اليه من شيوخ اليهود ، أصدر الأمر بصلبه ، (انظر كتاب يوسيفوس : آثار اليهود القدماء Antiquities of the Jews ــ ١٨ : ٣٦) · وقد حدثت أولى المتاعب الحقيقية التى واجهها المسيحيون مع روما نفسها أثناء حكم الامبراطور الرهيب نيرون (٥٤ ــ ٦٨ م) · ويذكر لنا تاكيتوس كيف أن نيرون

(*) انتشرت بين اليهود المحاصرين فى أورشليم والمتحصنين بالهيكل اشاعات عديدة أثناء الحصار ومنها اشاعة تفيد بانه سيظهر أثناء هذا الحصار المسيا المنتظر لكى يحكم العالم · وتحققت النبوءة بشكل عكسى ذلك أن فسباسيان قائد الجيوش الرومانية وصله خبر انتحار نيرون فترك الجيوش الرومانية تحت قيادة ابنه تيتوس وعاد مسرعا الى روما حيث أعلن اختياره « امبراطورا للرومان » أى ملكا على العالم المعروف حينذاك · وهزم تيتوس اليهود واستولى على الهيكل ودمره ثم حرث مكانه بالمحاريث ليحقق دون أن يدرى نبوءة السيد المسيح التى قالها : « ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا على حجر » · (لو ١٩ : ٤٤) (انظر : الخريدة النفيسة جـ ١ صص ٧٣ ــ ٨٥) أما الشتات النهائى فقد حدث سنة ١٣٥ م على يد هادريان الذى أخمد آخر ثورات اليهود ضد الرومان وشتتهم فى كل أرجاء الأرض ــ (المترجم) ·

بعد أن أصدر أمره بحرق روما سنة ٦٤ م نظر حوله باحثا عن كباش للفـــداء و :

(استعاض عن المجرمين بجماعة من النـاس كانت مكروهـة بسبب مساوئها ، اطلقت عليها الجموع اسم : المسيحيين ، وعاقبهم مستخدما اشد صنوف القسوة • وكان المسيح الذى ينسب اليه هذا الاسم قد نفذت فيه عقوبة الموت فى عصر الامبراطور طيباريوس تنفيذا لحكم اصدره الوالى بيلاطس البنطى • وتم فحص هذه الخرافة الخبيثة فى حينها ، ولكنها انتشرت مرة اخرى ليس فقط فى اقليم اليهودية موطن الداء ، بل فى العاصمة نفسها حيث يتجمع كل ما هو فظيع أو مزر فى العالم ليصبح هو الموضة الرائجة • وفى البداية تم القبض على الذين ينتمون لهذه الشيعة ، واعترفوا على انفسهم • وبناء على هذا الاعتراف جرى اتهـــام أعداد كبيرة بجريمة الحرق العمد بل ايضا بكراهية الجنس البشرى • وكانوا يغطون بجلود الحيوانات ويلقى بهم الى الكلاب المتوحشـــة لتمزقهم ، كما كانوا يربطون على الصلبان ، وعند اضمحلال ضـــوء النهار يتم حرقهم ليشتعلوا كالمشاعل أثناء الليل • وخصص نيرون حدائقه الخاصة لكى يشاهد فيها الجمهور هذه المشاعل البشرية) •

(انظر كتــاب : الحوليــات Annals للمؤرخ تاكيتوس ـ ١٥ ، ٢٠٤٤ ـ ٨) •

وحتى تاكيتوس الذى لم يكن متحمسا للمسيحية تماما ، توصل الى نتيجة مفادها أن أتباعها لم يكن اضطهادهم بسبب عقيدتهم فقط :

(وقد انتشر الاحســـاس بالشفقة حتى بالنسبة للمجرمين الذين يستحقون العقوبة القصوى والرادعة ، لأن ابادتهم لم تكن للصالح العام كما قيل حينذاك ، ولكن لاشباع شهوة القسوة لدى رجل واحد) • (المرجع نفسه) ••

ولو أخذنا صورة الأحداث كما قدمها تاكيتوس بوصفها الصورة الصحيحة ، فان المسيحيين الأوائل ـ بمن فيهم بطرس وبولس اللذان نفذ فيهما حكم الموت فى روما نتيجة لحقد نيرون الشخصى ـ كان وضعهم كجماعة سيصبح مزعزعا مهما كان الأمر • وقد ذكر المؤرخ سويتونيوس فيما كتبه بعد ذلك بسنوات عديدة (١١٥ م) بازدراء أن المسيحيين (كانوا جماعة من الناس تعلقوا بخرافة جديدة وشريرة) • (سويتونيوس : حياة نيرون Life of Nero ٦ : ١٦) وصنف اضطهاد نيرون لهم كأحد الأعمال الطيبة التى عملها أثناء حكمه •

ربما كان المسيحيون فى البداية هم كما اعتبرتهم السلطات الرومانية عناصر للسحر والخرافة فى الديانة الجديدة ، التى عمل أتباعها على التجمع معا فى شكل جماعات سرية ربما لاثارة الفتنة والشغب مما جعلهم ـ أى الرومان ـ ينظرون الى المسيحية باستنكار • ومنذ عصر أغسطس قيصر (٢٧ ق•م ـ ١٤ م) صار اتباع سياسة رسمية تنطوى على ادانة أى علامة تدل على الانشقاق • ومن بين الطبقات التى اعتبر أتباعها مثيرين للشغب : المنجمون والسحرة والفلاسفة وأتباع الديانات الأجنبية • وكان المسيحيون يعترفون بأنهم أتباع رجل نفذ فيه حكم الاعدام لأنه كان يأتى بالمعجزات وهذا يعنى ممارسة السحر ، ولم يعبدوا الآلهة الرومانية التى كانت تحمى الدولة الرومانية ، والأشنع من ذلك انهم لم يعترفوا بأن الامبراطور ذات مقدسة • وقد أشيع عنهم أيضا أنهم يشربون الدم البشرى ويأكلون اللحم البشرى أثناء ممارسة طقوسهم ، وكانت هذه التهمة تلصق فى الغالب بالجماعات ذات الطقوس السرية ، وقامت هذه الاشاعة فى حالة المسيحيين على أساس اساءة فهم ممارسة سر الشكر أو التناول ، ولذلك عومل المسيحيون بعداء وريبة • ونتيجة لذلك ، أصبح لدى الرومان سبب وجيه لكراهية المسيحيين والخوف منهم والظن بأنهم أحد عوامل اضمحلال امبراطوريتهم الممزقة •

وكانت طبيعة المسيحية تعنى أن يكون أتباعهـــا فى صـــدام مع السلطة (*) وكان الرومان متسامحين مع مختلف العقائد والممارســـات الدينية ، الا أن المسيحيين لم يبادلوهم الشعور نفسه ، بل أصروا على انهم وحدهم أصحاب الديانة الحقيقية ، وأن كافة الديانات الأخـــرى مزيفـة • وكانت تقاليد ذلك العصر تقتضى تقديم بعض الشعائر لأجل الامبراطور ، ومنها على ســبيل المثال حرق البخور أمام تمثاله • ورفض المسيحيون مسايرة هذا الطقس باعتبار أن مثل هذه الأعمال تعنى أنهم يعبدون الامبراطور كاله ، وبالطبع فانهم لم يؤمنوا بأنه كذلك •

وفيما بين عامى ١١٠ ــ ٢١٠ للميلاد أعلن رسميا اعتبار الانخراط فى المسيحية جريمة فى كافة أنحاء الامبراطورية الرومانية • ونبدأ الحديث فى ذلك فنقول انه لم يكن هناك قانون صريح يوضح كيفية التصرف مع الذين يعترفون بانتمائهم للمسيحية • وهذه المشكلة جرى تصويرها فى الخطابات التى تبودلت حوالى ســـنة ١١٢ للميلاد بين بلينى حـــاكم بيثينيا احدى ولايات آسيا الصغرى وبين الامبراطور تراجان :

تعودت ياسيدى الامبراطور أن أحيل اليك كافة المسائل التى أكون فى شك منها ، لأنه لا أحد يقدر أن يرشدنى أفضل منك •• ؟ اننى لم أشارك من قبل فى استجوابات المسيحيين ، ولذلك فاننى لا أعرف ماهية الجريمة التى من المعتاد معاقبتهم أو اســـتجوابهم عنها • أو ما هى الأبدال المخصصة •• وفى نفس الوقت فان هذا هو المسار الذى اتخذته مع الذين اتهموا أمامى بأنهم مسيحيون •

(★) لا اعرف من اين جاءت المؤلفة بهذا الكلام الذى نرد عليه من الانجيل بآيات عديدة منها :

١ ـ أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله • (مت ٢٢ : ٢١) •

(٢) [illegible] الجزية والجباية لمن له الجبـاية والخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام • (رو ١٣ : ٧) •

٣ ـ اكرموا الجميع ، احبوا الاخوة ، خافوا الله ، اكرموا الملك • (ابط ٢ : ١٧) ــ (المترجم) •

اننى أسالهم عما اذا كانوا مسيحيين ؟ ثم أسالهم مرة ثانية أو ثالثة مع التهديد بالعقاب • فاذا أصروا امرت بتقديمهم للاعدام لأننى لا اشك فى انه مهما كانت جريمتهم فانهم يستحقون العقاب بسبب عنادهم واصرارهم •• أما عن هؤلاء الذين قالوا انهم لم يكونوا ابدا مسيحيين فاظن انه من الصواب اطلاق سراحهم اذا رددوا صلاة للآلهة امليها عليهم ، وقدموا تقدمة من البخور والنبيذ لتمثالك الذى أمرت باحضاره فى المحكمة لهذا الغرض ، وعلاوة على ذلك عليهم ان يلعنوا المسيح ، وهى أشياء (كما قيل)لايمكن اجبار المسيحيين الحقيقيين على فعلها) • (رسائل بلينى Epistles ١٠ : ٩٦ — ٩٧) •

وهذه هى موافقة تراجان على أسلوب بلينى فى معالجة المشكلة :

(ياعزيزى سكوندوس ، لقد اتبعت المسار الصحيح فى فحصك لقضايا هؤلاء الذين اتهموا امامك بأنهم مسيحيون ، لأنه لا يوجد فى الحقيقة شىء يعرض امامك كقاعدة عامة تبين شيئا يحتذى به كنموذج لهذا الاجراء • انه لا يجرى البحث عنهم ، ولكن اذا اتهموا وادينوا فلابد من عقابهم — ولكن بشرط ان كل من ينكر أنه مسيحى ، ويقدم الدليل على ذلك بالفعل ، اى بعبادة آلهتنا ، فانه ينال الصفح بسبب توبته ، بصرف النظر عن الشك فى سلوكه السابق) • (رسائل بلينى Epistles ١٠ : ٩٦ — ٩٧) .

وحسب القانون الرومانى فان عقوبة رفض تقديم القرابين لآلهة روما كانت هى الاعدام الفورى • وعلى ذلك فقد كان من المحتم أن يلقى الكثير من المسيحيين الى حتفهم ليس فقط بسبب انتمائهم الى نحلة غير شرعية ، بل أيضا لأنهم لم يكونوا قادرين على تقديم هذه القرابين ، لأن من يفعل ذلك يعتبر منكرا لعقيدتهم • وقد كره العديد من الموظفين الرومان قتل المسيحيين الذين رفضوا التضحية للآلهة ، وبذلوا أقصى ما بوسعهم لاقناعهم بتنفيذ القانون • ونجد حالة تمثل رفض اخضاع

رجل مسيحى لصرامة القانون وذلك فى حالة بوليكاربوس الأسقف المسن لمدينة سميرنا فى آسيا الصغرى (١٦٥ م) ، الذى بعد القبض عليه رجاه الحاكم أن يراعى كبر سنه ، وأن يقدم يمين الولاء للامبراطور ، ولكن بوليكاربوس رفض بحزم ، وأخيرا تم احراقه بعد ربطه الى العمود ٠

وذهب العديد من المسيحيين طواعية للاستشهاد ، وكانوا مسرورين بذهابهم للموت ٠ وذلك يجعلهم من وجهة نظر الناس فى أيامنـــا هذه مصابين بالعصاب ان لم يكن المازوخية ٠ فبالنسبة لنا فان كلمة « شهيد » لها مضمون ينقص من القدر أحيانا ، أما بالنسبة للمسيحيين واليهـــود الذين عاشــوا خـلال القرنين الأول والثانى للميلاد فان كلمة martus اليونانيــة التى اشتقت منهــا كلمة شــهيد martyr تعنى ببســاطة « الشاهد » ، ولا تعنى التضحية بالنفس عمـــدا أو تفاخـــرا بهـــدف لفت الأنظار ٠

وكان معظم المسيحيين يستطيعون أن يعيشــوا حياتهم ويمارسوا عبادتهم مراعين ما يسمى فى لغة العصر الحالى « المحافظة على شكليات القانون » ٠ ولكن بعضهم أحسوا بأنهـم مضطرون لاعلان ايمانهم ، بينما وجد آخرون أنه من المســتحيل عـدم الاعتراض على المحاكمات الظالمة للمسيحيين ، ومن هنــا دخلوا فى صــدام مع القانون ؛ وقد وقع الكثير من المســيحيين هؤلاء الذين ذاقوا الموت بســبب الشهادة لعقيــدتهم فأصبحوا شهداء ، بينما ظن آخرون أن الاستشهاد تفريط فى الحياة وهو لذلك ضد ارادة الله ٠

وقد تشكلت أول جماعة لأتباع المسيح فى أورشليم بعـد موته مباشرة ، بالرغـم من أن اصطلاح « مسيحيين » بوصــفه كلمة لا تعنى السبب ، قد استخدم لأول مرة حوالى سنة ٥٥ للميلاد بمعرفة جماعات أخرى تشكلت فى انطاكية بسوريا ٠ وقد انتشرت المسيحية فى ولايات الامبراطورية الرومانية على يد الرسل الذين خرجوا للتبشير بالانجيل ٠ وبينما كانت الامبراطوريــة تضمحل ، كانت العقيدة الجديدة تنتشر

تدريجيا حتى انه عند نهاية القرن الثالث الميلادى كان نصف سكان الامبراطورية قد أقر بايمانه بالمسيح •

ولم يكن هناك تنظيم مركزى للكنيسة الأولى وكان أعضاؤها ينتمون الى معتقدات شديدة الاختلاف : تعكس لدى كل جماعة عادات وممارسات البلد الذى تنتمي اليه • أوضح القديس بولس هذه النقطة في قوله « صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما » (*) • وقد أسست المسيحية العديد من عاداتها وطقوسها حسب الأشكال اليهودية، ولكنها اعتمدت أيضا شعارات ومناسبات مأخوذة عن عقائد وثنية (**) منها على سبيل المثال أن تاريخ ميلاد السيد المسيح لم يكن معروفا ، ولذلك تم اختيار يوم ٢٥ ديسمبر (***) لكى ينافس مع عيد ميثرا (اله النور عند الفرس) الذى كان يحتفل به في هذا اليوم • أما المبادىء الثلاثة الأساسية الأخرى التي أقام عليها المسيحيون سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت أو أرثوذكس معتقداتهم ـ وهى قانونية أسفار العهد الجديد ، والاعتراف بقانون الايمان • والبناء التنظيمى للكنيسة ـ فانها لم تظهر الا عند نهاية القرن الثانى الميلادى •

(★) اكو ٩ : ٢٢ ـ (المترجم) •

(★★) لم تأخذ المسيحية شيئا عن اليهودية أو العقائد الوثنية ولكنها اقرت الأسفار المقدسة والتقاليد لأنها كانت تشير بروح النبوة الى حقائق العهد الجديد التى جاءت بها المسيحية ، ولذلك فان الكتاب المقدس يتكون من قسمين ، هما : العهد القديم أو الأسفار المقدسة فى اليهودية ، ثم العهد الجديد وهو الذى يتضمن الأناجيل الأربعة التى تحتوى على سيرة ومعجزات وتعاليم السيد المسيح بالاضافة الى الرسائل التى يؤمن المسيحيون بأن الرسل الذين كتبوها قد ارشدهم الوحى اثناء كتابتها فجاءت متضمنة للايمان المسيحى • اما عن العقائد الوثنية خاصة ديانة قدماء المصريين التى دعت الى التوحيد فى بعض فتراتها ، فقد حفلت هى الأخرى بالكثير من الاشارات التى تمهد للمسيحية لأن الله حسب قول الكتاب المقدس لم يترك نفسه بلا شاهد فى أى عصر او اية امة ، ولو ترك هذه الامم فى خضم الوثنية لما عاش العالم الى اليوم ـ (المترجم) •

(★★★) كيف تقول المؤلفة أن تاريخ ميلاد السيد المسيح لم يكن معروفا ، رغم أن الكنيسة القبطية ق. حددته فى ٢٩ كيهك منذ القدم ؟ (انظر فى ذلك للمترجم هذا الكتاب مؤلفا صغيرا بعنوان · التاريخ لأحداث الميلاد ـ المترجم) •

وفى القرن الثانى الميلادى نظمت الكنيسة فى شكل نظام متدرج من الرتب الكنسية ، يتكون من الأساقفة والقساوسة والشمامسة هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم الوصاية على العقيدة الصحيحة ، وكان كل من يختلف مع التعريف الذى وضعوه للعقيدة الصحيحة يتهم بالهرطقة • وقد أعلن ايريناؤس أسقف ليون سنة ١٠٠ للميلاد أنه لا توجد الا كنيسة واحدة فقط وأفرادها هم أصحاب الفكر المستقيم وهم المسيحيون الأرثوذكس (*) •

وقد ساعدت طبيعة الامبراطورية الرومانية على نشر المسيحية فى أرجائها • وان شبكة الطرق التى ربطت بين المدن الرومانية ، والسهولة النسبية للسفر فى سفن تبحر فى بحار آمنة من هجمات القراصنة بفضل قوة روما ، لم تسهل فقط شئون الحكومة والتجارة ولكنها أيضا سهلت رحلات المبشرين المسيحيين • وعلاوة على ذلك ، فان اللغتين الشائعتين فى الامبراطورية الرومانية وهما : اللاتينية واليونانية كانتا أيضا هما اللغتين المستخدمتين فى المسيحية •

ويعتبر القديس مرقس الانجيلى حسب ما ورد فى التقليد المقدس هو أول من أدخل المسيحية الى مصر • ولتحقيق ذلك تبع خطوات العائلة المقدسة التى هربت الى مصر قبل ذلك بسنوات حتى تتجنب انتقام هيرودس (**) • ويذكر يوسابيوس القيصرى فى كتابه المعروف باسم « تاريخ الكنيسة Ecclesiastical History » الذى كتبه فى بداية القرن الرابع للميلاد أن القديس مرقس وصل الى الاسكندرية فى السنة

(*) يحدثنا الكتاب المقدس فى سفر أعمال الرسل عن اقامة أساقفة وقسوس وعن استشهاد أول شهداء المسيحية وهو رئيس الشمامسة اسطفانوس مما يفيد بأن هذا التنظيم موجود منذ البداية ، علما بأن أعمال الرسل كتبه القديس لوقا سنة ٦٣ للميلاد — (المترجم) •

(**) هذا الكلام غير صحيح ؛ لأن القديس مرقس جاء الى مصر من ليبيا حيث اتجه اليها عن طريق الصحراء الغربية مارا ببعض بلاد الوجه القبلى ثم شمالا الى بابليون ومنها الى الاسكندرية سنة ٦١ م • (المترجم) •

الأولى أو الثالثة لحكم الامبراطور كلوديوس (ربما كانت سنة ٤١ ــ ٤٢ أو ٤٣ ــ ٤٤ للميلاد) (*) • بما لا يزيد على عشر سنوات بعد موت المسيح الذى يقال حسب التقليد انه حدث سنة ٣٣ للميلاد • واستقر فى الحى اليهودى بالاسكندرية • وقد قيل ان أول من آمن على يديه كان اسكافيا يدعى حنانيا أو انيانوس ، وعلى كل حال ، فقد كان اليهود المصريون حاضرين يوم عيد الخمسين Pentecost عندما حل الروح القدس على المؤمنين فى أورشليم حسب ما ورد فى سفر أعمال الرسل ٢ : ١٠ ، ومن الممكن أن يكون بعضهم قد عاد الى مصر مبتدئين فى تحويل المصريين رفقائهم الى المسيحية قبل وصول القديس مرقس الى الاسكندرية •

ويرجع الفضل الى مرقس الرسول فى تأسيس بطريركية الاسكندرية أو الكرازة المرقسية التى صار أول بطريرك لها • ولا نعلم تاريخ ذلك ، لأنه ربما لم يجد وقتا لهذا العمل خلال رحلته الأولى التى تبدو أنها كانت قصيرة ، ومن المعروف أنه كان فى انطاكية بسوريا سنة ٤٦ ، وفى سنة ٤٧ كان فى قبرص ، وعاد مرة أخرى الى انطاكية فيما بين عامى ٤٩ ــ ٥٠ ، وكان مع القديس بولس فى روما من سنة ٥٨ الى سنة ٦٢ ، ولذلك فان السنوات ما بين ٥٠ ، ٥٨ غير معلومة ، ومن الممكن أن يكون قد عاد الى الاسكندرية خلال هذه السنوات لتأسيس الكرازة ، وعلى أية حال ، فان رئيس الكنيسة القبطية فى مصر يدعى بلقب « بطريرك الكرازة المرقسية وبابا الاسكندرية » • وعندما غادر القديس بولس روما سنة ٦٢

(*) لم يحدد يوسابيوس فى الفصلين الخامس عشر والسادس عشر من الكتاب الثانى اية تواريخ بالنسبة لكتابة انجيل مرقس او وصول القديس مرقس الى مصر عامة او الاسكندرية خاصة ولكننا نعرفها من مصادر اخرى ، ولذلك فان المؤلفة جانبها التوفيق فى ذكر هذا التاريخ ونسبته الى يوسابيوس (انظر الترجمة العربية لكتاب يوسابيوس تحت اسم : تاريخ الكنيسة • ترجمة القمص مرقس داود ــ ص ٨٨ ــ ٨٩) • (المترجم) •

للميلاد ربما كان مرقس قد تركها أيضـا وعاد الى الاسكندرية حيث استشهد فى ٢٥ أبريل سنة ٦٣ م (*) ·

وسواء أتي القديس مرقس بالمسيحية الى مصر أم لا فمن الواضح أنه لم يقابل فى البداية بنجاح كبير · ان بداية الكنيسة فى الاسكندرية هى التعبير الرئيسى عن المسيحية فى مصر ·

ولما كانت روما قد اعتبرت المسيحية شـيعة يهودية ، فقد عانت المسيحية خلال الاضطهاد الرومانى من يهود الاسكندرية فى القرن الأول الميلادى · ويعتبر التاريخ المبكر للكنيسة فى الاسكندرية غامضا بالرغم من وجود دلائل على أن العديد من المسيحيين لم يفرقوا فى البداية بين المسيح والاله سرابيس ، ويبدو أنهم عبدوا الاثنين معـا · وكما ذكر الإمبراطور هادريان (١١٧ ـ ١٣٨ م) فى رسالة الى سرفيانوس فانه حتى هؤلاء الذين كانوا أسـاقفة للمسيح انبطحـوا على وجوههم أمام سرابيس · وعلى ذلك فقد شهدت الأيام المبكرة للكنيسة فى الاسكندرية خلطا ما بين اليهودية والمسيحية والفلسفة اليونانية والعقائد الوثنية ، مع قدر كبير من السحر · وكانت أكثر هذه الطوائف شعبية هى الطائفة الغنوسية التى كان أتباعها أعضـاء فى جماعة دينية فلسفية ربطت بين مبادىء المسيحية وأفكار الفلاسفة الاغريق مع الصوفية الشرقية · وكان أكثر الناس تأثيرا اثنين من الغنوسـيين هما باسيليدس الذى علم فى الاسكندرية وفالنتينوس الذى تعلم هناك ·

ويقدم لنا يوسابيوس قائمة بأسماء بطاركة الاسـكندرية الذين خلفوا مرقس الرسول ، وعلى أية حال ، فان العديد من النقات راغبون عن

(*) أرقام السنوات التى أوردتها المؤلفـة فى هذا الكتاب تتبع التقويم الميلادى الغربى الذى يتقدم على التقويم الشرقى القبطى بثمانى سنوات ونرجو ملاحظة ذلك فيما يلى من تواريخ علما بأن ما نورده نحن فى الحواشى عبـارة عن تواريخ السنوات حسب التقويم الشرقى القبطى ، وعلى أية حال ، فان شهادة القديس مرقس كانت فى ٢٦ ابريل سنة ٦٨ · (سنكسار ٣٠ برمودة) ـ (المترجم) ·

قبول الاعتماد على صحة الأسماء التسعة الأولى نظرا لأن فترات حبريتهم متساوية وكل منها يصل الى حوالى ١٢ سنة ، أما البطريرك الحادى عشر يوليانوس (تنيح سنة ١٨٨) فقد كان على ما يبدو شخصية تاريخية بارزة لأنه حسب ما ذكر يوسابيوس كان يترأس العديد من الابرشيات فى الاسكندرية ، مما يبين أن الكنيسة الأولى فى الاسكندرية كانت مشابهة لمثيلتها فى روما مقسمة الى أبرشيات ، مع احتمال أن يكون لكل ابرشية شيخها الخاص بها أى رئيس الكهنة أو القسوس elder .

وخلف يوليانوس ديمتريوس (١٩٠ ــ ٢٣٣ م) الذى بدأ به تاريخ الكنيسة فى مصر ، ذلك أنه مع بداية حكم الامبراطور كومودوس (١٨٠ ــ ١٩٢) رسخت أسس المسيحية فى الاسكندرية بما يتجاوز دورها كقوة فكرية · وكان المجتمع المسيحى يتمتع بغالبية من اليونانيين مع القليل من اليهود الذين يتحدثون اليونانية والمواطنين المصريين ·

وكان جيد التنظيم ، فالكنيسة لها معلموها الذين يستخدمون طريقة السؤال والجواب فى التعليم Catechetes ، وكان البعض منهم قساوسة معتمدين ، والبعض الآخر غير ذلك ، وكان عملهم هو اجابة الأسئلة التى تدور حول المسيحية واصدار التعليمات للموعوظين (*) الذين يقدمون فى النهاية للمعمودية · وفى حوالى سنة ١٨٠ صار بانتينوس رئيسا لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، وكان ناجحا مع تلميذه اكليمندس Clements الذى نجح هو الآخر مع تلميذه أوريجانوس Origen وهما اثنان من كبار معلمى المسيحية ·

ومن المرجح أن يكون تيتوس فلافيوس كليمنس (١٦٠ ــ ٢١٥) الذى عرف باسم العلامة اكليمندس قد ولد فى أثينا · وهو فيلسوف

(*) الموعوظون هم الذين يرغبون فى دخول المسيحية وكان لهم فى كل كنيسة رواق خاص بهم يسمى رواق الموعوظين ويستمعون فيه الى القراءات والمواعظ فقط حتى يتأهلوا لدخول المسيحية ــ (المترجم) ·

قضى زمنا طويلا متجولا بين مراكز التعليم فى بلاد اليونان وايطاليا والشرق قبل وصوله الى الاسكندرية ، حيث تحول الى المسيحية ، وأصبح من شيوخ الكنيسة وتدرج فى المناصب التعليمية حتى أصبح رئيسا للمدرسة ٠

وقد كتب اكليمندس العديد من المصنفات ذات الأهمية ، ويحتمل أن تكون ثلاثة منها وهي : تحريض الأمم Protreptikos والمرشد Paidagogos والمتنوعات Stromaties هي التى شكلت أسس محاضراته في المدرسة ٠ ويعتبر مصنفه « تحريض الأمم » دعوة الى الوثنيين لاعتناق المسيحية ، وهو الذى تضمن الهجوم على الوثنية كما أنه هو المصنف الذى وضعه لمناشدة المثقفين قبول التعليم الجديد ٠ أما « المرشد » فهو دليل يتضمن ارشادات فى الأخلاق والسلوك المسيحى فى الحياة اليومية ، ويتجه مباشرة نحو المشكلات التى أحاطت بأفراد الطبقات العليا فى الاسكندرية هؤلاء الذين لم ينصحهم بترك ثرواتهم ، ولكن بالتأمل فى الأمور الرفيعة ٠ أما « المتنوعات » فانه يتضمن مجموعة من الكتابات المتعلقة بالموضوعات الفلسفية واللاهوتية والتاريخية ، وهذا المصنف يقدم لنا اكليمندس فى أرفع مواهبه وهو يبرهن لنا على عظمة الفلسفة المسيحية مقارنة بالفلسفة اليونانية ٠ وتشتمل أعمال اكليمندس على بيانات ومقتطفات منقولة عن بعض الفلاسفة الوثنيين القدماء والمفقودة حاليا ، فهو على سبيل المثال ، يرجع الى أعمال حوالى ٣٠٠ من المفكرين الصغار غير المعروفين ، كما يكشف عن خبرته بالعبادات اليونانية السرية ، ويبدو أنه بذل جهدا مضنيا فى دراسة الآلهة المصرية القديمة (*) ٠

وكان اكليمندس قوى التأثير فى الكنيسة المبكرة بالاسكندرية فقد أتاحت دراساته المتقدمة فى التصوف والرمزية سهولة تفسير الكتابات

(*) للمزيد من المعلومات عن حياة ومؤلفات اكليمندس انظر كتاب : تاريخ الكنيسة القبطية ـ تأليف القس منسى يوحنا ـ ص ص ٤٣ ـ ٤٤ ـ (المترجم) ٠

المسيحية ، كما أتاح تصميمه على تكوين مدخل عقلى للمسيحية معاونة الكنيسة فى كسب الاسكندريين الذين ينتمون الى مذاهب شتى ، بالاضافة الى حبهم للعقائد السرية والتفسيرات الرمزية · ولــكن علمه الواسع وسمعته الذائعة كفيلسوف تلك التى أثارت الكثير من اعجاب معاصريه ، قادته أحيانا لوضع تعبيرات اعتبرتها الأجيال التالية هرطقة ، مما دفع بالكنيسة الأرثوذكسية الى تجريده من لقب (قديس) · وفى سنة ١٧٤٨ حذف البابا بندكت الرابع عشر اسمه من التقويم الرومانى ·

أما أوريجانوس فقد ولد فى الاسكندرية حوالى سنة ١٨٥ وهو ابن ليونيدس أحد المسيحيين · وبعد سبعة عشر عاما أى فى سنة ٢٠٢ زار الامبراطور سبتميوس سفيروس مصر ، وأصدر بعد الزيارة مرسوما امبراطوريا بتحريم اعتناق اليهودية أو المسيحية · وقد أثر ذلك المرسوم فى أساقفة وطلبة مدرسة الاسكندرية اللاهوتية بوجه خاص ، بالرغم من أن عقوبة التعدى لم تكن الاعدام بل النفى أو الأشغال الشاقة فى المناجم الامبراطورية · وكانت عقوبة الاعدام هى التى تطبق فى النهاية بسبب رغبة المتهم فى الاستشهاد ·

وقد ذكر كاتبو سير القديسين أن ليونيدس وضـع فى السجن ، أما ابنه الشاب أوريجانوس فقد حثه على الاستشهاد لأنه أفضل من انكار المسيحية · وقد قطع رأس ليونيــدس فى حينه ، بينما حالـت الحيلة الســـاذجة التى لجأت اليها أم أوريجانوس دون خروجه طلبا للاستشهاد وذلك باخفائها ملابسه ، وقد عال أوريجانوس أمه وأخته بعد استشهاد والده باتخاذه مهنة تدريس علم النحو · وفى سن الثامنة عشرة عين مدرسا فى المدرســـة التى كان يرأسها اكليمندس ، وكان يقوم بالتدريس للذكور والاناث الراغبين فى نوال المعمودية المسيحية · ولجأ أوريجانوس الى اخصاء نفسه منعا لأية فضيحة قد تنجم عن الادعاء بوجود علاقة بينه وبين احدى الطالبات · وقد أسف فيما بعد لاتخاذه هذا الاجراء

(*) كلمة هرطقة فى المصطلحات الكنسية تعنى الخروج على بعض أو كل مبادىء المسيحية المتعارف عليها ، والمؤيدة بنصوص الكتاب المقدس وأقوال الآباء · والهرطوقى هو من يتهم بذلك ـ (المترجم) ·

ولكنه التمس له مبررا حينذاك بما ورد فى العهد الجديد (مت ١٩ : ١٢) من حديث السيد المسيح عن هؤلاء « الذين خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات » وأن « من استطاع أن يقبل فليقبل » •

وبعد موت سبتميوس سفيروس سنة ٢١١ للميلاد ذهب أوريجانوس الى روما حيث وجد الكثير من المعجبين به ، ولكنه عاد الى وطنه وعاود العمل بالتدريس بناء على طلب ديمتريوس بطريرك الاسكندرية الثانى عشر • وكان قد ظل فترة طويلة تلميذا مخلصا لاكليمندس ، ولكنه الآن وهو يريد أن يكتشف الكثير من المسالك المختلفة للفلسفة ، صار تلميذا لأمونيوس السقاس أحد علماء الفلسفة الأفلاطونية الحديثة • وبعد تقاعد اكليمندس احتل أوريجانوس موقعـه كرئيس لمدرسـة الاسـكندرية اللاهوتية أولا لأنه كان علمانيا (*) بالاسم فقط ، وبالرغم من ذلك عين فيما بعد رسميا « رئيسـا لمدرسـة الاسـكندرية » على يد البطريرك ديمتريوس •

وفى سنة ٢١٥ م زار الامبراطور كاراكلا الاسكندرية ، ولم يشعر بالسعادة ازاء ما وجده هناك • لقد أنشأ أبوه سبتميوس سفيروس قبل ذلك بمدة خمسة عشر عاما مجلسا محليا فى الاسكندرية ، وفى العديد من عواصم الأقاليم ربما فى محاولة منه لتوفير ما تتكلفه الحكومة مقابل تعيين القضـاة المحليين • وقد ترتب على هذه المحاولة التقليـل من أهميـة الاسكندرية ، بالاضافة الى تزامنها مع اضمحلال النشاط الزراعى فى مصر مع ما ترتب عليه من ضياع رفاهية الاسكندرية التى استاء سكانها بسبب تخفيض قدراتها الادارية • ولم يتباطأ الاسكندريون فى التعبير عن استيائهم ، فقام كاراكلا بمعاقبة من اتهموا بالثورة بالقتل والتجريد من امتيازاتهم الخاصة بما فى ذلك الأوقاف الموقوفة على المتحف (المكتبة) مما أدى الى أن تغلق المؤسسة التعليمية أبوابها سريعا • وأمر أيضا

(*) علمانى Layman اصطلاح كنسى يطلق على الأشخاص الذين لا يحتلون مواقع فى سلك الكهنوت وذلك فى مقابل لفظ اكليروس Clergyman الذى يطلق على المنتمين لسلك الكهنوت ـ (المترجم) •

بارتكاب مذبحة للمسـيحيين الاسـكندريين ، وأجبر أوريجانوس على الهروب الى فلسطين حيث وجد أعظم التقدير من الأساقفة المحليين الذين سمحوا له بالوعظ في اجتماعاتهم الروحية ، وقد أغضب ذلك البطريرك ديمتريوس فاستدعى أوريجانوس الى الاسكندرية ٠

لقد أصبح أوريجانوس الآن مشهورا فى كافة أنحاء العالم المسيحى الى المدى الذى أصبح يتم فيه استدعاؤه بمعرفة قادة الكنيسة الشرقية لحل مشاكلهم اللاهوتية ، ولكن هذه الأنشطة أدت الى الصدام مع البطريرك ديمتريوس الذى كان رأسا للكنيسة فى الاسكندرية ٠ وبعد سنة ٢٣٠ بوقت قصير وأثناء زيارته لليونان ، قام بعض الأساقفة من فلسـطين برسامته أسقفا ، مما عجل بالقطيعة النهائية مع البطريرك ديمتريوس الذى جرده من رتبته الكنسية ومنعه من التعليم فى الاسكندرية وحرمه ، وذلك لسببين : الأول بسبب تعليمه الهرطوقى لأن الاتهام الرئيسى ضده كان انكار العقاب الأبدى ٠ أما على المستوى الشخصى ، فكان الحرمان بسبب اخصائه لنفسه كمثال للتطرف فى التحمس (*) ٠

أما أوريجانوس الذى أبعد عن الاسكندرية ، ولم تسـانده سوى كنائس فلسطين ، والصحراء العربية ، وفينيقيا واليونان فقط ، فانه

(*) سننقل فيما يلى النص الاكثر دقة عن كتاب المؤرخة ايريس حبيب ـ قصة الكنيسة القبطية (وبعد جهاد دام ثمانى وعشرين سنة كاملة كان أوريجانس عائدا من اخائية ، فمر فى طريقه بفلسطين حيث رسمه الكسندروس اسقف اورشليم وثيوستيت أسقف قيسارية فلسطين اسقفا ، اذ كانا يريان ان معلم الأساقفة لا يصح أن يكون مجرد علمانى ٠ ولكن هذه الرسامة اغضبت ديمتريوس البابا الاسكندرى اذ عده اعتـداء على سلطته ، فجمع مجمعه ووقع الحرم على أوريجانوس ٠ ولا يعرف أحد ـ حتى الآن ـ الباعث الأساسى لتصرف البابا ديمتريوس على هذا النحو ، فهو الذى ائتمنه على ادارة المدرسة ولما يتجاوز الثامنة عشرة ، وهو الذى وثق به الى حد انه كان ينتدبه لنقض البدع التى كانت تتفشى فى مختلف البلاد ، فما الذى اثاره فجعله يوقع الحرمان على المعلم الأول للكنيسة ؟ ان الجواب الوحيد للآن هو أن الانبـا ديمتريوس استند فى حكمه هذا الى ما اقدم عليـه أوريجانوس من خصيه لنفسه) ٠

(انظر : ايريس حبيب المصرى ـ قصة الكنيسة القبطيـة ـ الجـزء الأول ـ فقرة ٤٤ ـ ص ٦٦) ـ (المترجم) ٠

تقهقر الى قيصرية بفلسطين وذلك فى سنة ٢٣١ م ، وهناك رحب به الأسقف ثيوكريستوس وسمح له بتفسير وشرح الكتاب المقدس • وبعد وصول أوريجانوس الى قيصرية بقليل ، تنيح البطريرك ديمتريوس ، وخلفه البطريرك ياروكلاس الذى لا نعرف عنه الا القليل فيما عدا أنه كان تلميذا لأوريجانوس ، وأنه كان أول من أطلق عليه لقب بابا من بطاركة الاسكندرية • بقى أوريجانوس فى المنفى حيث ظلت آراؤه تدرس بمعرفة القيادات المسيحية ، ثم دعى للسفر الى الصحراء العربية سريعا لدحض آراء الأسقف بيريللوس الذى أكد أن الطبيعة الالهية للمسيح لم تكن موجودة قبل الطبيعة البشرية • وقد نجح أوريجانوس فى اقناع بيريللوس وجعله يتراجع عما ادعاه مستخدما فى ذلك الكياسة ، فدعا الأساقفة العرب أوريجانوس لحضور مجمع اتهم فيه بعض الهراطقة بالقول بأن الروح والجسد كلاهما يموتان • ومرة أخرى ، كان أوريجانوس شديد الاقناع بحيث استطاع أن يكسب الهراطقة الى صفه •

وأوريجانوس كاتب غزير الانتاج ، فقد قيل انه أنتج ٦٠٠٠ عمل لم يبق منها الا مخطوطات قليلة ، وهذه قد بقيت فقط فى شكل اقتباسات فى أعمال كتاب مثل باسيليوس الكبادوكى وجيروم وروفينوس الذين ترجموا أعظم كتابات أوريجانوس الى اللاتينية فى كتاب عنوانه : عن المذاهب الأساسية on the principal Doctrines وقد بقيت الى الآن شذرات من كتابه : الأساسيات De principiis ، ومازال كتابه : الحض على الاستشهاد Exhortation to Martyrdom باقيا وكذلك تفسيراته للعهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس • وكان متخصصا فى نقد نصوص الكتاب المقدس بمقارنة النصوص اليونانية مع العبرية الأصلية ، وحسب التقليد المقدس فاننا نعرف أن بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) (٢٨٥ — ٢٤٦ ق٠م) قد أمر بترجمة العهد القديم الى اليونانية ، وهى الترجمة السبعينية Septuagent نسبة الى عدد أعضاء اللجنة الذين أنتجوها وكان عددهم ٧٠ شيخا ، وأنجزوها فى سبعين يوما ، لكى يستخدمها يهود الاسكندرية • وهذه الترجمة الأخيرة أدت الى

خلاف بين المسيحيين واليهود الذين اعترضوا على الترجمة من العبرية الى اليونانية • وقد أنتج أوريجانوس نسخة جديدة من العهد القديم وضع فيها النصوص المختلفة فى ستة أعمدة متوازية ، ولذلك سميت باسم Hexapla ، وهى مدونة من اليســـار الى اليمين • وكان العمود الأول يتضمن النص العبرى ، ثم يليه العمود الثانى حتى السادس ، وتضمنت الأعمدة الخمسة التالية للعمود الأول كتابة العبرية بحروف يونانية ، فنجد فى العمود الثانى ترجمة أكويلا ، وفى العمود الثالث نســـخة سيماخوس Symmachus ، وفى الرابع نص الترجمة السبعينية بعد مراجعته ، وفى الخامس ترجمة ثيودوتيون •

ومن أعمـــال أوريجانوس الرئيســـية كتابه : ضـــد سلسوس Contra Celsum وهو تفنيد للهجاء الذى أطلق عليه اسم « البيان الحقيقى » الذى كتبه سلسوس وهو أحد الفلاسفة الأبيقوريين فى القرن الثانى ، ضد المسيحية • لقد ضاع كتاب سلسوس الأصلى ولكن مازالت قطع طويلة منه تعيش كمقتطفات فى كتاب Contra Celsum ، وقد اعتبر تفنيد أوريجانوس لكتاب سلسوس لدى الكثيرين بأنه أكمل وأكثر الدفاعات عن المسيحية اقناعا ، بخلاف جميع الكتابات الأخرى التى كتبها المؤلفون القدماء •

وفى سنة ٢٤٩ م أصبح داكيوس امبراطورا ، وأصدر أمره باضطهاد المسيحيين فى كافة أنحاء الامبراطورية ، وجرى تنفيذ الأمر بدون رحمة ، فكان واضحا أن داكيوس يعمد الى افنائهم ، أما أوريجانوس الذى كان يعتبر أحد أعمدة الكنيسة فقد تم القبض عليه ، وتعذيبـه بقسوة وبرغم اطلاق سراحه الا أنه مات فى مدينة صور سنة ٢٥٤ م نتيجة لمعاناته • وقد ازدهرت مدرسة الاســـكندرية التى كان اكليمندس وأوريجانوس نجمين يضيئان ســماءها ، فى عصر البطريرك ديمتريوس (١٨٨/٩ ـ ٢٣١ م) ولكن بعد تناحره مع أوريجانوس اضمحل دورها ، حتى دمرت نهائيا فى القرن الرابع فى عصر البابا الثالث والعشرين ثيوفيلوس • ومن

ذلك الوقت فصاعدا أصــبح كبار اللاهوتيين من البابوات مثل كيرلس وأثناسيوس • وعلى أية حــال فانه قبل حدوث ذلك كانت كنيســة الاسكندرية قد بدأت تتمتع بمكانة عظيمة الأهمية وامتد تأثيرها الى كل أنحاء العالم المســيحى بوجه عام ، ويرجع الفضل فى ذلك الى البابا دايونيسيوس وهو تلميذ سابق لأوريجانوس ، وكان قد أصبح رئيسا للكنيسة فى عصر البطريرك هرقل (*) ثم صار هو البطريرك الرابع عشر بعده وبقى فى هذا الموقع ١٧ عاما • وابتداء من عصره فصاعدا تم الاعتراف ببابوات الاسكندرية كرؤساء للكنيسة العالمية وقادة لأمتهم •

وبمجرد أن أصبح دايونيسيوس بابا للاسكندرية بدأ مرســوم داكيوس الاضطهادى الذى استغرق من سنة ٢٤٩ حتى سنة ٢٥١ م ، وتم تطبيقه على المسيحيين فى كافة أرجاء الامبراطورية • واستشهد أوائل الشهداء فى الاسكندرية وكانوا أربعة من بينهم أبوللونيا التى حطموا فكيها أثناء استشهادها ، مما جعل هذه العذراء المتقدمة فى السن تصبح هى القديسة حامية الذين يعانون من آلام الأسنان • ويبدو أن استشهادها هذا قد حدث أثناء الفوضى وسلب ممتلكات المسيحيين وذلك قبل وصول المرسوم الامبراطورى • وليس من الواضح ما اذا كان جميع السكان قد نفذ فيهم هذا المرسوم أم أنه نفذ فقط فى هؤلاء المشتبه فى انتمائهم للمسيحية • وكان يطلب منهم شهادات Libelli تفيد بأن المشتبه فيهم قدموا القربان المطلوب الى آلهة الدولة • واليك نموذجا لاحدى هذه الشهادات الصادرة من البهنسا Oxyrhynchus •

(الى هؤلاء المســئولين عن التقدمات والتضــحيات بالمدينة من أوريليوس ••• نظرا لأننى تعودت على تقديم التضحيات وسكب النبيذ للآلهة ، فقد فعلت ذلك فى حضوركم حسب الأوامر • لقد سكبت النبيذ ، وقدمت التضحية ، وتذوقت التقدمات ، مع ابنى

(*) سبق للمؤلفة أن أشارت الى هذا البطريرك باسم هرقل او هيراكليس ولكن اسمه كما ورد فى كتب التاريخ الكنسى هو البابا ياروكلاس ــ (المترجم) •

أوريليوس ديوسقوروس ، وابنتي أوريليا لايس • انني اطلب منك اعطائي شهادة [مؤرخة] بالسنة الأولى لحكم الامبراطور قيصر جايوس ميسيوس كوينتوس تراجانوس داكيوس بيوس فيلكس المسطس ، ١٠ من شهر ياوني • [اى ١٠ أبريل سنة ٢٤٩ م]) •

ان السلوك المتوقع من المسيحيين أمام القيادات المسيحية كان يتطلب عدم سعيهم وراء الاستشهاد وعدم تفاديه • وقد قبض على البابا دايونيسيوس ، ولكن أنقذه المدعوون فى حفل عرس ، ولذلك فانه لم يدخل هذا الاختبار • وكان الكثيرون من المسيحيين قد أنكروا مسيحيتهم ، ولكن عند انتهاء الاضطهاد أبدى دايونيسيوس تفهما نحو هؤلاء المسيحيين الذين سقطوا ، وسمح بعودتهم الى أحضان الكنيسة بعد تنفيذ أحكام معينة كعقوبات • وفى سنة ٢٥٨ بدأت الاضطهادات مرة أخرى ، وهذه المرة كانت تنفيذا لأوامر الامبراطور فالريان لغرض محدد هو ضرب قادة الكنيسة ، وليس بقصد قتل شهداء وانما بقصد تحطيم التنظيم الكنسى • لقد أحضروا البابا دايونيسيوس أمام الوالى أيميليانوس ، وعرضوا عليه اطلاق حريته فى مقابل الموافقة على عبادة الله بصفته واحدا ضمن آلهة كثيرة ، ولكنه رفض فنفوه أولا الى سفرو فى ليبيا ثم الى أماكن أخرى • وبالرغم من النفى كان دايونيسيوس يقيم القداسات ، ويغير عقائد الوثنيين الى المسيحية ، ويتصل بأعضاء الكنيسة الآخرين ، حتى أمر الامبراطور جاللينوس سنة ٢٦٢ باصدار مرسوم باجازة المسيحية ، والسماح لأتباعها بالعيش فى سلام ، فعاد دايونيسيوس الى الاسكندرية •

ويبدو لنا التاريخ المبكر للمسيحية فى مصر خارج الاسكندرية غامضا • ان أول تعيينات للأساقفة فى مراكز الأقاليم أو المديريات أجراها البابا ديمتريوس (١٨٨ ــ ٢٣٠ م) ، مما يجعلنا نفترض أن المسيحية المنظمة بدأت الإنتشار فى مصر السفلى والعليا من ذلك الحين ، ولو أنها إقتصرت على التجمعات التى تكونت غالبيتها من الاغريق مثل البهنسا (أوكسيرنخوس) فى مصر الوسطى ، واخميم (بانوبوليس) فى مصر العليا ، والشيخ عبادة (انتينوبوليس) ، وكانت بلدة الشيخ عبادة

الواقعة فى مصر الوسطى مدينة أنشأها الامبراطور هادريان سنة ١٣٠ م احياء لذكرى صديقه المفضل أنتينوس الذى غرق هناك • ولابد أن الجماعات المسيحية فى هذه المراكز الاقليمية كانت قليلة العدد ، حتى فى البهنسا التى كانت أهم هذه المراكز • ولم تسجل البرديات الا كنيستين فقط أقيمتا فى هذه المراكز خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين • وقد كشفت لنا الحفائر التى أجريت فى مقابر الشيخ عبادة وأخميم والفيوم أنه حتى قرب نهاية القرن الثالث الميلادى كان الناس يدفنون حسب النموذج الفرعونى القديم فى صحبة الهى الجبانة وهما : أوزيريس وأنوبيس اللذين وجدت رسوماتهما فى زخارف صناديق المومياوات والمقابر • واكتشفت فى أخميم أعداد كبيرة من بطاقات المومياوات الخشبية التى تعود الى القرنين الثانى والثالث • وقد نقشت عليها بالديموطيقية صلاة موجهة الى أوزيريس – سوكار اله أبيدوس •

ان عامة الناس من المواطنين الذين يتحدثون اللغة المصرية كانوا جميعا متباطئين فى قبول المسيحية ، وقد تعرف البابا دايونيسيوس أثناء الاضطهاد الذى أثاره داكيوس سنة ٢٥٠ على أربعة شهداء فقط من المواطنين المصريين ، ولكنه حتى ذلك الوقت كانت الكنيسة فى مصر كنيسة للاغريق المقيمين فى مصر سواء فى الاسكندرية أو فى احدى المدن الاقليمية الاغريقية مع القليل من المصريين الذين يتحدثون اللغة اليونانية (*) •

ويبدو أنه لم تبذل أية محاولة فى السنوات المبكرة للتبشير بالمسيحية بين المصريين بلغتهم المصرية ، وحسب ما أورده يوسابيوس فان

(*) قام بنتينوس القبطى المصرى برئاسة المدرسة اللاهوتية حوالى سنة ١٨١ م ، وهو الذى استعار للغة القبطية حروف اللغة اليونانية وأضاف اليها سبعة حروف من الابجدية الهيروغليفية لتسهيل النطق ، أى أن المسيحيين المصريين استخدموا لغتهم القبطية فى أواخر القرن الثانى الميلادى مكتوبة بالحروف اليونانية • أما عن الادعاء بأن الكنيسة فى مصر كانت كنيسة للاغريق فهو قول خاطىء ، لأن المصريين دخلوا المسيحية منذ البداية ولكن كتابات الآباء الأولين كانت باللغة اليونانية لأنها كانت لغة العلم والأدب فى ذلك الزمان ، كما أن الاغريق فى مصر كانوا هم أصل البدع ، ومنها بدعة القول بطبيعتين منفصلتين للمسيح كما سيأتى فيما بعد – (المترجم) •

دايونيسيوس هو أول البابوات الذين وضعوا خطة تحويل غالبية المصريين الذين يتحدثون باللغة المصرية الى المسيحية • وخلال فترة رئاسته للكنيسة (٢٤٧ ـ ٢٦٤) بدأت المسيحية في الانتشار والازدهار في كافة أنحاء القطر المصرى •

وفى القرن الثالث الميلادى أخذت الامبراطورية الرومانية في التفكك ، وقد تولى عرش الامبراطورية خلال الفترة من ٢٣٥ ـ ٢٨٤ للميلاد ١٥ امبراطورا ، مع عدد لا يحصى من المغتصبين الذين حكموا الأقسام المختلفة من الامبراطورية • وأدى الفساد وعدم الكفاءة والبيروقراطية مع اساءة استخدام السلطة الى قرب خراب الاقتصاد ، وأخيرا الحرب الأهلية • وفقدت الحكومة المركزية في روما سلطانها على جيوش مختلف الأقاليم الذين كان ولاؤهم موجها نحو قادتهم ، وتعرضت أجزاء كثيرة من الامبراطورية لغارات البرابرة •

وفى سنة ٢٦٢ نشبت ثورة في الاسكندرية بقيادة الوالى أيميليانوس ، وتم اخمادها بصعوبة ، ثم تلاها وباء الطاعون (*) وقد سجل البابا دايونيسيوس كيف اعتنى مسيحيو الاسكندرية بالمرضى مما أدى الى موت الكثيرين منهم أثناء هذا العمل بعد اصابتهم بالطاعون ، وبعد ذلك بخمس سنوات أعلنت زنوبيا ملكة بالميرا التى ادعت بأنها تنحدر من نسل ملوك مصر المقدونيين ـ ضم مصر الى امبراطورية الشرق التى ورثتها عن زوجها أوديناتوس الذى تم تعيينه امبراطورا بمعرفة الامبراطور الرومانى جاللينوس • وكان حكمها قصيرا ؛ لأن الامبراطور أورليان الذى لم يتحمل رؤية وجه امرأة تحكم أغنى أقاليم الامبراطورية هزمها في معركة حربية سنة ٢٧٢ • وبعد ذلك بعامين أجبرت زنوبيا على اضفاء الشرف على هذا النصر فى روما ، وعادت مصر الى السيطرة الرومانية •

وفى سنة ٢٨٤ وصل الى قمة السلطة فى روما جندى من دلماطيا وهو دقلديانوس ، الذى عمل بلا خجل على اقناع الامبراطورية الرومانية

(★) يذكر القس منسى يوحنا فى كتابه : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٥ انه كان داء الدفتريا ـ (المترجم) •

بقبوله كحاكم أوتوقراطي مع تمتعه بالحق الالهي في أن يصبح امبراطورا قبل أن يبدأ في استعادة امبراطوريته المتداعية • في البداية ، قام بتحصين الحدود لطرد البرابرة ، ثم فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية وبذلك لم تعد الانقلابات العسكرية تحدث من الداخل • ثم حاول تثبيت قيمة العملة وأصدر مرسوم الأسعار الذي حدد السعر الأقصى للبضائع والأجور في كافة أنحاء الامبراطورية • وأعاد دقلديانوس تنظيم ولايات روما فضاعف من عددها كخطوة أولى ، وبذلك أضعف من قوة حكام الولايات كل على حدة ، ثم جمع بينهم في أبروشيات تضم كل منها أربعة من حكام الولايات • بعدها قام بتقسيم الامبراطورية الى قسمين لتسهيل الشئون الادارية • وكان القسمان هما الشرقي والغربي ، وتولى حكم كل من القسمين امبراطور أطلق عليه لقب أغسطس • وقام الامبراطوران بتعيين وليين للعهد أطلق على كل منهما لقب قيصر • وعلى ذلك فقد حكمت الامبراطورية حكومة رباعية مكونة من عضوين كبيرين وعضوين صغيرين • وكان كل منهم مسئولا عن منطقة محددة ، ولكن المراسيم الامبراطورية تصدر باسم الأربعة معا • واختار دقلديانوس أن يكون امبراطورا للامبراطورية الشرقية ، واتخذ من مدينة نيقوميديا التي تقع على الساحل الغربي لتركيا الحالية عاصمة له • بينما بقيت روما كما هي عاصمة للامبراطورية الغربية •

وفي سنة ٢٩٦ ثار حاكم مصر لوكيوس دوميتيوس دومنتيانوس ، فقام دقلديانوس بنفسه وقاد حصارا طويلا للاسكندرية • وعندما سقطت المدينة في النهاية ، شرع في تنظيم القطر • وحتى ذلك الحين ، كانت الادارة المصرية مختلفة عن بقية الامبراطورية في نواح عديدة • منها على سبيل المثال أن مصر كان لديها نظام خاص للتقويم ، حيث انها تستعمل سنوات حكم الامبراطور مثلما استعمل قدماء المصريين سنوات حكم الفراعنة ، كما كان لها عملتها الخاصة بها ، وقد ضاعت هذه الاختلافات بعد اعادة التنظيم التي قام بها دقلديانوس • وكانت سياسته القائمة على فصل السلطة العسكرية عن المدنية تعني أن حاكم مصر فقد

الكثير من قوته ، اذ نزعت عنه القيادة العسكرية ، وأعطيت لقائد جديد أطلق عليه لقب قائد مصر Dux ، بينما وكلت الحكومة المحلية للمجالس البلدية فى المدن ، وكان لكل منها منطقتها الخاصـــة بها داخل حدود المدينة • وكما كان فى مصر القديمة ، فقد أصبحت مصر الآن تتكون من ثلاثة أقسام أطلق عليها فيما بعد اسـم الأقاليم : القسم الأول هو غرب الدلتـــا Aegyptus Jovia ويحكمــه الوالى ، ثم شرق الدلتـا ومصر الوسطى Aegyptus Herculia ، ومصر العليا Thebaid • ويحكم كلا منهــا رئيس Praeside • وقد يسر التنظيم الجديد الذى وضعه دقلديانوس جمع الضرائب التى كانت تدفع فى شكل حبوب ، وكان الهدف منها امداد المدن الرئيسية بمواد التموين • وفى ســنة ٢٩٧ تم عمل تقدير جـديد وهو أول تقدير يعمل فى ذلك الوقت ، عـلى أن يتكرر كل خمس عشرة سنة •

وقد أدى اضعاف قوة السلطات الزمنية فى مصر الى زيادة قوة الكنيسة • وعندما صار بطرس الأول هو البابا السابع عشر ، وذلك فى سنة ٣٠٠ للميــلاد ، امتدت سلطاته كبابا للاسـكندرية فوصلت حتى قورينة فى الشمال الغربى ، كما أصبح عدد شركائه الآن ثلاثة بدلا من واحد • ولكن عندما بدأ دقلديانوس بعد ذلك بثلاث سنوات آخر اضطهاد عظيم للمسيحيين فى الدولة الرومانية ، والذى كان يعود الى رغبته فى اعادة التنظيم ، كان البابا بطرس أضعف من أن يحمى شعبه ، اذ كان المسيحيون الذين رفضوا عبادة الامبراطور يستبعدون من التنظيم (يقتلون) •

٣ ـ المسيحية فى مصر حتى سنة ٤٤٤ للميلاد

بداية الانشقاقات

بدأت اضطهادات دقلديانوس بتدمير الكنائس فى مصر وكافة أنحاء الامبراطورية ، مع احراق الكتب المقدسة وسجن قيادات الاكليروس ٠ وأتت فترة طلب فيها مرة أخرى من المسيحيين أن يثبتوا ولاءهم بتقديم التضحيات للامبراطور ، وتمثلت عقوبات الارتداد (عن الوثنية) فى الاسترقاق ، والسجن والتعذيب ، وأخيرا الموت ٠ وكانت الاضطهادات التى ارتكبها دقلديانوس فى مصر بوجه خاص قاسية ، واتخذت علامة على عصر جديد بدأ به اعلان ميلاد كنيسة مصرية بارزة الانتماء القبطى أو الوطنى منفصلة عن كنيسة الاسكندرية التى تنتسب للاغريق بصفة أساسية ٠ وقد استشهد عدد ضخم من الشهداء أثناء هذه الاضطهادات ، كان معظمهم من الوطنيين المصريين الذين يتحدثون اللغة المصرية ، ولذلك أصبحت هذه الفترة معروفة فى الكنيسة القبطية باسم « عصر الشهداء » ، ويتم الاحتفال بهذا اليوم فى التقويم القبطى وهو اليوم الذى بدأت به السنوات تدخل التقويم ابتداء من وقت اعتلاء دقلديانوس العرش ـ وهو ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية (أصبحت السنة الأولى للشهداء يرمز لها بالاختصار « ١ ش ـ 1 AM ») ٠

وفى سنة ٣٠٥ للميلاد اضطر دقلديانوس الى التنازل عن العرش بسبب حالته الصحية ، وسرعان ما تفككت امبراطوريته التى أصلح شئونها ٠ وعلى ذلك ، ففى سنة ٣١١ م كان هناك أربعة مطالبين بالحصول

على لقب امبراطور : اثنـــان منهم في الشرق هما ماكسيميانوس دايا وليسينيوس ، واثنان فى الغرب هما ماكسنتيوس وقنسطنطين • وظلت مصر لمدة ثمانى سنوات بعد تنازل دقلديانوس تحت سيطرة ماكسيميانوس دايا ، كان فيها القيصر جاليريوس ـ ولى العهد وحامى ماكسيميانوس ومستشاره ـ أشد مضطهدى المسيحيين قسوة • واستحضر جاليريوس المرسوم القديم ، وكان شديد الاخلاص للتقاليد الرومانية ، ورأى فى المسيحية تهديدا لكل ما اعتبره مقدسا ، وأن المسيحيين هم رأس الخونة بالنسبة لروما ومثالياتها • وعلى ذلك فقد كان الهدف من الاضطهادات التى أثارها ليس أقل من اســـتئصال شأفة المســـيحيين جميعا من الامبراطورية الرومانية ، واستكمل ماكسيميانوس دايا سياسة جاليريوس وتحملت مصر آثار ونتائج وحشيته •

وخلال هذه الفترة ازدادت أعداد الشهداء فى مصر ، ولكنها كانت أقل من الأعداد التى أعلنها الأقباط الغيورون تكريما للشهداء ، وعلى الرغم من هذا فهى أرقام لا يستهان بها بالنسبة لهؤلاء الذين لقوا مصرعهم بسبب أساليب الموت المبتكرة • وكان رئيس اقليم مصر العليا فى هذا الوقت هو أريانوس الذى أشرف على عمليات الاستشهاد التى حدثت فى عاصمته أنصنا Antinoë مما حول أنصنا الى مدينة مقدسة فى حين أنها لم تحسب من قبل مركزا مسيحيا •

واستمرت الاضطهادات الوحشية لمدة أربع سنوات • وذكر المؤرخ يوسابيوس أنه كان موجودا فى مصر العليا وشاهد ما يزيد على مائة شخص وهم يموتون فى يوم واحد ، وتكرر ذلك مرات عديدة ، حتى ان الجلادين خارت قواهم وكلت فؤوسهم ، وأخيرا تباطأت سرعة الاضطهاد ، ووجد البابا بطرس الأول نفسه فى موقف يحتم عليه أن يحدد الطريقة التى يعامل بها المسيحيين المرتدين ، وتصرف بتسامح وتفهم مثلما فعل البابا ديونيســـيوس من قبل : فمنح الحل للذين ارتدوا تحت وطأة التعذيب بشرط أن ينفذوا عقوبة ممثلة فى الصوم ، فهؤلاء الذين ارتدوا بسبب السجن يصومون لمدة ستة أشهر ، أما الذين لم يكن لهم عذر فقد

كان عليهم أداء الصوم لمدة ثلاث سنوات • وهناك بعض حالات الارتداد عوملت بدرجات عجيبة من التسامح ، فان الذين دفعوا أموالا لاعفائهم من تقديم القرابين للآلهة الرومانية ، على سبيل المثال ، تمت تبرئتهم على أسـاس أنهم اختاروا التخلى عن ممتلكاتهم بدلا من انكـار عقيدتهم • ولم يكن جميع المســيحيين فى مصر سعداء بالتسامح الذى أبداه البابا بطرس ، اذ اعترض ميليتيوس أسقف أسيوط ، وأصر على ضرورة تطبيق عقاب أشد فى التعامل مع هؤلاء الذين انحرفوا عن الايمان •

وعلى أية حال ، فابتداء من ذلك الوقت اتهم ميليتيوس نفســه بمخالفات ادارية ، مع التدخل فى شئون الابرشيات الأخرى غير التابعة له ، فأحاله البابا بطرس الى التحقيق ، وعلى ذلك بدأ الانشقاق الذى قاد أتباعه الى الانفصال فظهرت شيعة ميليتيوس •

وفى سنة ٣١١ ميلادية ، رق قلب جاليريوس وهو على فراش الموت فأصدر بالتضامن مع قنسطنطين وليســينيوس مرسوم سرديكا (صوفيا) مانحا حرية العبادة لجميع أتباع العقيدة المســيحية ، ولكن مكسيميانوس دايا رفض تنفيذ المرسوم ، وبذلك استمرت الاضطهادات في مصر عامين آخرين حتى تمت الاطاحة بمكسيميانوس • وأثناء هذه الفترة قبض على البابا بطرس وقطع رأســه يوم ٢٩ نوفمبر سنة ٣١٠ ميلادية بدون محاكمة • وانتهت باستشهاده أسوأ الاضطهادات ، وأصبح البابا بطرس يعرف فى الكنيسة القبطية باسم آخر الشهداء أو خاتم الشـــهداء •

وتمثل سنة ٣١٣ ميلادية ليس فقط سقوط مكسيميانوس بل أيضا نهاية الوثنية فى الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور قنسطنطين • ولد قنسطنطين الكبير فى سنة ٢٧٤ م وهو ابن قنسطنطينوس أحد نواب دقلديانوس في الغرب ، وقد ولدته له زوجته المسيحية القديسة هيلانة ، التي كانت من قبل خادمة • واشـــتهرت بعد أن أصبحت امبراطورة بالرحلة التى قامت بها للبحث عن الصليب الحقيقى الذى صلب عليه

السيد المسيح والذى وجدته فى فلسطين • وعندما تقاعد دقلديانوس ، انضم قنسطنطين الى أبيه في بريطانيا ، وبعد ذلك بعام واحد أى فى سنة ٣٠٦ للميـــلاد وبعد وفاة والده اختاره الجنود ليـــكون امبراطورا أى أغسطس • ولم يكن جاليريوس موافقا على تعيين قنسطنطين ومنحه لقب أغسطس فأعطاه لقب قيصر فقط • وأحكم القيصر الجديد قبضته على البلاد التى كانت خاضعة لأبيه وهى بلاد الغال واسبانيا وبريطانيا • وفى سنة ٣١٢ تقدم الى روما حيث استطاع فى ٢٧ أكتوبر هزيمة خليفة جاليريوس أى ماكسنتيوس فى موقعة جسر ملفيا الشهيرة Melvian Bridge وأصبح بذلك هو الامبراطور الوحيد فى الغرب • وقد صرح قنسطنطين بأنه شاهد رؤيا سماوية أثناء حملته فى ايطاليا ، اذ رأى صـليبا مضـــيئا فى الســـماء وقد كتبت عليه عبـــارة : بهذا تنتصر In hoc signo vinces فى الليلة التالية قيل ان السيد المسيح ظهر له وأمره بأن يتخذ الصليب شعارا له • وبذلك اتخذ قنسطنطين هذا النموذج labarum الذى على شكل صليب منير ، وفى الوقت نفسه تخلى عن تبعيته لاله الشمس ، وأعلن اختياره للمسيحية •

وفى سنة ٣١٣ م أصبح ليسينيوس هو الحاكم الوحيد للامبراطورية الشرقيـــة ، وأعلن بالاشـــتراك مع قنســـطنطين مرتســـوم ميـــلان Edict of Mediolanum ، الذى منح لكل شخص الحق فى حرية عبادة الاله الذى يختاره • وقد أعاد هذا المرسوم للمسيحيين كافة الأملاك التى أخـذت منهم أثناء الاضـــطهادات ، ومنحهم أهلية التعيين فى المناصب العـــامة •

وبالرغم من أن ليسينيوس كان متزوجا من ابنة قنسطنطين الا أنه تنمر على شريكه فى الحكم ، ورفع ضـده السلاح ، وتقابلا فى معـركة بانونيا سنة ٣١٤ حيث استطاع قنسطنطين الذى كان يحارب تحت راية الصليب المنير محاطا بالأساقفة والقساوسة المسيحيين أن يهزم ليسينيوس ثم عفا عنه • ولكن ليسينيوس جدد العداء فهزم مرة أخرى فى سنة ٣٢٤

ولكنه فى هذه المرة نال الاعدام • وعلى ذلك أصبح قنسطنطين هو الحاكم الأوحد للامبراطورية الرومانية حتى موته فى سنة ٣٣٧ •

كانت مهمته الأولى تتمثل فى منع تفكك الامبراطورية ، ولتحقيق هذه الغاية قام باعادة تنظيم الجيش ، وحقق اصلاحات عديدة فى حقوق حيازة الأراضى والملكية والعدالة ، وقرر أيضا أن روما لم تعد مناسبة كعاصمة للامبراطورية التى تمتد حدودها الشمالية من الراين والدانوب الى حدودها الجنوبية عند الفرات ، ولذلك اختار موقع عاصمة جديدة على مضيق البسفور ذى الأهمية الاستراتيجية فى مدينة بيزنطة وبنى فوقها مدينة القسطنطينية (اسطنبول الحالية) وذلك فيما بين سنتى ٣٢٤ ـ ٣٣٠ م •

وبدأ قنسطنطين اصلاحا عظيما : اذ بدأ فى تحويل الامبراطورية الرومانية من الوثنية الى المسيحية التى اعتبرها « الديانة الأكثر شرعية والأكثر قدسية » • ورأى قنسطنطين فى المسيحية الأسلوب المثالى لتوحيد مختلف الأجناس المتنوعة التى تكونت منها الامبراطورية ، وكان يتحرك باحساس الرسالة المقدسة معتبرا نفسه ثالث عشر تلاميذ المسيح بالرغم من أنه لم ينل المعمودية حتى نهاية حياته ربما لاحتمال ارتكابه آثاما تحول بينه وبين الملكوت ، ولذلك أجل العماد حتى النهاية حتى يدخل الملكوت فى حالة نقاء وطهر (*) وكان لمرسوم ميلانو الذى أعلنه قنسطنطين وليسينيوس فى سنة ٣١٣ تأثير عميق على المسيحيين فى مصر • لقد منحهم حق اختيار العقيدة دون خوف من الاضطهاد ، وبذلك بدأ المصريون فى التحول الى المسيحية • ويبدو أن انتشار هذه العقيدة فى كافة أرجاء مصر عند بداية القرن الرابع قد حدث فى سرعة تلفت الأنظار • ويعود الفضل فى ذلك بداية الى التبشير بالانجيل باللغة الوطنية

(*) هذا التفكير ساذج لان احدا لا يعرف وقت وفاته ولذلك رتبت الكنيسة القبطية الارثوذكسية ان يتم نوال سر المعمودية للأطفال عند بلوغ سن اربعين يوما والبنات ٨٠ يوما ، ويمكن تعميد الطفل قبل هذه السن اذا اتضح وجود خطر او مرض يحول دون بلوغها ـ (المترجم) •

وهى عملية بدأها البابا دايونيسيوس فى أواســـط القرن الرابع ، ثم الجهد المضنى الذى بذله المعلمون ، والذى نتج عنه الدخول الجماعى .

وخلال هذه الفترة أصبح كرسى الاسكندرية مقر الكرازة المرقسية هو الأهم فى كافة أرجاء العالم المسيحى . وأصبحت الاسكندرية مع عظمة مؤسسها التى انعكست عليها . فى طليعة مدن الشرق ، وهو مركز ظلت تتمتع به حتى نشأة القسطنطينية . وكانت مدرســة الاسكندرية اللاهوتية هى الكرسى الوحيد للتعليم المسيحى . وكان بابا الاسكندرية فى ذلك الوقت هو الأسقف الوحيد الذى يحمل لقب « بابا » ، وبصفته رئيس كنيسة الاسكندرية قال عنه القديس غريغوريوس النزيانزى انه : رئيس العالم . وحتى الوثنيون نظروا الى مصر بوصفها الموئل القديم للأسرار الدينية .

وبمجرد زوال تهديد الاضطهـــاد ظهرت الانشقاقات فى الكنيسة خاصة فى الجزء الشرقى . لقد كان لدى المسيحيين الأوائل مدخل بسيط لعقيدتهم ولم ينغمسوا كثيرا فى المجادلات اللاهوتية المجردة ، مقتنعين بأن المجىء الثانى للمسيح وشيك الحدوث ، ومعتبرين أن هذه المجادلات عديمة الجدوى . انصب اهتمامهم الأكبر على مشكلات الاستشهاد ، وقد حدثت الاختلافات فى الرأى فقط فيما يتعلق بالشئون التنظيمية ، مثل الاختلاف حول التسامح مع المرتدين ذلك الذى أدى الى تكوين جماعة ميليتيوس .

وخلال القرن الثالث اقتنع المسيحيون بأن المجىء الثانى لن يحدث فى المســتقبل القريب ، وحولوا اهتمامهم الى تنظيم وتفصــيل العقائد الجوهرية والانضباط الذى كانت تحتاج اليه الكنيسة التى يزداد اتساعها اذا ما أرادت أن تضم اليها الناس المنتمين الى كافة المستويات الفكرية والمثقفين وأصحاب الوضع الاجتماعى الرفيع ، وظهرت أشد المجادلات الخطيرة فى الكنيسة الشرقية ، ربما بسبب طبيعة أتباعها . لقد قيل ان « الشرق يفرز الطوائف » ربما لأن أهل الشرقين : الادنى والأوسط قد

ورثوا على الأقل ذاكرة جماعية نتيجة الحياة فى الصحراء ، مما يدعوهم الى الانفرادية أو الانعزالية أو حتى الى التصوف • وقد تأثرت الكنيستان الشرقية والغربية كلتاهما بسياسات القوة ، فهى ظاهرة لا تقتصر على القرن العشرين وحده • وعلى ذلك عانت الكنيســة من الشقاقات الناتجة عن المجادلات اللاهوتية المريرة خــلال القرنين الثالث والرابــع ، وكان معظمها يدور حــول طبيعة المسيح • ولعبت الشخصيات القيــادية فى الكنيسة المصرية دورا كبيرا فى هذه المجادلات برغم أن تأثيرات هــذه القيادات ومواقعها القيادية قد ذابت وتضاءلت حسب المواقف التى اتخذها الأباطرة المتتابعون على البلاد الشرقية •

بدأت أول المجادلات اللاهوتية الكبرى حوالى سنة ٣١٨ للميلاد على يد قس من الاسكندرية يسمى آريوس ، تحدى عقيدة الثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس ، وقال بأن الآب أرفع قدرا من الابن الذى يعتبر من ناحيته أرفع قدرا من الروح القدس • وفى سنة ٣٢١ عقد مجمع من أساقفة مصر وسوريا بالاسكندرية وأصدر قرار الحرمان ضد آريوس ، ولكن أفكاره الفلسفية استمرت فى كسب أرض جديدة •

وأدت المشــكلات التى أثارها آريوس وغيره من الأساتذة الذين نشروا أفكارا تتعارض مع العقيدة الأرثوذكسية الى سلسلة من اللقاءات أطلق عليها اسم المجالس المسكونية • وكان الامبراطور يتقابل مع أساقفته لحل المشكلات الموجودة فى الكنيسة خاصة تلك التى تتصل بالعقيدة • وقد عقد المجلس المسكونى الأول فى نيقية سنة ٣٢٥ حضره قنسطنطين بنفسه ، حكى عنه أنه كان يتنقل بين الأساقفة المجتمعين بين الجلسات ويلقى النكات بلغة يونانية رديئة • وقد أقر مجمع نيقية نصا لقانون العقيدة أطلق عليه اسم قانون الايمان النيقوى Nicene Creed وفيه تم استبعاد الأريوسية باعلان أن الابن (المسيح) مساو للآب فى الجوهر ، أى أنه واحد مع الآب فى الجوهر ـ homoousion to Patri .

ولم يوضح قانون الايمان النيقوى موقف الروح القدس • وبعد مرور ٥٦ عاما على مجمع نيقية صار من الضرورى عقد مجمع آخر لاقرار مسألة

طبيعة الروح القدس ، لأن مقدونيوس (*) أنكر ألوهية الروح القدس • وانعقد المجمع المسكونى فى القسطنطينية سنة ٣٨١ م وأضاف الى قانون الايمان النيقوى عبارة : نعم نؤمن بالروح القدس « الرب المحيى ••• نسجد له ونمجده مع الآب والابن » • وبالرغم من رفض آريوس فى مجمع نيقية الا أنه وجد مساندين أقوياء ، وأراد قنسطنطين أن يقيم السلام بين القس المشاكس وأعدائه اللاهوتيين ، ولكن آريوس توفى على غير المتوقع سنة ٣٦٦ م قبـل أن يتمكن الامبراطور من اعادته الى الصف • وعلى الرغم من هذا فانه قبل أن يموت قنسطنين فى سنة ٣٣٧ بقليل ، اختار أن يتم تعميده حسب الطريقة الآريوسية (**) • وأصبحت الآريوسية حتى حكم ابنه قنسطنطيوس الثانى هى عقيدة البلاط الشرقى • وبعد سنة ٣٥٠ م عندما حكم قنسطنطيوس بمفرده انتشرت أيضا فى الغرب • وكان أثناسيوس هو النموذج المسيطر داخل وخارج الكنيسة المصرية على مدى حوالى ٥٠ عاما بعد عقد مجمع نيقية • ولد أثناسـيوس فى سنة ٢٩٦ بمدينة الاسكندرية وتربى تربية مسيحية • وعندما كان شابا عمل سكرتيرا للبابا الكســندروس (البـابا التاسع عشر) الذى جلس على الكرسى خلال الفترة من ٣١١ الى ٣٢٨ م قبل أن يرحل لقضاء بعض الوقت مع القديس أنطونيوس حيث عاش حياة النسك • وعندما عاد للاسكندرية سنة ٣٢٠ رسم شماسا بالكنيسة وأنتج كتابيه الرئيسيين وهما : رسالة ضد الوثنيين • المدفاع عن التوحيد بمنطقية وحيدة لأجل الناس العقلاء • والرسالة الثانية هى : « رسالة فى التجسد » ، وهى تعلن أنه مادام الاله قد تجسد فلابد أن يصبح الجنس البشري مقدسا ، ومع ذلك فقد أعطى الانسان الارادة الحرة حتى يختار مسار الخلاص من عدمه بمحض ارادته الحرة • وقد كتب أثناسيوس هذين المؤلفين كغيرهما ، بنفس اللغة

(*) كان مقدونيوس هو اسقف القسطنطينية •

(**) مات الامبراطور قنسطنطين حسب الايمان القويم بعـد أن تعمد على يد القديس سلبطرس بابا روما الذى عقد مجمع نيقيـة فى السنة السابعـة من جبريته • وقد حرم أريوس وكل الذين يشايعونه • (انظر سنكسار اليوم السابع من شهر طوبة) ـ (المترجم) •

اليونانية وليست المصرية ، كتبهما قبل انتهاء الاضطهادات وقبل أن يبدأ عصر المجادلات ، وعندما بدأ ذلك العصر كان أثناســيوس قد ذاع صيته كأحد عظماء علماء اللاهوت الأرثوذكس بالكنيسة المصرية ٠

وفي سنة ٣٢٥ أخذ البابا ألكسندروس أثناسيوس معه الى مجمع نيقية حيث أذهل أثناسيوس الأساقفة المجتمعين بمجادلاته اللامعة ضد الأريوسية ٠ اتخذ المجمع العديد من القرارات التى تخص الكنيسة المصرية التى كان يحتمل عدم التوصل اليها لولا معاونة أثناسيوس ٠ وأصبح للاسكندرية نفس الحق الذى لروما فى أن يترأس البابا أساقفة الأقاليم مباشرة بدلا من الموافقة على تطبيق النظام الجديد الخاص بانشاء مجالس مجمعية اقليمية يرأسها المطارنة ٠ وفيما بعد ، تم تثبيت تاريخ عيد القيامة المجيد حسب ما تعودته كنيستا الاسكندرية وروما بحيث يجرى الاحتفال به فى الأحد الأول بعد أول قمر كامل من فصل الربيع ، حسب المبادىء الفلكية لحساب هذا اليوم ، تلك التى تقدمها كنيسة الاسكندرية التى ورثت بالطبع مهارة استخدام الفلك عن كهنة مصر في العصر الوثنى منذ قرون عديدة (*) ٠ وبحث المجمع أمر شيعة ميليتيوس وعودتهم الى الكنيسة المصرية مع ميليتيوس نفسه الذى رسم أسقفا دون ممارسة مهام هذه الدرجة الكهنوتية ٠ ولم يفهم أثناسيوس الحكمة من قبول عودة هذه الشيعة وثارت فى نفسه الشكوك ، ولكنه عاد هو والبابا ألكسندروس الى مصر راضيين بما أنجزاه فى مجمع نيقية ٠

(*) هذا الحساب هو المعروف باسم حساب الأبقطى ٠ وقد وضعه البابا الثانى عشر ديمتريوس المعروف بالكرام ، وهو الحساب الخاص بتحديد عيد القيامة واقره مجمع نيقيــة ٠

« قرر المجمع أن يكون عيد القيامة فى موعد واحد بجميع البلدان وهو يوم الأحد الذى يلى البدر الذى يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا معهم » ٠ وقرروا أن بابا الاسكندرية هو الذى يبلغ الكنائس الأخرى عن اليوم الذى يقع فيه هذا العيد فى العام التالى ، وذلك لأن الاسكندرية فى ذلك العهد كانت مركز العــلوم الفلكية ٠ (انظر كتاب تريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنــا ، صص ٢٣٥ ـ ٢٣٦) ـ (المترجم) :

وبعد خمسة شهور تنيح البابا ألكسندروس ونهضت شيعة ميليتيوس مرة أخرى راغبة فى الحصول على بعض الامتيازات عندما اجتمع الأساقفة لاختيار البابا الجديد · وقد طلب شعب الاسكندرية من الأساقفة اختيار أثناسيوس لأنه كان « من النساك المسيحيين الأتقياء » · وفى ٨ يونيو سنة ٣٢٨ اختير أثناسيوس الذى كان عمره فى أوائل الثلاثينيات ليكون البابا العشرين فى عداد بطاركة الكنيسة المصرية · وما ان أقيم فى موقعه حتى بدأ الآريوسيون فى مهاجمته ، مثلما كانوا يهاجمون جميع الذين اقترحوا نصوص قانون الايمان النيقوى · واختار أثناسيوس أن يتجاهلهم وبدأ فى القيام بزيارات رعوية لكافة أنحاء مصر وهى عملية استغرق اتمامها السنوات الست التالية ، وبذلك كان هو أول بابا يتعرف على أحوال رعيته خارج الاسكندرية ·

وفى سنة ٣٣٠ رفض أثناسيوس تنفيذ أمر امبراطورى بقبول عودة آريوس وأتباعه إلى حظيرة الكنيسة · فجدد الآريوسيون مهاجمتهم له بقيادة يوسابيوس الذى من نيقوميديا وبتحريض من شيعة ميليتيوس فى مصر ، واتهموه بين أشياء أخرى بأنه فرض ضريبة على العباءات المصنوعة من الكتان فى مصر ، وارسال كيس من الذهب الى فيلومينوس الثائر · واتهموه كذلك باغتيال أسقف يدعى أرسانيوس · وعندما كان أثناسيوس مدعوا فى سنة ٣٣٥ لحضور مجمع فى صور ، للرد على هذه الاتهامات اتخذ احتياطه بالبحث عن أرسانيوس القتيل المزعوم ، وذلك قبل مغادرته للاسكندرية · واستطاع احضار أرسانيوس الى المجمع حيث كان هذا الأسقف مختفيا فى صور ·

واتهم أثناسيوس مرة أخرى بالتهديد بمنع أسطول الحبوب من الابحار من مصر ، ورد على هذه التهمة متسائلا : « كيف يستطيع مواطن فقير أن يفعل هذا الفعل ؟ » فرد عليه يوسابيوس قائلا : « أنت غنى وتستطيع أن تفعل أي شيء » ، ولم يتردد قنسطنطين فى انتهاز الفرصة فقرر نفى أثناسيوس من مصر · وقضى أثناسيوس أكثر من عام فى

المنفى حتى موت قنسطنطين في سنة ٣٣٧ · وعندما استدعاه قنسطنطيوس الامبراطور الجديد للشرق عاد الى الاسكندرية منتصرا ·

وعاد الهجوم على أثناسيوس مرة أخرى من الآريوسيين وأتباع ميليتيوس ، موجهين الكثير من دعايتهم نحو الجماعات الرهبانية في محاولة لابعاد الرهبان عنه · وفي ٣٣٨ م اقتنع القديس أنطونيوس بترك صومعته النسكية والحضور الى الاسكندرية لاظهار مساندته لأثناسيوس · وعلى الرغم من ذلك أمر قسطنطيوس بطرد مؤيدى أثناسيوس من الكنائس · واتهم أثناسيوس ببيع الحبوب التي خصصها قنسطنطين للأرامل اللائي كن يتلقين المعونة من الكنيسة في مصر وليبيا · فرحل أثناسيوس عن مصر ولجأ الى روما عند قنسطانس امبراطور الغرب وهو شقيق قنسطنطيوس · وفي سنة ٣٤٣ عقد مجمع في سرديكا حضره أكثر من ٣٠٠ أسقف من الشرق والغرب ، أعلن تبرئة أثناسيوس وهو قرار لقى التأييد من البابا يوليوس في روما (*) بالرغم من أن أثناسيوس لم يسمح له بالعودة الى كرسى الاسكندرية لمدة ثلاث سنوات أخرى ·

وعاد أثناسيوس مرة أخرى ليعيش « عصره الذهبى » عندما تركوه في سلام لمدة عشر سنوات أخرى قاد فيها شعبه · ولأحظ بنفسه أن الناس كانوا ممتلئين حماسا وكرس الكثير منهم أنفسهم لأعمال الخير ، كما انخرط آخرون عديدون في حياة الرهبنة · ويحتمل أن الكنيسة المصرية أثناء هذه الفترة مدت تأثيرها وراء حدود مصر الجنوبية بفضل فرومنتيوس ، وكان ابنا لتاجر سورى قتل في اثيوبيا ، تاركا فرومنتيوس وأخاه الأصغر أيديسيوس هناك لاحراز الشهرة والثروة في بلاط الملك الادا ملك أكسوم · وأصبح الابن الأكبر مستشارا للملكة الأم في أكسوم · واستخدم منصبه لخدمة المسيحيين في اثيوبيا ، هؤلاء الذين

(*) بالرغم من اقرار المؤلفة بان بطاركة الاسكندرية هم اول من نودى بلقب البابا ، الا انها تذكرهم دائما بلقب بطريرك بينما تذكر اساقفة روما بلقب البابا - (المترجم) ·

يذكر التقليد عنهم أنهم تحولوا الى المسيحية على يد القديس متى الذى استشهد هناك ، وقد زار فرومنتيوس الاسكندرية والتمس من أثناسيوس أن يرسل أسقفا الى اثيوبيا • واختار أثناسيوس فرومنتيوس ذاته ليكون أسقفا على أكسوم ، وفى السنوات التالية أصبح الجالس علىّ هذا الكرسى يدعى أبو السلام (الأنبا سلامة) أو (أبونا) ، وظلت الكنيسة المصرية على مدى ستة عشر قرنا تعين (أبونا) اى بطريرك اثيوبيا من أواسط القرن الرابع حتى أواسط القرن العشرين • وكان بطريرك وأساقفة الكنيسة الاثيوبية يحملون الجنسية المصرية أى من المصريين •

ومع نمو كنيسة الاسكندرية أصبحت الحاجة ملحة لمبان جديدة • وكان الامبراطور قنسطنطين قد وهب للكنيسة السيزاريوم Caesarium وهو المعبد الذى أقامته كليوباترا لتكريم يوليوس قيصر وابنها قيصرون • وأعيد بناء القاعة المستطيلة ذات الأعمدة التى كانت بداخله والتى أطلق عليها اسم هادريان ثم اسم ليسينيوس بعده لتصبح كنيسة مسيحية (بازيليكا) • وفى سنة ٣٥٥ وحتى قبل استكمال انبناء استخدم أثناسيوس هذه الكنيسة لاقامة قداس عيد القيامة المجيد ، وكان ذلك قبل قتل قنسطانس امبراطور الغرب وهو المؤيد المتحمس لأثناسيوس بمدة خمس سنوات • وفى سنة ٣٥١ أصبح قنسطنطيوس الحاكم الأوحد للامبراطورية • وبوصفه آريوسيا ، فانه أعاد شن الحملة على أثناسيوس متهما اياه بتأليب شقيقه قنسطانس ضده ، واتهمه ايضا باستغلال هبة امبراطورية بشكل غير مسليم وذلك باستخدام البازيليكا التى فى السيزاريوم قبل أن يتم تحويلها الى كنيسة • وفى فبراير ٣٥٦ ، كان أثناسيوس يقيم قداسا فى كنيسة ثاؤونا عندما وصل ٥٠٠٠ جندى امبراطورى للقبض عليه ، وحينذاك أحاط الكهنة والرهبان الحاضرون بالبابا ، وقاموا بتهريبه فى سلام •

وعلى ذلك ، بدأ أثناسيوس ثالث مدة نفى قضاها هذه المرة فى صحاري مصر وليبيا ، وبالرغم من أنه اختبأ في الأديرة أحيانا الا أنه

حاول ألا يعرض الرهبان للخطر بوجوده بينهم ، فقضى معظم سنوات النفى فى الأجزاء غير المأهولة من الصحراء ، وهناك استطاع ممارسة الكتابة بالرغم من العناء ، فأنتج العديد من المؤلفات المهمة ، ومنها : اعتذار الى قنسطنطيوس (*) ، تاريخ الآريوسيين ، رسائل ضد الآريوسيين ، (وفيها شرح موقفه تجاه الآريوسية) ، الدفاع عن هروبه • ويأتى فى مقدمة هذه المؤلفات كلها كتابه العظيم : حياة الأنبا أنطونيوس (**) •

وقد حققت السنوات الست التى قضاها أثناسيوس فى منفاه الأخير ما اشتهر به كطريد رومانسى ، وأكسبته شعبية عظيمة لدى المصريين • وقد بذلت السلطات العلمانية جهدها لتحطيمه ، فسمحت للآريوسيين بالاستيلاء على الكنائس ، كما سمحت لهم أيضا بالاتفاق مع الوثنيين بمهاجمة السيزاريوم •

وفى سنة ٣٦١ ، اعتلى العرش امبراطور وثنى هو جوليان المرتد وسمح للأساقفة الأرثوذكسيين بالعودة الى كنائسهم • وفى العام التالى دعا أثناسيوس الى عقد مجمع بالاسكندرية نجح فى التوفيق بين كافة الأساقفة الذين تم نفيهم من مصر وايطاليا والصحراء العربية هؤلاء الذين كانوا راغبين فى قبول قانون الايمان النيقوى ، وكسب عودة العديد من الآريوسيين الى الأرثوذكسية • وكان عهد جوليان قصيرا بالنسبة لأثناسيوس وللمسيحية • أمر جوليان بنفى البابا أولا من الاسكندرية ثم من مصر كلها • ورفض أثناسيوس أن يبرح مصر والتمس المأوى عند رهبان مصر العليا (الاقليم الذى يحيط بالأقصر فى مصر الحديثة) ، وهناك علم أن جوليان قتل عند عودته من حملته الى فارس • فأسرع البابا الى انطاكية فى سوريا لمقابلة الامبراطور الجديد جوفيان الذى كان

(*) لا يوجد بين كتابات أثناسيوس رسالة اعتذار الى قنسطنطيوس الاريوسى ولكن هناك رسالة احتجاج الى الامبراطور قنسطنطين الكبير (انظر كتاب ايريس حبيب جـ ١ ، ص ١٦٦) ـ (المترجم) •

(**) كتب هذا الكتاب مثل غيره من الكتب أى باللغة اليونانية وقد ترجمه الى العربية القمص مرقس داود المتنيح ، تحت عنوان : حياة الأنبا انطونيوس ـ (المترجم) •

من مؤيدى أثناسيوس ، ولكن لسوء الحظ فان عصر جوفيان كان قصيرا • وفى سنة ٣٦٤ نجح امبراطور الشرق فالينز ـ أخو فالنتيان الأول ـ فى أن يصبح امبراطورا للغرب • كان فالينز آريوسيا فأمر الأساقفة الذين سبق عزلهم بمعرفة قنسطنطينوس بأن يتركوا كراسيهم مرة أخرى • وقيل ان أثناسيوس اختفى فى قبر أبيه لمدة أربعة أشهر حتى رق قلب فالينز فاستجاب لتوسلات الاسكندريين ، وسمح له بالعودة الى كرسيه • ومنذ ذلك الوقت فصاعدا لم يواجه أثناسيوس أية اضطرابات تتعلق بمركزه حتى مات فى ٢ مايو سنة ٣٧٣ ، عن عمر يصل الى حوالى السابعة والسبعين •

وقد أمضى أثناسيوس ٢٠ عاما من مدة حبريته التى بلغت ٤٦ عاما ، فى المنفى • وبالرغم من ذلك فقد كان هو الداعية الرئيسى فى معارك الأرثوذكسيين ضد الآريوسـيين • والمحتمل أنه كان أعظم رجال الكنيسة فى عصره ، وهو يعتبر أحد عظماء علماء اللاهوت فى الكنيسة المسيحية • وبالرغم من أن كتاباته كانت باليونانية الا أنه كان متفهما لطبيعة المصريين بسبب صداقته للرهبان (*) وربما كان أعظـم انجازاته هو اسـتطاعته الجمع بين العناصر المختلفة للمسيحية المصرية الأرثوذكسية وهم الاغريق والمصريون الوطنيون ، فى الاسـكندرية وبقية أنحاء مصر ، ثم الأغنياء والمثقفون والفلاحون •

وفى سنة ٣٧٨ ، مات فالينز فى مذبحة للجيش الرومانى على يد القوط الذين كانوا مستقرين فى البلقان ، وأصبح ثيودوسيوس الأول القائد الاسبانى الأصل امبراطورا على الشرق ، ونال لقب « الكبير » بسبب حرصه على المسيحية الأرثوذكسية الصحيحة • وفى سنة ٣٨١ ، دعا المجلس المسكونى الثالث للاجتماع فى القسطنطينية ، حيث تم اقرار الايمان بالثالوث الأقدس ، كما تم اقرار قانون الايمان النيقوى بشكل قاطع •

(*) كانت اليونانية هى لغة العلم والثقافة حتى فى العصر الرومانى ، ولا يعتبر استخدام آباء الكنيسة لهذه اللغة فى كتاباتهم دليلا على انهم كانوا من أصول يونانية • وأثناسيوس مصرى صميم (انظر : قصة الكنيسة القبطية لايريس حبيب المصرى ـ جـ ١ ـ فقرة ١٨٠ ـ ص ٢٠٦) ـ (المترجم) •

وفي هذا المجلس أعطيت كنيسة القسطنطينية الأولوية على كنيسة الاسكندرية ، واستاء المصريون لهذا الترتيب (*) ·

وفي سنة ٣٩٢ صدر مرسوم الامبراطور ثيودوسيوس بحظر الوثنية ، واعتبر عصيان هذا المرسوم خيانة عظمى · وخلال هذه الفترة كان ثيوفيلوس قد مرت عليه ثلاث وعشرون سنة بابا للاسكندرية ، وانتهز الفرصة لازعاج الوثنيين والهراطقة معا ، من داخل الكنيسة · وقد أدى حماسه هذا الى اثارة أكبر الأعمال الهمجية في التاريخ عندما أدى تحريضه للغوغاء في الاسكندرية الى تدمير معبد السرابيوم ومكتبته التي ضمت حوالي ٤٠ ألف كتاب ، تلك التي كان بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) قد انشاها (**) ·

وفي سنة ٤١٢ خلف البابا ثيوفيلوس ابن أخيه كيرلس الذى كان قد قضى مدة خمس سنوات في أديرة جبل نيتريا ، واستطاع بذلك أن يضم الرهبان ضمن أعظم مؤيديه حماسة ، وكان كيرلس رجلا شديد البأس وطموحا وفي امكانه القيام بأعمال لا تتفق مع المسيحية : فعندما أراد معاقبة يهود الاسكندرية الذين سفكوا دماء المسيحيين خلال احدى المشاجرات قاد الغوغاء ضدهم فدمروا ممتلكاتهم وطردوهم من المدينة · وعندما اشتكي الحاكم أورستس من هذا السلوك ، هاجمه المئات من الرهبان ، ونجح أحدهم في اصابته بجراح ، وتم القبض على الراهب وحكم عليه بالاعدام ، وبعد ذلك أمر كيرلس بحمل الجثمان في موكب مهيب الى الكاتدرائية حيث جرى تكريم الراهب بوصفه قديسا وشهيدا (***) ·

(*) كان المصريون يعتبرون أن استقلال كنيستهم القبطية هو المظهر الوحيد الباقي لهم من مظاهر الاستقلال الذى ضاع تحت الحكم الأجنبي ، في حين حرص البيزنطيون على اعطاء كنيسة القسطنطينية الاولوية على كنيسة الاسكندرية تكريسا لسلطة الاحتلال البيزنطى التى تتمركز في عاصمته القسطنطينية ـ (المترجم) ·

(**) هذا اصرار عجيب من المفكرين الغربيين بوجه عام باتهام باباوات الاسكندرية بالتحريض على حرق المكتبات وللاسف بدون دليل ـ (المترجم) ·

(***) نرجو أن يتذكر القارىء العزيز انه ابتداء من سيرة البابا كيرلس المعروف بلقب عمود الدين ، سيرى التشويه المتعمد لسير باباوات الاسكندرية مع السخرية المريرة من جهادهم العظيم ضد الافكار التي أدت الى الانشقاقات ، لأن المؤلفة ومعها =

وفي سـنة ٤١٥ أمر كيرلس بقتل الفيلسوفة الوثنية عالمة الرياضيات المرموقة هباشا (*) .

وقد جرت أشد ممارسات كيرلس عنفا أثناء الانشقاق الكبير الذى بدأ في عهده ، والذى فصل الجزء الأكبر من أبناء الكنيسة الوطنية المصرية

= من اعتمدت على كتاباتهم من المؤرخين الغربيين الذين ليس بينهم مؤرخ قبطي واحد انما هم جميعـا ينتمون الى الفـكر المسيحى الغربى الذى يخـالف الكنائس الشرقية الأرثوذكسـية ، ولذلك فانها ابتداء من الحديث عن البابا كيرلس ستعمد الى الانحياز الواضح فى مثل هذه الحكايات • ونذكر هنا الرد على هذه القصة من التـاريخ الأرثوذكسى المدون بمعرفة آباء كنيسة مصر القبطية الأرثوذكسية كما يلى :

« وحدث أن اليهود الذين كانوا قاطنين فى الاسكندرية قد قصدوا ـ بغضة منهم لشخص القديس وكرها لشهرة صيته ـ ابادة المسيحيين • ولذلك اشاعوا ذات ليلة خبرا أن النار اشتعلت فى كنيسة القديس اسكندر ، فالتزم المؤمنون ، بنـاء على هـذا الخبر ، أن يبادروا اليها من كل ناحية مالئين الشوارع كبارا وصـغارا مسرعين لاطفاء النار ، فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقسوة وبربرية • ولما كشف هـذا الأمر صـباحا لعمـوم المسيحيين تجمـهروا فى الكنيسـة عند الأب كيرلس وعزموا على الانتقـام بقتل اليهود جميعـا ، فلم يستطع الأب أن يسكن غضبهم وتنازل لهم بعد عناء شديد بأن يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسـوا أحدهم بضرر • فهجموا على كنيس اليهود وطردوهم منه واستولوا عليه وما فيه • فلما بلغ الأمر (لأورستا) حـاكم المدينـة استـاء من القديس لتنـازله بالسماح لأولاده حتى شوشوا المدينة بطردهم اليهود منها ، ولم يعلم أنه لو لم يسمح بذلك للمسيحيين لكانوا ارتكبوا جرما عظيما أعظم مما ارتكبوا » •

(نقلنا النص المذكور عاليه عن كتاب : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسـة ، لمؤلفـه الأسـقف الأنبـا ايسـيذورس ـ الجـزء الأول ـ ص ٤٥٨ ولم نغـير شـيئا فى كلمات المؤلف بل أوردناها كما هى) ـ (المترجم) •

(*) دافع المؤرخ الكنسى القس منسى يوحنا عن تهمة قتل هباشا من خلال دفاعه عن تهمة الانتقام من يهود الاسكندرية فقـال :

« وفى هذا الحين أيضا جرت حادثة الفيلسوفة هباشا الشهيرة التى غدر بها بعض الطائشين بدون ترو وبدون أن يعلم البابا كيرلس مطلقا » • (انظر كتاب القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ـ ص ٢٥٦ » ـ (المترجم) •

وننوه هنا بأن المؤلفة أوردت ضمن مراجعها فى آخر الكتاب مصدر هذه المعلومة عن هباشا وعن يهود الاسكندرية للمؤلف Hi I. Bill وعنوانه :

Egypt from Alerander the Great to the Arab Conquest.

لهذه المعلومات وبالشكل الذى دونت به مأخوذة عن مؤلف غربى متعصب ضد مخالفيـه فى المذهب ـ (المترجم) •

مع الكنيسة اليعقوبية الصغيرة فى سوريا ، عن العالم المسيحى فى الشرق والغرب • وقد نشب هذا النزاع على يد نسطور ، وهو سورى كان قد رسم بطريركا على القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ، وأخذ نسطور يقول بأن اصطلاح (والدة الالهTheotokos) الذى يستخدم لوصف العذراء مريم غير صحيح ، لأن العذراء مريم التى ليست الها لا يمكن أن تكون والدة الاله ، ولكن والدة المسيح فقط لأنه أخذ منها طبيعته البشرية ولم يأخذ منها الطبيعة الالهية (*) وقد ذكرت بدعة نسطور — كما أطلق عليها — أنه لم يكن للمسيح طبيعتان فقط وهما الانسانية والالهية بل له أيضا شخصان • وسرعان ما اكتشف البابا كيرلس المؤثرات الآريوسية فى تعاليم نسطور وعارضها بشدة ، برغم السبب غير اللاهوتى الكامن وراء ذلك حيث كان بسبب وضع نسطور كبطريرك للقسطنطينية المدينة المنافسة للاسكندرية •

وفى سنة ٤٣١ دعا الامبراطور ثيودوسيوس الثانى لعقد المجمع المسكونى الرابع (**) بأفسس فى تركيا • وقد ترك كيرلس الذى حضره مع عدد كبير ومهيب من الأساقفة والرهبان المصريين قصته الموجزة وغير الرسمية المتعلقة بالأجراءات • وقد قمنا بترجمة النص التالى عن اللغة القبطية حسب اللهجة البحيرية : —

(*) عندما بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم بميلاد المسيح سألته : كيف يكون لى هذا وانا لست اعرف رجلا • فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله — لوقا ١ : ٣٤ — ٣٥ » ويقول أنجيل يوحنا عن هذا الميلاد : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله •• والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقا — يوحنا ١ : ١ ، ١٤ » • وأول من أطلق على العذراء لقب والدة الاله كانت القديسة اليصابات أم يوحنا المعمدان عند استقبالها فى بيتها فقالت : « مباركة انت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك ، فمن أين لى هذا أن تاتى ام ربى الى • — لوقا ١ : ٤٢ — ٤٣ » وهكذا نجد أن كافة عقائد الكنيسة مصدرها الانجيل — (المترجم) •

(**) ترتيب المجامع : الأول نيقية سنة ٣١٧ ، الثانى مجمع القسطنطينية سنة ٣٧٣ ، ومجمع افسس هذا الذى انعقد سنة ٤٣١ هو الثالث وليس الرابع — (المترجم) •

« ارسل الملك ثيودوسيوس يستدعينى ، وقد ارسلت الى النبى المبارك الأنبا شنودة رئيس الرهبان ، وأبينا الأنبا بقطر رئيس رهبان تبنيسى ، وذهبنا لنحرم نسطور المنحرف عن الايمان ، وذهب معنا جمع من الأساقفة وأنا والأنبا شنودة والأنبا بقطر ... واعتلينا معا ظهر مركب واحد لنذهب الى القسطنطينية ، واعتلى باقى الأساقفة ظهر مركب أخرى . وبعد أن عبرنا البحر الواسع رسونا فى القسطنطينية وأرسلت الى الامبراطور قائلا : « انظر ، لقد وصل أساقفة مصر » . فأرسل الينا قائلا : « اختر لنفسك مكانا يستطيع أن يجتمع فيه جميع الأساقفة ، ويحيطوننا علما بحقيقة الايمان المقدس » . وبعد أن استشرنا رئيس أساقفة روما ، اخترنا لأنفسنا مدينة افسس . وأرسلت الأساقفة الذين كانوا تحت رئاستى الى هناك ، وألزمت الأنبا بقطر بالبقاء فى العاصمة لأنه كان يتمتع بقدر كبير من ثقة الملك ثيودوسيوس أكثر من اى واحد منا . وبقيت أنا والأنبا شنودة فى المدينة حتى وصول الأساقفة الذين ارسلهم الملك وبذلك استطعنا أن نذهب الى مدينة افسس ، وحرمنا نسطور المنحرف ، والهرطوقى الفاسد ، فى ذلك المكان . وعندما أكدنا الايمان حسب مشيئة ربنا يسوع المسيح ، صرفنا الملك فى سلام وقد فرح معنا ، انا والأنبا بقطر والأنبا شنودة ... وجميع الأساقفة الذين سافروا معنا . وهكذا صرف أساقفة أرض مصر وبذلك استطاعوا اعتلاء ظهر المركب والعودة الى مصر . ولكننى من وجهة أخرى ، وهذا القديس الأنبا شنودة والأنبا بقطر تخلفنا هناك حتى نستطيع أن نعود معا على ظهر مركب مصرية » .

(عن كتاب مالون وعنوانه : النحو القبطى Mallon Grammaire Copte ـ ص ٦٠) .

ويبدو واضحا فضل الضغط الذى مارسه المصريون على أعضاء المجلس حتى حرم نسطور وأعلن القديسة مريم بأنها والدة الاله Theotokos . وربما كان أفضل عرض يبين لهجة المجلس يتمثل فى

هذا الاقتباس ، المأخوذ عن « حياة الأنبا شنودة » والمفروض أنه كتب بيد تلميذه بيسا الذى يوافق على سلوك معلمه : ـ

« والآن اجتمع آباؤنا القديسون معا في مجلس لحرم هذا الهرطوقي الدنيء نسطور ... وعندما دخلوا الكنيسة ورتبوا الكراسي جلسوا عليها ، واعد كرسي في وسط الحشد ووضعت عليه الأناجيل الأربعة • ودخل الهرطوقي الدنيء نسطور بصفاقة في جمع كبير ، فالتقط الأناجيل الأربعة المقدسة ووضعها على الأرض وعندما رأى أبي الأنبا شنودة ما فعله نسطور استشاط غضبا وشق طريقه خلال الحشد والتقط الأناجيل من على الأرض ولكم نسطور في صدره وهو يقول : « أتريد أن يكون ابن الله على الأرض بينما تجلس أنت على كرسي ؟ » ورد نسطور المنحرف قائلا : ما هو عملك في هذا المجلس ؟ انك لست اسقفا ولا رئيس رهبان ولا قسا ، انك مجرد راهب ! » •

(أخذ هذا الاقتباس عن Vita, 128) .

وانتشرت تأثيرات وآراء البابا كيرلس فى كنائس الشرق والغرب حتى وفاته سنة ٤٤٤ ، أما نسطور الذى لم يغير أفكاره فقد أبعد عن موقعه وعاش حياته فى المنفى أولا فى واحة الخارجة ثم فى أخميم ، وكلا المكانين فى مصر ، وذلك تحت سيطرة عدوه كيرلس (*) •

(*) لا أعرف لماذا تتعمد المؤلفة ذكر اسماء كبار القديسين من امثال القديس اثناسيوس الرسول حامي الايمان ، والقديس كيرلس عمود الدين ، والقديس الأنبا أنطونيوس كوكب البرية وأب الرهبان بل حتى العذراء القديسة الطاهرة مريم ، بالاسماء المجردة دون أي لقب وبدون توقير ـ (المترجم) •

٤ ـ المسيحية فى مصر حتى سنة ٦٤٢ للميلاد
عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح

ورث البطريرك الخامس والعشرون للاسكندرية البابا الأنبا ديوسقوروس خليفة البابا كيرلس (٤٤٤ ـ ٤٥٤) كنيسة قوية تمتع فيها بسلطة مباشرة على أساقفته • كما تمتع أيضا بمكانة مارس فيها سلطانا دنيويا عظيما بسبب ثروة هذه الكرازة ، وأصبح « فرعون الكنيسة » الأصيل (*) • وقبل اختيار ديوسقوروس بفترة طويلة كانت قد ظهرت هرطقة جديدة نادي بها راهب مغمور من القسطنطينية يسمى أوطاخي •

لقد مضى أوطاخي الى أبعد مما دافع عنه البابا كيرلس فى القول بأن السيد المسيح له طبيعة واحدة وقال ان هذه الطبيعة الواحدة هى اتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية بحيث انصهرت الطبيعتان كلية • لقد قال نسطور ان العذراء مريم والدة للمسيح الانسان • أما أوطاخي فذكر أنها والدة الاله فقط • وفى سنة ٤٤٨ قام بطريرك القسطنطينية فلابيانوس بحرم أوطاخي ودافع عن تعريف طبيعة المسيح بأنها تضمنت الطبيعتين واضحتين ومنفصلتين ، أى أنه كانت هناك طبيعتان للمسيح بعد التجسد • ولقى فلابيانوس التأييد من (لاون) بابا روما ، بينما ساند

(*) أطلق المؤرخون هذا اللقب « الفرعون المتجبر » على البابا ثيوفيلوس (البابا الثالث والعشرين) الذى جاء بعده البابا كيرلس وذلك لشدته فى تنفيذ القوانين ـ (المترجم) •

ديوســقوروس أوطاخى ، وأصر على أن للمسيح طبيعة واحدة اتحدت فيها الطبيعتان الانسانية والالهية (*) .

وفى سنة ٤٤٩ دعى مجمع آخر للانعقاد فى أفسوس حضره المصريون فى حشد ضخم أملا فى تحقيق نفس النجاح الذى أحرزوه فى مجمع سنة ٤٣١ ، وأطلق على هذا المجمع الثانى فى أفسوس اسم « مجمع اللصوص Latrocinium » ، لأن الرهبان الذين حضروه تصرفوا بأسلوب همجى . وقد رأس البابا ديوسقوروس الاسكندرى المجمع ، وقرر حرمان بابا روما وعزل أسـاقفة أنطاكية والقسطنطينية . أما الامبراطور ثيودوسيوس الثانى الذى كان ضعيف الشخصية ، والذى سمح لوالدته بوليكاريا أن تحكم الجزء الشرقى من الامبراطورية بالنيابة عنه خلال فترة حكمه الطويل (٤٠٨ ــ ٤٥٠ م) فانه لم يمارس سلطاته الملكية على المجمع . وفى عام ٤٥٠ ، مات الامبراطور ثيودوسيوس وخلفه زوج أمه مارقيانوس الذى تميز بشخصية مختلفة تماما ، وكان جنديا ذائـع الصيت . استخدم امبراطور الشرق الجـديد سـلطته فأعاد تنظيم الأوضـاع المقـلوبة التى تحققت فى مجمع اللصوص . وفى هذا الوقت تفككت الامبراطورية الغربية . وبرغم أن سـياسة ثيودوسيوس الأول الخاصـة برشـوة القبائل الجرمانية بمنح هذه القبائل الأرض والأموال قد صدتها لفترة قصيرة ، الا أنها فى النهاية سقطت فى أيدى القوط سنة ٤٧٦ م .

وربما كان أخطر المجامع هو مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١ . وفيه تم التنصل من قرارات مجمع اللصوص ، واقرار عقيدة الطبيعتين

(*) نوضح ذلك فنقول ان أوطاخى نادى بأن طبيعـة الناسوت تلاشت فى الطبيعـة الالهية فصارت للمسيح طبيعة واحدة ممتزجة ، وهذا يخالف الايمان الأرثوذكسى القائل بأن الطبيعة البشرية والالهيـة صارتا طبيعة واحدة بعـد الاتحاد للكلمة المتجسد بدون اختلاط أو امتزاج أو استحالة . ويرجع سبب مساندة البابا ديوسقورس لأوطاخى الى أنه عندما حضر أمام المجمع قدم ورقة مكتوبة أوضح فيها ايمانه كذبا فوجـد مطابقا للايمان الارثوذكسى وعندما اتضح كذب اوطاخى اشيع أن البـابا ديوسقورس يسانده . أما قول فلابيانوس بطبيعتين منفصلتين للمسيح ، فهو مخالف للايمان الأرثوذكسى وكان سببا فى الانشقاق ــ (المترجم) .

للمسيح ، وقدم البابا ديوسقوروس للمحاكمة • ولم يتهم بالهرطقة ولكن بانتهاج السلوك الذى لا يليق برجال الكنيسة •

وكان شهود المحاكمة أربعة من الكهنة المتمردين بالاسكندرية اتهموه بالانحراف واختلاس أملاك الكنيسة • وعلاوة على ذلك اتهم أحدهم ديوسقوروس بأنه يعتبر نفسه الحاكم الحقيقى لمصر وليس الوالى • واستبعد ديوسقوروس وعزل ونفى الى جزيرة غاغرا Gangra فى بافلاجونيا Paphlagonia حيث تنيح بعد ثلاث سنوات • وقد رفض ثلاثة عشر أسقفا من السبعة عشر أسقفا المصريين الذين ذهبوا مع ديوسقوروس الى خلقيدونية أن يوافقوا على قرارات المجمع حتى يتلقوا ارشادات البابا الجديد ، وعاد أربعة منهم بأقصى سرعة الى الاسكندرية لانتخابه • واختاروا بروتيريوس وهو قس كان شديد القرب من ديوسقوروس ، وترك لينوب عن البابا أثناء غيابه فى خلقيدونية ، ولكن الجماهير لم تقبله ، ونظروا اليه على أنه لعبة فى يد الحكومة الامبراطورية وتبع ذلك الفوضى التى أحرق السرابيوم أثناءها •

ومن المحتمل أن الخلاف الذى دار حول طبيعة المسيح قد نراه فى أيامنا هذه مجرد جدال فى أمور صغيرة ولكنه تسبب فى جريان بحور من الدم ، وأوجد تصدعا بين كنيسة مصر وباقى العالم المسيحى أخذ فى الاتساع ، ولم يتم رأب الصدع • أما بالنسبة للتعقيدات السياسية فقد أنهى مجمع خلقيدونية الدعاوى المصرية بالتفوق على القسطنطينية • وكان ضياع مركز الاسكندرية سببا فى جرح الكرامة الوطنية جرحا عميقا وأشعل نار كراهية الأجانب التى كانت كامنة فى مصر منذ الغزو الفارسى وبشكل خبيث على مدار التاريخ المصرى كله • وقد نهج السكان المصريون الوطنيون منذ مجمع خلقيدونية على مساندة البابا عندما يكون من أتباع الطبيعة الواحدة فقط ، بالرغم من أن دقة التعبيرات الواردة بهذا المذهب قد لا تكون واضحة بالنسبة لهم لأنها صيغت باللغة اليونانية • وأصبح مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح هو المعبر عن القومية

المصرية بالرغم من انتقال قيادة مذهب الطبيعة الواحدة فى هذه المنطقة الى سوريا خلال القرن السادس · أما هؤلاء الذين ساندوا الخط الأرثوذكسى فى مصر وفى كل مكان آخر حسب الاعتقاد بالطبيعتين فقد أطلق عليهم اسم الملكانيين (من الكلمة السامية ملك melk أى ملك King) ، نظرا لمساندتهم مذهب الطبيعتين الامبراطورى · ومع استمرار بقاء مصر جزءا من الامبراطورية البيزنطية ظلت العقيدة الرسمية فى مصر هى الأرثوذكسية الملكانية ، أما العقيدة الوطنية لغالبية الشعب المصرى (الأقباط) فكانت هى الطبيعة الواحدة للمسيح (*) ·

وفى سنة ٤٥٧ مات الامبراطور مارقيانوس عندما كان القائد العسكرى لمصر خارج الاسكندرية مع قواته · فقام معارضو البطريرك الملكانى بروتيريوس بانتهاز الفرصة ، وعينوا بابا غير ملكانى وهو قس من الاسكندرية يدعى تيموثاوس وأطلق عليه لقب أيلوروس Aelurus وبقيت مصر لفترة قصيرة تخضع لاثنين من البطاركة أحدهما خلقيدونى يعترف بقرارات مجمع خلقيدونية ، والآخر يتبع مذهب الطبيعة الواحدة · وأثناء عيد القيامة فى تلك السنة لم يتقدم الى بروتيريوس لنوال المعمودية الا أربعة أفراد ، بينما تدفق على البابا تيموثاوس فيض من طالبى المعمودية · وفى يوم الجمعة العظيمة قتل بروتيريوس فى حجرة المعمودية

(*) ان كلمة ارثوذكس Orthodox تعنى المستقيم العقيدة ، وكانت الأرثوذكسية صفة لجميع المسيحيين فى كل العالم حتى حدوث الانشقاق فى مجمع خلقدونية فظلت الأرثوذكسية مذهبا للمسيحيين فى الشرق بينما دعى المسيحيون فى الغرب باسم : الكاثوليك Catholics . ولذلك فان الملكانيين ارثوذكس وكذلك اتباع الطبيعة الواحدة للمسيح ارثوذكس · ومن اثار مجمع خلقيدونية أيضا ان المسيحيين فى الغرب (الكاثوليك) اتبعوا مذهب الطبيعتين الملكانى ، ولكن رفض المصريين لمذهب الطبيعتين رغم الاضطهادات جعل الاباطرة فى النهاية يسلمون بحق المصريين فى انتخاب البابا الذى يريدونه مما اضعف من شوكة الملكانيين ، حتى جاء الفتح العربى لمصر وهزم البيزنطيين عسكريا وتبعه اضمحلال قوة الملكانيين وانزواؤهم مع الظهور الساطع والحضور القوى لاتباع الطبيعة الواحدة الذين اطلق عليهم فى تلك الفترة اسم (اليعاقبة) وهم الأن يسمون الاقباط الارثوذكس اتباع كنيسة الاسكندرية برئاسة البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية · اما من بقى من الملكانيين الى اليوم فيطلق عليهم اسم : الروم الارثوذكس ــ (المترجم) ·

الخاصة بكنيسته وسحبت جثته فى شوارع الاسكندرية • ولكن اسمه أو اسم تيموثاوس لا يظهران فى السجل الرسمى لبطاركة الاسكندرية • وقام الامبراطور الجديد ليو (لاون) بعزل تيموثاوس ايلوروس ونفيه • وتم تعيين بابا جديد يسمى تيموثاوس الثانى (٤٥٧ ـ ٤٧٧) ، مما يثير البلبلة ، وبالرغم من كونه مشايعا للخلقيدونية الا أنه ترك فى سلام عدة سنوات • ويذكر عنه أنه عامل أهل الاسكندرية بلطف ، ولكنه تجاهل بقية مصر (*) •

وفى سنة ٤٧٤ خلف لاون امبراطور جديد هو زينون • وفى العامين الأولين لتوليه ، كان الذى يمارس السلطة على امبراطوريته مغتصبا للسلطة يدعى باسيليسكوس الذى اتجه نحو أتباع الطبيعة الواحدة لكى يساندوه • وعلى ذلك فان تيموثاوس أيلوروس الذى قوبل بالترحيب فى الاسكندرية عقد مجمعا فى أفسوس حيث جرى التنصل من قرارات مجمع خلقيدونية وعاد مسرورا الى الاسكندرية ، أما تيموثاوس الثانى فقد اعتزل وعاش فى أحد الأديرة (**) • وفى سنة ٤٧٦ استخلص زينون عرشه • وفى

(*) هذا الكلام يخالف ما ورد فى كتب التاريخ الكنسى ، لأن تيموثاوس ايلوروس غير الملكانى الذى عينته الجماهير سنة ٤٥٧ هو نفسه البابا تيموثاوس الثانى الذى أعيد من المنفى سنة ٤٧٤ على يد الامبراطور الجديد باسيليسكوس الذى تسلم مقاليد الامبراطورية الشرقية بعد وفاة مرقيانوس آخر أباطرة آل ثيودسيوس (انظر قصة البابا تيموثاوس الثانى كاملة فى كتاب ايريس حبيب المصرى ـ قصة الكنيسة القبطية ـ الجزء الثانى ـ ص ص ٨٨ ـ ٩٨ ، وكذلك كتاب المؤرخ القس منسى يوحنا ـ تاريخ الكنيسة القبطية ـ ص ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، وبذلك لا توجد بلبلة) ـ (المترجم) •

(**) سبق أن أوضحنا أن تيموثاوس ايلوروس هو نفسه البابا تيموثاوس الثانى أما الشخص الذى عين بدلا منه أثناء فترة نفيه فان اسمه هو سولوفاتشيولى وهو الذى غادر الاسكندرية منسحبا فى هدوء الى أحد الاديرة وذلك عند وصول البابا تيموثاوس الثانى من المنفى • (انظر كتاب : قصة الكنيسة القبطية ـ ج ٢ ـ ص ٩٢ ، ٩٧) ـ (المترجم) •

العام التالى تم انتخاب بطرس الثالث بابا لمصر (*) • ورغبة فى تحقيق الوحدة السياسية ، حاول الامبراطور زينون توحيد أتباع الطبيعة الواحدة مع أتباع الطبيعتين فى كافة أنحـاء الامبراطورية الشرقية ، فأصدر فى سنة ٤٨٢ اعلانا أطلق عليه اسم هينوتيكون Henoticon ، وهذا الاعلان يشير الى أن ازدهار الامبراطورية يعتمد على الصلوات المشتركة للرهبان والقسوس والعلمانيين من كافة المعتقدات • ولكى تتحقق وحدة الكنيسة والدولة معا يعاد تأكيد العمل بقانون الايمان النيقوى مع القول بأن السيد المسيح هو اله وانسان فى شخص واحد مع عدم التعرض بالذكر لطبيعته ، مع استنكار قرارات مجمع خلقيدونية والمبادىء التى نادى بها نسطور وأوطاخى •

وقد وافق البابا بطرس الثالث على الهينوتيكون بالرغم من النقد الموجه اليه من أشـد العنـاصر تطرفا فى كلا مذهبى الطبيعة الواحدة والطبيعتين فى مصر وغيرها • لقد كان التوفيق الذى حققه سطحيا وقصير العمر ، كما قاد الالتباس الموجود فيه الى الانشقاق بين روما والقسطنطينية • ولم يستنكر البابا بطرس قرارات مجمع خلقيدونيـة ولكنـه تجاهلهـا ببساطة ، وسانده فى ذلك أتباع الطبيعة الواحدة من المصريين لتحقيق سياسته فى الدعوة للطبيعة الواحدة كمبدأ أساسى واستمر ذلك حتى نياحته سنة ٤٨٩ • أما خلفاؤه أثناسيوس الثانى (٤٨٩ ــ ٤٩٦) ، ويوحنا الأول (٤٩٦ ــ ٥٠٥) ، ويوحنا الثـانى (٥٠٥ ــ ٥١٦) ، وديوسقوروس الثانى (٥١٦ ــ ٥١٨) فلم يفعلوا شيئا لتغيير هذا الموقف الراهن •

وقد وصل تأثير مذهب الطبيعة الواحدة الى أقصاه فى الامبراطورية الشرقية خلال حكم الامبراطور أنسطاسيوس (٤٩١ ــ ٥١٥) • وفى

(*) تم انتخاب البابا بطرس الثالث سنة ٤٧٢ خلفا للبابا تيموثاوس الثانى الذى تنيح فى نفس السـنة ٤٧٢ • أما الامبراطور لاون فقد اسـتولى على العرش من باسيليسكوس وطرد البابا بطرس الثالث وعين مكانه دخيلا اسمه جاورجيوس الذى توفى سـنة ٤٧٤ فحـاول الامبراطـور تعـيين شـخص آخر يسمى يوحنا طلايا مكانه ولكنه اختلف معـه فتراجع عن عزمه ، وأعاد بطرس الثـالث الى كرسـيه سـنة ٤٧٦ • (المرجع السابق ، ص ١٠٢) ـ (المترجم) •

الأعوام الستة الاخيرة من حكمه كان ساويرس وهو من أتباع الطبيعة الواحدة بطريركا على أنطاكية ، وهكذا أصبحت مصر وسوريا تحت قيادة أتباع الطبيعة الواحدة ، مما أســاء الى موقف أتبــاع الطبيعتين فى القسطنطينية ٠

وفى مصر ، كانت التغييرات الادارية مستمرة منذ عصر الامبراطور زينون ، فلم تعد الأرض الزراعية تقسم الى محليات ، وبدلا من ذلك عادت الى النظام القديم الخاص بالمديريات nomes وأصبحت تسمى Pagarchies ويديرها محافظ أطلق عليه اسم Pagarch وهو فى العادة ينحدر من عائلة قيادية محلية ٠ وأسندت معظم المناصب الادارية العليا بما فيها تلك الموجودة فى الاسكندرية وحتى حاكم مصر العليا Dux الى المصريين ، وكانت العلاقات المصرية الخارجية متبادلة مع الكنيسة السورية التى تتبع هى أيضا مذهب الطبيعة الواحدة ، عن طريق الرهبــان الذين أنشــأوا علاقات الصداقة وتبادلوا الزيارات ٠

وفى سنة ٥١٨ جرى انتخاب بابا جديد على الكرسى الاسكندرى هو تيموثاوس الثالث ، وكذلك جاء الى العرش امبراطور جديد هو جوستين الأول (حوالى سنة ٥٢٧) ، وجعل ابن أخيه جوستنيان وصيا على العرش وترك له الشئون الدينية ٠ وكان جوستنيان مواليا لمجمع خلقيدونية وابتدأ فى تطبيق قراراته قسرا فى كافة أنحاء الامبراطورية ٠ وكان من الصعب تحزير مصر من مذهب الطبيعة الواحدة ، ولكنه أجبر البطريرك ساويرس على الرحيل من سوريا ٠ ولجأ ساويرس الى مصر حيث مات بها سنة ٥٢٨ ٠ وفى سنة ٥١٩ عادت كنيستا القسطنطينية وروما الى جمع الشمل بينهما واقترح البابا هورميسداس ارسال سفيره القاصد الرسولى ديوسقوروس الى الاسكندرية ليصــير بطريركا ، ولم يأخذ جوستنيان بهذا الاقتراح واستمر البابا تيموثاوس الثالث فى موقعه حتى وفاته فى سنة ٥٣٦ (*) ٠

(*) غضب جوستنيان على البابا تيموثاوس الثــالث منذ البداية ؛ لأنه رفض الحضور الى المجمع الذى عقده جوستنيان لمحاكمة ساويرس بطريرك انطاكية بسبب مذهب الطبيعة الواحدة الذى ينتمى اليه ٠ امر جوستنيان بالقبض على البابا للاسكندرى=

وفي سنة ٥٢٧ أصبح جوستنيان امبراطورا وأقام عصرا جديدا دعي باسم العصر البيزنطي نسبة الى الاسم الأصلي للقسطنطينية ، وكان الامبراطور الجديد للامبراطورية البيزنطية والذى بلغ عمره حينذاك ٤٥ سنة حينما أقيم على العرش ، ابنا لفلاح وفلاحة من البلقان • وقد تعلم على يد عمه جوستين الذى كان هو نفسه رجلا أميا تدرج في مناصب الجندية حتى وصل الى العرش • وترجع شهرة جوستنيان الى أنه كان حاكما مصلحا عظيما ورجلا ملفتا للأنظار • أما زوجته ثيودورا التى كانت ممثلة سابقة مما دفعه الى تغيير القانون حتى يستطيع الزواج منها ، فقد كانت امرأة تسترعي الانتباه كذلك • اهتم جوستنيان بشئون الدولة والكنيسة معا ، ولكنه اعتبر أن ازدهار الدولة له الأهمية القصوى ، ولتحقيق هذا الهدف سعى الى الوحدة الدينية • وبالرغم من أن المسيحية كانت هى ديانة الدولة منذ زمن طويل الا أنه كانت لا تزال بعض الجيوب الوثنية قائمة ، فأراد جوستنيان استئصالها باغلاق آخر المعابد الباقية وآخر برج تتحصن به ألا وهو جامعة أثينا •

وحاول كجزء من اندفاعته لاستعادة امبراطورية الغرب أن يجد مساندة من بابا روما الذى حاول أن يساومه مطالبا بانتهاج سياسة متشددة ضد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة فى مصر وسوريا • حاولت الامبراطورة ثيودورا ذات الميول المتجهة نحو الطبيعة الواحدة أن تؤثر فى زوجها من أجلهم ، ولذلك أصبح جوستنيان متأرجحا ما بين البابا وأتباع مذهب الطبيعة الواحدة • وعندما أصبح ثيودوسيوس الثاني هو

= ونفيه • أما ساويرس بطريرك انطاكية فقد لبى الدعوة وذهب الى القسطنطينية فحكم المجمع بتجريده ونفيه فجاء الى مصر هاربا • وبعد عودة البابا تيموثاوس الثالث من المنفى أصبح طريدا هو والبطريرك ساويرس من بلد الى بلد ومن دير الى دير • ومن هناك كان كل منهما يرسل الرسائل الى شعبه لتثبيته فى الايمان حتى تنيح البابا تيموثاوس الثالث فى سنة ٥٢٨ وهو بعيد عن شعبه وهى نفس السنة التى تنيح فيها البطريرك ساويرس فى مصر وبعيدا عن شعبه أيضا • (انظر كتاب قصة الكنيسة القبطية ، ج ٢ ، صص ١٣١ ـ ١٣٨) ـ (المترجم) •

البابا الثالث والثلاثين للكرسى الاسكندرى وذلك فى سنة ٥٣٦ (*) عرض عليه جوستنيان أن يزيد من سلطانه فى مصر وفى أفريقيا اذا قبل قرارات مجمع خلقيدونية . ولكن ثيودوسيوس رفض ، فنفاه الى قرية دركون Dercon على البسفور ، ولكنه بعد ذلك بقليل سمح له بالحضور الى بلاط ثيودورا فى القسطنطينية حيث بقى حتى تنيح فى سنة ٥٦٧ .

وبعد نفى ثيودوروس عين جوستنيان بولس التبنيسى رئيس دير كانوب بطريركا ، ولما كان بولس هذا من أتباع مذهب خلقيدونية فانه بالطبع لم يلق القبول من المصريين أتباع مذهب الطبيعة الواحدة الذين رفضوا الاعتراف به . وقد سيطر بولس على الكنائس الكبرى بالاسكندرية كما سلم كنائس الطبيعة الواحدة الى آخرين ، وقام ببناء كنائس جديدة منها الانجيلية Angelion فى السرابيوم وكنيسة القديسين قزمان ودميان . وقد تمتع بولس بسلطات دنيوية واسعة استخدمها بكثير من الشدة والجور ، وعزل فى سنة ٥٣٩ ، وعين مكانه راهب من فلسطين اسمه زويلوس ولكنه لم يحقق نجاحا ولم يلق القبول . وفى سنة ٥٥١ حل محله أبوليناريوس الذى لم يكن بطريركا للاسكندرية فقط ، ولكن أيضا حاكما مدنيا . ويذكر أبوليناريوس فى حوليات الملكانيين كرجل رحيم . أما أتباع الطبيعة الواحدة فيقولون عنه انه وصل الى الاسكندرية فى زى قائد عسكرى محاط بالجنود ودخل الى كنيسة مزدحمة ، ثم خلع زيه العسكرى وكشف عن نفسه مرتديا عباءة الاكليروس ، ثم أخذ فى قراءة قرارات مجمع خلقيدونية التى أثارت الجماهير ، مما جعل بعضهم يرشقه بالحجارة ، وهنا أمر أبوليناريوس جنوده بقتل بعضهم حتى يصبحوا مثلا للآخرين .

(*) هذا البابا هو ثيودوسيوس الاول وليس الثانى ، وقد ارتقى الكرسى الاسكندرى حسب التقويم الشرقى القبطى سنة ٥٢٨ وهى نفس السنة التى تنيح فيها سلفه تيموثاوس الثالث . ومات فى المنفى سنة ٥٥٩ - (المترجم) .

وبالرغم من أن هذه القصـــة قد لا تكون صحيحة الا انها تدل على أحاسيس أتباع الطبيعة الواحدة السلبية تجاه من عينه الامبراطور (*) • وقد بقى أبولليناريوس فى هذا المنصب حتى موته سنة ٥٧٠ •

وأثناء هذه الفترة كان البابا ثيودوسيوس المنفى فى القسطنطينية وقد أجبر على الانزواء بلا حول ولا طول ، بينما حاول جوستنيان مرات عديدة أن يوحد ما بين أتباع الطبيعة الواحدة وأتباع الطبيعتين فى مصر من الخلقيدونيين الذين كانوا فى مركز القوة على الأقل بمدينة الاسكندرية • وأعاد جوستنيان تنظيم الادارة فى مصر : ضم منصب الحاكم الى منصب الوالى ، وأصـــبح من يتـولى المنصـبين معـــا يدعى الحـاكم المبجل Augustal Dux • أصبح لكل اقليم من أقاليم مصر الخمسة وهى غرب الدلتـــا Aegyptus ، وشرق الدلتا Augustmanica ، ووسط الدلتا Arcadia ، ومصر العليا Thebaid ، وليبيا Libya ـ سلطة مدنية وعسـكرية فى شخص واحد مسئول أمام الامبراطور فقط • واصـبح لبطريرك الاسكندرية المعين من قبل الامبراطور زميل سياسى واحد هو الحاكم المبجل بدلا من اثنين كما كان يجرى من قبل ، مما أضعف من سلطته الى حد ما • أما البابا المنفى ثيودوسيوس فقد كان من جهة أخرى قادرا على ممارسة سلطته بارسال مرأسليه الى مناطق خارج مصر •

فى وقت مبكر من سنوات حبرية الأنبا ثيودوسيوس أى حوالى سنة ٥٤٠ ، أوفد ارسالية الى معبد ايزيس فى جزيرة فيلة وراء حدود مصر الجنوبية • وحوالى سنة ٥٥٣ تحول جزء من المعبد الى كنيسة باسم القديس اسطفانوس ، وهو الحادث الذى دون فى البهو الداخلى للمعبد بواسطة نقش باللغة اليونانية يقول : « أنجز هذا العمل العظيم المحبوب

(*) هذه القصة صحيحة وقد أجمعت عليها معظم كتب التاريخ الكنسى ، وهى تبين مدى استخفاف الامبراطور وأصفيائه بمشـاعر المصريين • ويلاحظ هنـا ان المؤلفـة تسمى اتبـاع الطبيعة الواحدة باسمهم وتذكر الملكانيين (اتبـاع الطبيعتين) باسم الأرثوذكس ، ولكن اليوم أصبح أتبـاع الطبيعة الواحدة هم الأرثوذكس واتباع الطبيعتين هم الروم ــ (المترجم) •

من الله رئيس الدير الأسقف ثيودورس ٠ ولم يكن المعبد قد أغلق اولا لأن القبائل النوبية الوثنية قد اتخذت منه مركزا لها حسب اتفاقية موقعة معهم ، وثانيا لأن احدى هذه القبائل وهى قبيلة البليمى Blemmyes كانت قد هاجمت المناطق المصرية الواقعة شمال حدودها الجنوبية ، وبذلك صعبت من امكانية تنفيذ المكاتبات الامبراطورية فيما بعدها من مناطق ٠ وفى بداية القرن السادس تم طرد قبيلة البليمى الى داخل الصحراء النوبية على يد قبيلة أخرى قوية هى قبيلة النوباد Nobadue ، التى استقبلت الأسقف ثيودورس كرسول قادم من فيلة ٠ وبعد عدة سنوات أرسلوا الى البابا ثيودوسيوس فى القسطنطينية طالبين عددا آخر من المعلمين ٠ وقام البابا ثيودوسيوس تحت رعاية الامبراطورة ثيودورا برسامة أحد القسوس التابعين له ويدعى يوليانوس أسقفا ، وأرسله على رأس بعثة الى أراضى النوباد ٠ وكان هذا الاجراء غير شرعى ، ولذلك تم ارسال ارسالية منافسة من مذهب الطبيعتين باسم الامبراطور ٠ ومع ذلك فقد قوبلت هذه الارسالية بدون اكتراث مع كثير من العقبات التى واجهتها فى اقليم مصر العليا ووصلت وسط ظهرانى النوباد بعد وصول ارسالية الأسقف يوليانوس بوقت طويل ٠

وعلى الرغم من ذلك فقد كان مذهب الطبيعتين هو الذى ترك بصماته على المسيحية النوبية خاصة فى الصروح الضخمة التى فى قصر ابريم وفرس حيث تظهر التأثيرات البيزنطية فى العمارة والزخرفة ٠ وكانت اللغة الدارجة بالنسبة لشعب الكنيسة هى اللغة النوبية ، ولكن لغة القداس كانت اليونانية (*) ٠

(★) اورد عالم الاثار سومرز كلارك فى كتابه
Christian Antiquities in the Nile Valley

الذى قمت بترجمته الى العربية تحت عنوان : الاثار القبطية فى وادى النيل ما يلى :

« ويبين لنا الدليل المتوافر عن الموضوع أن المسيحية لم تشق طريقها جنوب النيل الأزرق من اثيوبيا الى السودان مثلما قال البعض ، ولكنها دخلت النوبة من مصر مثلما فعلت حضارة قدماء المصريين ، ثم تقدمت عبر القرون الى الطرف الجنوبى من جزيرة مروى حيث ازدهرت مملكة علوى Alwa فى القرنين الثالث عشر والرابع =

وظلت هذه المشكلة موجـودة حتى بعد الفتح العربي لمصر عندما انفصلت الكنيسة النوبيـة عن القسطنطينية ، وأجبرت على العودة الى الاسكندرية لرسامة الأساقفة الذين يتعهدونها بالرعاية • وابتداء من هذا الوقت ، مارست الكنيسة القبطية سلطانها على الكنيسة النوبية كما هو واضح ، من النقوش والنصوص القبطية ولكنها لم تستطع المحافظة على بقاء التقاليد المسيحية فى النوبة عندما خضعت النوبة للاسلام فى القرن الثاني عشر (*) •

وأثناء الأعوام الثلاثين التى قضـاها البابا ثيودوسيوس منفيا فى القسطنطينية أصـبحت كنيسة الاسـكندرية التى تتبع مذهب الطبيعة الواحدة غير منظمة • وفى بقية أنحاء مصر انتظرت جموع السكان المخلصة حتى تتبع وتطيع البـابا الذى قررت اختيـاره • وعندما مات البـابا ثيودوسيوس سنة ٥٦٧ أى بعـد عامين من وفاة جوستنيان ، تقدم عدد كبير من المرشحين للكرسى الاسكندرى بعضهم ينتمى الى مذاهب محدودة ، ومن كلا المذهبين الخلقيدونى ومذهب الطبيعة الواحدة ، وكان هؤلاء جميعا قد ظهروا خلال السنوات القليلة الماضية • وكان أصـحاب النفوذ من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة قد انكسروا ، ولم يتبق من الأساقفة أصحاب القوة الملحوظـة الا ثيودورس الشيخ الذى من فيلة ولونجينوس وهما اللذان رسمهما البابا ثيودوسيوس وأرسلهما الى قبيلة النوباد • وقد طالبت قيادات الكنيسة فى الاسكندرية بحضورهما الى المدينة حتى تجري

= عشر وقد تحول شمال السودان الى المسيحية نتيجة لكرازة القديس مرقس الرسول فى الاسكندرية ، وكذلك فان مرحلة المسيحية النوبيـة المعروفة لنا تحمل علامات وسمات نوعية العقيدة والتعليم المسيحى اللذين نشرهما بطاركة الاسكندرية اليعاقبـة (اتباع الطبيعة الواحدة للمسيح) » ـ ص ١٥ من الترجمة العربية ـ (المترجم) •

(★) لم يذكر التاريخ مطلقا أن الكنيسة القبطية قد تدخلت فى معتقدات النـاس واجبرتهم على الخضوع لها أو لغيرها ، ولكن المؤلفـة هنا تبرر انتماء النوبيين الى الكنيسة القبطية بهذا الكلام ، ثم تحاول أن تلقى على عاتق الكنيسة القبطية بتهمـة العجز عن المحافظة على بقـاء التقاليد المسيحية فى النوبة بعد خضوعها للاسـلام وهى تريد بذلك تحريض الاقباط ضد اخوانهم المسلمين واشاعة جو من عدم الاستقرار يجعل البلاد مهيأة من جديد للتدخل الاجنبى ـ (المترجم) •

محاولة انتخاب البابا الشرعي • وكان ثيودورس شديد الهزال بحيث لا يقوى على السفر ، ولكن لونجينوس رتب لقاء سريا مع اثنين من الأساقفة السوريين في مريوط ، وهناك تم اختيار راهب سوري يسمى ثيودورس بدون استشارة الاسكندريين • وكان ثيودورس رئيسا لأحد الأديرة المصرية ، وقد رفضه الاسكندريون أولا بسبب الظروف التى تم اختياره خلالها ، وبدلا من ذلك اختاروا شماسا متقدما في السن يسمى بطرس ، وتمت رسامته على يد اثنين من الأساقفة الأجانب ، ومعهما أسقف مصرى موقوف •

واستطاع بطرس الرابع خلال فترة حبريته (٥٦٧ ـ ٥٧٦) أن يستعيد نفوذ الكنيسة المصرية فعين ٧٠ أسقفا ، وهو عمل جليل اختصه يوحنا ـ الذى من أفسس مؤرخ الكنيسة التى تتبع مذهب الطبيعة الواحدة ـ بالنقد اللاذع ، حيث قال انه يصعب العثور على ٧٠ من الحراثين الموهوبين فى نفس الفترة التى تم فيها اختيار ٧٠ أسقفا وعلى أية حال فقد كان بطرس الرابع هو مؤسس الكنيسة القبطية التى بقيت فى مصر حتى عصرنا الحالى • وقد حاول خليفته البابا دميانوس وتعداده الخامس والثلاثون (٥٧٦ ـ ٦٠٥) أن يتدخل فى شئون سوريا • فعندما قام شعب أنطاكية فى سنة ٥٨١ بتعيين بطريرك من أتباع الطبيعة الواحدة وهو بطرس الذى من كاللينيكوم ، رفض البابا دميانوس أن يعترف به • وبذلك بدأ انشقاق بين الكنيستين المصرية والسورية استمر حتى أيام أنسطاسيوس الذى ينسب اليه انجازه العظيم فى رأب الصدع ، وهو حدث احتفى به بطاركة الكنيستين باقامة قداسات مشتركة فى دير اناتون سنة ٦١٦ قبل وفاة أنسطاسيوس بقليل •

أما البطريرك أبولليناريوس الذى يرأس الكنيسة الخلقيدونية فقد خلفه فى سنة ٥٧٠ جندى متقاعد يدعى يوحنا الذى خلفه هو الآخر يولوجيوس (٥٨١ ـ ٦٠٨) • وقد عكست تقسيمات الاسكندرية الى الخلقيدونية ، وأتباع الطبيعة الواحدة الاختلافات الجنسية الموجودة فى

المدينة · فقد كان الخلقيدونيون من الاغريق ، أما أتباع الطبيعة الواحدة فهم الأقباط المصريون ، وكان للاغريق كنائسهم بالقرب من الميناء ، فى حين كانت الكنائس القريبة من السرابيوم للمصريين · وأقام باباوات الاسكندرية رسميا فى دير أناتون بدلا من الاسكندرية ، وهو يقع عند علامة الميل التاسعة خارج المدينة ·

وفى خلال السنوات الست الأخيرة من حبرية البابا أنسطاسيوس حكم هرقل الامبراطورية البيزنطية ، وهو آخر من حكم مصر من البيزنطيين · ففى أثناء حكمه هاجم الفرس الامبراطورية بقيادة خسرو · وفى سنة ٦١٥ ، تغلبوا على أورشليم التى فر منها الى مصر أعداد كبيرة من اللاجئين بالاسكندرية ، وهنا نالوا الراحة مع البطريرك يوحنا الخلقيدونى الذى تعاون مع الكنيسة القبطية لمساعدتهم · واحتل الفرس مصر من سنة ٦١٦ الى ٦٢٩ وسببوا الكثير من التدمير للمسيحيين الأقباط ، فخربوا الأديرة والقرى الواقعة فى المنطقة المحيطة بالاسكندرية ، ولكن المصريين فى غالبيتهم اعتبروهم طاقما آخر من أطقم الحكام الأجانب · وتحرك البابا أندرونيكوس بابا أصحاب الطبيعة الواحدة عائدا الى الاسكندرية حيث عاش تحت حمايه الفرس كما فعل خلفه بنيامين (٦٢٣ ـ ٦٦٢) مدة السنوات الست الأولى من حبريته ، وفى سنة ٦٢٩ رحل الفرس عن مصر وعاد الامبراطور هرقل ليتولى مقاليد السلطة · وفى سنة ٦٣١ عين هرقل قورش (المقوقس) الذى كان أسقفا فى الشمال الشرقى من آسيا الصغرى فى موقع البطريرك الخلقيدونى وواليا على مصر · وبمجرد وصول المقوقس الى مصر هرب البابا بنيامين واتخذ لنفسه ملجأ فى مصر العليا · وكان ذلك بسبب أن المقوقس كان ينوى تحويل أتباع الطبيعة الواحدة الى مذهب الطبيعتين مع استخدام القوة عند الضرورة ، وتم اقصاء الأساقفة عن كراسيهم والرهبان عن أديرتهم ومات بعض أتباع الطبيعة الواحدة ومنهم شقيق البابا بنيامين ·

أما خارج مصر ، فكانت هناك أحداث بالغة الخطورة غيرت مجرى التاريخ ، ففى سنة ٦٣٢ م مات النبى محمد ﷺ ، وبدأ التوسع الاسلامى

بعد ذلك التاريخ بعام واحد ، وهزم الامبراطور هرقل على يد الجيش العربى فى سوريا ما بين سنتى ٦٣٤ ـ ٦٣٦ وهرب عائدا الى القسطنطينية . وفى سنة ٦٣٩ استطاع القائد عمرو دخول مصر فى جيش قوامه ٤٠٠٠ جندى فقط ، ولم تكن هناك أية خطط لمقاومة الغزو ، وبعد ذلك بأقل من سنتين سيطر العرب على مصر كلها ولم يبق أمامهم الا الاسكندرية . ومنحت المدينة العظيمة مهلة حوالى عام للسماح باجلاء هؤلاء الذين ارادوا الرحيل . وفى ٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٢ دخل عمرو مع قواته المدينة ، وبعد ذلك أرسل عمرو هذا التقرير الى الخليفة عمر : « لقد استوليت على مدينة أقل ما أستطيع أن أقوله عنها هو أن بها أربعة آلاف قصر ، وأربعة آلاف حمام ، وأربعمائة مسرح ، واثنى عشر ألف بائع خضراوات ، وأربعين ألف يهودى » .

وربما كان من المبالغة القول بأن المصريين استقبلوا العرب بأذرع مفتوحة ، الا أنهم كانوا قد تعبوا من سادتهم البيزنطيين ومن المنازعات حول العقائد الدينية التى ظلت مستمرة منذ ١٩٠ عاما ، تاريخ انعقاد مجمع خلقيدونية ، وانتابهم الفزع كذلك لأن المقوقس جدد عصر الاضطهاد الدينى ، ولابد أنهم أحسوا بالراحة عندما قرر عدم البقاء فى مصر العربية والتقهقر السريع الى القسطنطينية ، ومن جهة أخرى فان البطريرك بنيامين اختار البقاء ، وسمح له عمرو بالعودة الى الاسكندرية واستعادة كنائسه . . وبعد ذلك أقام بنيامين علاقات مودة مع القائد عمرو موافقا على الحقيقة القائلة بأن المسيحيين المصريين سيحصلون على المراكز المهمة فى الادارة الجديدة خلال السنوات القليلة القادمة ، وعلى أية حال ، فان العرب أتاحوا التسامح الدينى فى مقابل دفع الجزية .

٥ ـ الحركة الديرية

تعتبر الحركة الديرية (الرهبنة) من أهم وأكبر انجازات مصر التي قدمتها للمسيحية منذ ممارستها في الغرب ، لأن هذه الحركة نشأت وتطورت بين الأقباط · وكان هناك ميل للنسك في مصر قبل المسيحية ، فقد خضع المصريون لاغرائه بسبب انهيار الوثنية · والمشاعر التي أحس بها هؤلاء الذين عجزوا عن التوافق مع الشكوك وانعدام الثقة التي أفرزتها هذه الفترة · ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد حدثت العديد من التجارب الشبيهة بالنسك ، ولكنها كانت على سبيل المحاولة ، وأيضا قصيرة العمر خاصة بين الأفراد الذين جمعوا ما بين الورع الديني والفلسفة اليونانية الشعبية · وقد انتشر الزهد أيضا في اقليم اليهودية بفلسطين حيث مارسته جماعات مثل الناصريين Nazarites وجماعتي Rachabites و chasidim ha-Risbonim ، وأشهرها جماعة الأسينيين Essenes ، وقد مارست هذه الجماعات كلها العزلة ، ولكن لا يوجد دليل على تأثر الزهد المسيحي الذي اتسع نطاقه ونما في مصر خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد بأفكار أي من هذه الجماعات (*) ·

(*) لم يذكر الكثير من المؤرخين الذين اهتموا بالبحث في أسباب الحركة الرهبانية أنها تعود أصلا الى أسباب روحية عميقة ، وانما أوردوا أسبابا عديدة منها : الهروب من الاضطهادات أو العجز عن التوافق مع المجتمع ، أو عدم القدرة على المشاركة في العمل والانتاج ··· الخ مما يوحي بأن الرهبان اختاروا موقفا سلبيا من الحياة والناس ، ولكن هذه الأسباب كلها أسباب سطحية اعتمدت على تفسيرات مادية اجتهادية وليست لها علاقة بالأسباب الحقيقية ، لأن « الرهبنة شرعت العزلة عن الناس للتفرغ للتعبد والانقطاع للرياضات الروحية والعقلية =

وفى القرن الثانى ق٠م كان هناك نساك معتزلون أطلق عليهم اسم طائفة المنقطعين (كاتاشوى katachoi) ، عاشـوا فى ممفيس عيشـة المجاورين داخل معبد سرابيس وهو السرابيوم المحلى ٠ وأقاموا فى سراديب الدفن التى دفنت بها النواويس التى بداخلها جثث عجول أبيس المقدسة ، ويبدو أن هؤلاء المنقطعين عاشوا فى صوامع منفردة وقد تخلوا عن كافة الممتلكات معتمدين على احسـان القرويين المحليين ، وقد اسـتخدموا مصطلحى « الأب » و « الأخ » مثلما فعل الرهبان فيما بعد ، فيما عدا أن نساك السرابيوم لم يلتزموا بأية عهود أو نذور قطعوها على أنفسهم ، كما أنهم لم يهجروا العالم الذى كانوا على صلة به ، والذى كانوا يرجعون اليه بعد قضاء عدة سنوات فى السرابيوم ٠ وكذلك شهدت هليوبوليس عددا من النساك الكهنة الذين كانوا يعيشون على تناول وجبة بسيطة ، ويحاولون الوصول الى حالة من الثبات وقوة التحمل فى ممارسة التأملات فى الأمور الالهية ، ولم يكن النسك المطبق فى هليوبوليس شائعا ، كما

= والانصراف للتأمل والتصوف ، والخلود الى السـكون الخصيب ، والوجود الدائم فى حضرة الله والشخوص فيه والاتحـاد به ٠٠٠ وهى تتطلب أيضا التبتل الى الله أى حياة العزوبيـة الاختيارية حتى ينصرف اهتمـام الراهب الكلى نحو خدمة الله وعبادته على نحو خدمة الملائكة لله وعبادتهم التى يقدمونها له ، فيكون الراهب مقدسا كله لله نفسـا وجسـدا وروحا ٠ وهى تتطلب أيضا اختيـار الفقر طواعيـة ومحبـة لله زهدا فى زخرف الحياة الدنيا وأباطيلها والتخلص من محبـة المال التى تصرف اهتمام الانسان نحو العالم المادى وتعوق طريقه الى الله ٠ واذا كانت لراغب الرهبنة ممتلكات ، فانه يبيعها ويوزع ثمنها على الفقراء والمسـاكين قبل أن يعتزل فى الدير ، أما اذا توافر له بعض المال من ممارسة عمله فى الدير فانه يصـير ملكا للدير لأن الراهب قد مات عن العالم باختياره ٠ وبذلك يتضح لنا خطأ ما يقوله بعض المفكرين من أن الرهبنـة هى طريق الفقراء الذين لجأوا الى الدير هربا من تكاليف الحياة ، أو تخلصـا من دفع الضرائب ، فقد كان الكثيرون من الرهبان قبـل الرهبنة من ذوى الثراء وفى أسمى المناصب فزهدوا فى كل شىء واختاروا الفقـر مع التعبد لله ٠ ويذكر التـاريخ من هؤلاء : القديس انطونيوس مؤسس الرهبنـة ، والقديس ارسـانيوس معـلم أولاد الملوك ، والقديس مكسيموس وأخاه دوماديوس ابنى الامبراطور فالنتيـان الأول ، وغيرهم » (للمزيد من المعلومات انظر كتـاب : الدير المحرق ـ تأليف نيافة الدكتور الأنبا غريغوريوس ، صص ١١ ـ ١٧) ـ (المترجم) ٠

أنه لم يستهو الأتباع فى أية أماكن أخرى ، وقد اندثر فى القرن الأول الميلادى (*) ٠

أما فى مصر العليا فقد تمثلت الحركة النسكية الرئيسية فى طائفة العراة Gymnosophists الذين عبدوا النيل وعاشوا فى الخلاء مرتدين القليل من الكساء ٠ وكانوا نباتيين وامتنعوا عن « الشهوات والجسد » ٠ وكان مذهب العراة مذهبا فكريا وهلينستيا فى النواحي السلوكية ، وقد اختفى من مصر العليا قبل ظهور الديرية التى لم يكن له عليها اى تأثير مباشر ٠

وكانت الرهبنة المسيحية شـــديدة القرب من مذهب المعـالجين Therapeutae الذين عاشوا فى الاسكندرية ، وقد ترك أفراد هذا المذهب حياة العالم بما فيها ممتلكاتهم وأقاربهم وعاشوا فى أماكن منعزلة خارج حدود المدينة ، حيث قضوا معظم وقتهم فى الصلاة والتأمل واكتفوا بالقليل من الطعـام ٠ وكان هدفهم هو علاج الروح بتطهيرها من كافة الرغبـات ومن الألم ومن السرور ٠ وقد وصف فيلو Philo الفيلسوف اليهودى الذى ولد بالاسكندرية فى بداية القرن الأول الميلادى جماعة من

(*) لم تنشأ الرهبنة القبطيـة تقليدا لنوعيات النسـك الوثنيـة التى رصـدها المؤرخون قبل ظهور المسيحية حتى ولو تشابهت مع بعض الممارسات الرهبانية المسيحية ، لأن الرهبنة المسيحية التى نشأت فى مصر على يد الأقبـاط (أنشأها الأنبـا أنطونيوس كما ستورد المؤلفة نفسها فيما بعد) نشأت أصلا تنفيذا لدعوة مقدسـة أطلقهـا السيد المسيح ذاته حينما قال لتلاميذه : « يوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ـ انجيل متى ١٩ : ١٢ » ، ولم يكن يقصد بذلك أن يقوم شخص باخصاء نفسه كما فعل أوريجانوس ، ولكنه كان يقصـد حياة البتولية واحتمال شظف العيش بما فيه من التصدى لمحاربة الشهوات البشرية العالية ومنها الشهوة الجنسية للمحافظة على طهارة الجسد والروح ٠ وقد استدرك السيد المسيح بعد ذلك فقال : « من استطاع أن يقبل فليقبل » أى أن الانخـراط فى سلك الرهبنـة ، ليس مطلوبا من جميع الناس ، ولكن من افراد معينين اختارهم الله للسير فى هذا الطريق الصعب من طرق العبادة ، وأنعم عليهم بالقدرة على احتمال مشاق السير فيه ٠ أما غالبيـة المسيحيين فانهم يعيشون حياتهم العـادية ، ويتزوجون وينجـبون الابنـاء للابقـاء على الجنس البشرى ـ (المترجم) ٠

المعالجين أنشأها اليهود المصريون الذين عاشوا على ضفاف بحيرة مريوط في صوامع منفردة monasteria خاضعين للقانون ، وكانوا يلتقون على فترات للاشتراك في العبادة وكسر الخبز أى تناول الطعام معا • وقد أوحى هذا التشابه في أسلوب الحياة مع أسلوب حياة النساك المسيحيين الأوائل الى مؤرخى تاريخ الكنيسة من أمثال يوسابيوس ـ الى المناداة بالتطابق بين المعالجين الذين وصفهم فيلو وبين المسيحيين الأوائل بالرغم من عدم وجود أى سبب آخر لذلك • ويعتبر الاعتزال Anachoresis هو باكورة الديرية المسيحية ، ويعنى فى العادة الانسحاب الى الصحراء • وقد استخدم لفظ الناسك Anchorite الذى يرادف لفظ الزاهد hermit المستخدم اليوم ، فى عصور ما قبل المسيحية لدلالة أصلا على الشخص الذى يترك العمل حتى يتم اتخاذ اجراء بصدد الشكوى المقدمة منه ، وفيما بعد استخدم كاصطلاح لوصف هؤلاء الذين هربوا الى الصحراء فرارا من الضرائب المرتفعة أو المعاملة الظالمة • وقد تحول العديد من المسيحيين الى نساك فى القرن الثالث للميلاد ، بعضهم نتيجة للأسباب التى ذكرناها آنفا ، والبعض الآخر فرارا من الاضطهاد الذى أثاره داكيوس ضد المسيحيين • وساعد مناخ مصر الدافىء والنادر المطر النساك على السكنى فى الكهوف والمقابر والتى أقيمت فى العصور الفرعونية وهجرت منذ وقت طويل • وكانت الصحراء الشرقية على وجه الخصوص مناسبة لهذا الغرض • ولما كانت طرق القوافل تخترقها من النيل الى البحر الأحمر فقد أتاحت بذلك للنساك ليس فقط القدرة على الانسحاب من المناطق السكنية ، بل أيضا البقاء على اتصال بالناس للحصول منهم على المؤن التى كانت ضرورية لاستمرار بقائهم •

والناسك المسيحى هو الشخص الذى اعتزل فى الصحراء لكى يتفرغ لحياة الصلاة والصوم منصرفا عن المشاغل الدنيوية • ولم يكن على الأقل من الناحية النظرية ـ رجلا يحاول الهروب من ضغوط الحياة ، بل رجل اعتقد أن الصحراء مسكونة بالشياطين والوحوش التى تتسبب فى حدوث الشر ، وكان عليه أن يصارعها بوصفه مناضلا من رجال الله ، وبذلك

بحقق بالتغلب عليها ضمان سلامة اخوته المسيحيين في وادى النيل ، ويبدو ان رفاق الناسك من المسيحيين قد عرفوا لجهود النســاك أفضالها حيث ان العديد من سجلات القرويين تتضمن امداد النســاك بالطعام البسيط • ويذكر التقليد أن أول النساك هو الأنبا بولا السائح الذى عرف باسم بولس الطيبى الذى كتب جيروم سيرته باللاتينية فى القرن الرابع • ومن غير المؤكد معرفة مدى دقة ومطابقة ما كتب جيروم للحقيقة ، وكم بلغ جيروم فى محاولته لتصـــور الناســـك المثالى • وقد قيل ان الأنبا بولا ولد بالاسكندرية فى سنة ٢٣٤ • وعند بلوغه سن ١٦ سنة (*) هرب الى قرية بعيدة للتخلص من الاضطهاد الذى أثاره داكيوس ، وعلى أية حال ، فقد وشى به زوج أخته واضطر الى البحث عن ملجأ فى الصـــحراء الغربية حيث عاش فترة من الزمن فى مغارة ثم انتقل فى السنوات التالية الى الصحراء الشرقية • وقيل انه عاش هناك لمدة ٨٦ سنة قضاها ناسكا • وقبل نياحته بقليل فى سنة ٣٤٧ وقد بلغ من العمر حينذاك ١١٣ سنة زاره القديس أنطونيوس الذى كان هو أيضا شيخا متقدما فى السن ، وأعطاه الأنبا بولا رداءه الذى كان قد ضفره من سعف النخيل • ويذكر التقليد القبطى أن أسدين قد أتيا وحفرا القبر الذى قام أنطونيوس بدفن الأنبا بولا فيه • جرت العادة على رسم هذين الأسدين ضمن زخارف الأيقونات التى تصور الأنبا بولا •

كان القديس أنطونيوس هو أول شخص أكد التاريخ على أنه اعتزل فى الصـــحراء بصفته ناسكا • أصبح بعد ذلك هو مؤسس الديرية (الرهبنة) المسيحية • ولد القديس أنطونيوس فى كوما (قمن العروس) وهى قرية تقع الى جنوب القاهرة على بعد ٧٥ كيلو مترا ، وكان ذلك حوالى سنة ٢٥١ • وقد جاء الكثير من المعلومات التى نعرفها الآن عن القديس أنطونيوس من « حيــاة الأنبا أنطونيوس » التى دونهــا باللغة

(*) اجمعت المراجع القبطية على أن عمره كان ١٢ سنة وليس ١٦ ـ (المترجم) •

القبطية القديس أثناسيوس البطريرك العشرون (*) ، كما أخذنا التفاصيل عن تطورها عن المصدر نفسه الذى دونت به هذه السيرة · وكان القديس أنطونيوس حسب ما ذكره القديس أثناسيوس مصرى المولد ، وكان والداه يمتلكان الكثير من الأملاك كما كانا مسيحيين · وقد تربى أنطونيوس تربية مسيحية ، وقيل عنه انه كان طفلا هادئا وقويم السلوك ، وكان يفضل صحبة والديه الى الكنيسة بدلا من اللعب مثل بقية الأطفال · ولما كان والداه من أصل يونانى (**) ومن الأغنياء فقد كان من المتوقع أن ينال نوعية التعليم المعتاد بالنسبة لولد يونانى · ولكن يبدو أنه لم يذهب للمدرسة وربما لم يتعلم القراءة والكتابة ، ومن المؤكد أنه لم يتحدث اللغة اليونانية · واعتاد أنطونيوس رغم شبابه أن يحترم سلطة والديه ، وبرغم ثرائهما فانه لم يطالبهما بطعام غير عادى ، ولكنه قنع بأن يعيش حياة البساطة ·

وعندما كان القديس أنطونيوس فى سن ١٨ أو ٢٠ سنة مات والداه وتركا له أختا أصغر منه لكى يرعاها · وقبل مرور ستة أشهر على وفاتهما ترك أنطونيوس المنزل وذهب الى الكنيسة · وفى طريقه اليها كان يتأمل فى الكيفية التى ترك بها الرسل كل شىء وتبعوا المخلص (المسيح) ، ومن كان منهم ذا أملاك باعها حتى يقدم منها ما يوفى بحاجة المحتاجين · وفى الكنيسة أصغى أنطونيوس لما كان يقرأ فى الانجيل وهو الآية ٢١ من الاصحاح ١٩ من بشارة القديس متى ، التى تقول : « ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ، وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » ·

(*) كتاب « حياة الأنبا انطونيوس » كتبه القديس البابا اثناسيوس الرسولى باليونانية ، وهى اللغة التى كان يكتب بها آباء الكنيسة فى ذلك الوقت · وقد ترجم هذا الكتاب عن اليونانية بمعرفة المتنيح القمص مرقس داود · وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٩٨٢ ـ (المترجم) ·

(**) لم ينص أى مرجع للتاريخ القبطى على هذا الاصل اليونانى وربما اتخذت المؤلفة من عبارة « مصرى المولد » تكأة لهذا الانتساب الذى لم يذكره أحد سواها · وأقول ان ذلك يمثل استمرارا لمحاولات الغربيين الدائمة لتجريد مصر من كافة أمجادها ونسبتها اليهم ـ (المترجم) ·

واعتبر أنطونيوس أن هذا الكلام موجه اليه بصفة شخصية ، وسرعان ما تخلى عن الأرض التي ورثها عن والديه (حوالى ٣٠٠ آروزا أى ٢٠٤ أفدنة من أخصب الأراضى الزراعية) لأهالى قريته ، وباع ممتلكاته ووزع المال الناتج عن البيع على الفقراء واستبقى القليل منه لأجل أخته · وفى زيارته الثانيـة للكنيسة استمع أنطونيوس الى قول الانجيل « لا تهتموا للغد » · (متى ٦ : ٣٤) ، وبدون تردد أعطى بقية ما كان يملكه للفقراء · أما عن أخته فاستودعها لدى بعض العذارى المؤمنات اللائى كان يعرف عنهن العفة وبذلك تصير هى الأخرى عفيفة مثلهن (*) ·

ثم ترك أنطونيوس منزله وكرس نفسه لحياة الزهد · وفى البداية مارس النسك خارج قريته حيث شغل نفسه بالعمل اليدوى معطيا جزءا من الانتاج للفقراء · وبعد أن تقابل مع شيخ عجوز عاش ناسكا منذ شبابه أخذ عنه أنطونيوس مبادىء النسك · ثم أخذ فى التجوال ليلتقى بنساك آخرين ، وكان يلاحظ فى كل منهم احدى خواص النســك التى يتفوق فيها عن غيره · فعلى ســبيل المثال لاحظ فى أحدهم القوة فى الصلاة ، ولاحظ فى ناسك آخر الطبع الطيب ، وفى ثالث الرحمة ، وفى الأخير قوة الاحتمال · واستوعب أنطونيوس كل ما رآه وتحمــل مشقة مراعاة تطبيق ما رآه فى ســلوكه الشخصى ، وبذلك يصبح معادلا لكل النساك الآخرين ونموذجا للجميع ، بصرف النظر عن كافة الاغراءات التى وضعها ابليس فى طريقه ·

وقضى أنطونيوس الكثير من الليالى بدون نوم ملتزما بالسهر · وكان يأكل مرة واحدة فى اليوم بعد غروب الشمس · وقضى فى بعض المرات فترة تتراوح ما بين يومين إلى أربعة أيام دون أن يتناول طعاما · وكان

(★) عرفت المسيحية منذ بدايتها وجود المعيشة المشتركة لمجموعات من العذارى المتبتلات ، وذلك قبل ان يضع الانبا انطونيوس بزمن طويل اسس الرهبنة · وأولى هـذه الجماعات تكونت من أربعين عذراء كى يعشن مع العذراء مريم بعـد صعود السيد المسيح ويخدمنها ويشتركن معها فى العبادة ، وقد اطلق عليهن اسم « عذارى جبل الزيتون » (سنكسار اليوم الســادس عشر من شهر مسرى) ـ (المترجم) ·

طعامه مكونا من الخبز والملح والماء ، ولم يذق اللحم أو الخمر مطلقا ، وكان ينام على برش وأحيانا على الأرض بدون فراش • ولم يغسل جسده بالزيت أو يستخدم اللوف للاستحمام •

وفى النهاية انتقل القديس أنطونيوس الى مقبرة قديمة تبعد قليلا عن قريته وأغلق مدخلها على نفسه بعد أن رتب حصوله على الخبز كل عدة أيام عن طريق أحد معارفه فى القرية • وخلال هذه الفترة خاف العدو (الشيطان) أن ينتشر نموذج أنطونيوس فيشجع النساك على احتلال الأماكن المنعزلة « فأتاه فى احدى الليالى فى جمع من الشياطين » ومزقه بضربات حتى سقط مغشيا عليه ، وعلى كل حال ، نشكر العناية الالهية حيث أتى أحد معارفه فى صباح اليوم التالى يحمل اليه أرغفة الخبز ، فلما وجده ملقى على الأرض وكأنه ميت رفعه وأخذه الى الكنيسة التى بالقرية • وهناك أضجعه على الأرض « وتجمع حوله الكثيرون من أقاربه وأهل القرية للسهر على الناسك الذى كان شبه ميت » •

وعند منتصف الليل استعاد أنطونيوس وعيه ، ولما رأى الجميع حوله نائمين فيما عدا شخصا واحدا ، أومأ اليه وطلب منه أن يحمله ويعود به الى المقبرة • وعند استقراره فى المقبرة لم يستطع أن يقف على قدميه « بسبب ضربات الشياطين » فصلى وهو راقد • أما الشيطان وقد أغضبته عودة أنطونيوس الى الصحراء فقد هاجمه ثانية ، ولكن هذه المرة اتخذ جنوده شكل وحوش خيالية وزواحف وبدا القبر وكأنه مملوء بالأسود والدببة والفهود والثيران والحيات والثعابين والذئاب ، وتقدم بعضها نحو القديس أنطونيوس محدثا ضجيجا عاليا أو اشارة تتفق مع هيئته التى ظهر بها ، فالأسود تزأر ، وبدت الثيران كما لو كانت على وشك أن تطعنه بقرونها ، أما الحيات فقد كانت تزحف نحوه •

وبالرغم من أن القديس أنطونيوس كان يعانى من الآلام البدنية الشديدة فقد ظل مستيقظ الروح ورقد على الأرض قويا وغير خائف ، وتحدى الشياطين أن تهاجمه بأسوأ ما تستطيع ، حتى رفع رأسه فى

النهاية ورأى شعاعا من النور هابطا من السقف ، فهربت الشياطين وانقشع ألم جسده سريعا • أما أنطونيوس وقد تنفس الصعداء ثانية فقد تحول نحو الرؤيا التى شاهدها وسأل قائلا : أين كنت ؟ لماذا لم تظهر منذ البداية وتنقذنى سريعا ؟ فوصل اليه الصوت قائلا : « لقد كنت موجودا هنا ، ولكن لكى أشاهد نضالك ، فانتظرت ، لأنك صمدت ولم تهزم ، سأكون عونا لك دائما وأجعلك مشهورا فى كافة الأرجاء » ، ولما سمع أنطونيوس ذلك قام وصلى وأدرك أن جسده صار أشد قوة • وكان عمره فى ذلك الوقت حوالى ٣٥ عاما •

وفى اليوم التالى ترك أنطونيوس المقبرة وخرج باحثا عن الشيخ العجوز الذى أعطاه فى البداية مبادىء الزهد ، ورجاه أن يأتى معه الى داخل الصحراء لخدمة الرب هناك ، ولكن الشيخ رفض متعللا بأنه كبير السن ، ولا يقوى على احتمال مثل هذه النوعية من الحياة ، وعلاوة على ذلك فانه لم يمارس هذا الشكل من أشكال الزهد قبل ذلك ، وعلى ذلك مضى أنطونيوس وحده •

وحاول العدو أن يضع العراقيل فى طريقه فألقى طبقا كبيرا من الفضة فى طريق سيره ، ولكن القديس أنطونيوس تساءل قائلا : « كيف ومتى أتى هذا الطبق الى البرية ؟ » ان هذا الطريق غير مطروق ولا توجد آثار أقدام تبين أن أحدا قد سافر فيه • وعند سقوط هذا الطبق لم يكن من السهل على صاحبه ألا يشاهد سقوطه نظرا لضخامة حجمه ، ولابد لمن فقده أن يعود للبحث عنه ويجده لأن المكان قفر ، ان هذا لمن عمل الشيطان • وعندما نطق أنطونيوس بهذه الكلمات اختفى الطبق فى نفثة دخان •

وجاء الاغراء الثانى عندما شاهد الأنبا أنطونيوس كومة من الذهب ملقاة فى الطريق ، وسواء ألقى بها الشيطان لكى يحول انتباهه ، أم وضعها الله ليكشف حقيقة أن أنطونيوس كان أقوى من الاغراء ، فان أنطونيوس لم يكن متأكدا ، وهرب من المكان •

واستمر القديس أنطونيوس سائرا حتى وصل الى قلعة مهجورة على الضـــفة الشرقية للنيل عند بيسبير (ربما كانت هى دير الميمون الحديثة) ، ويسبب هذا الوقت من السنة كان المكان مليئا بالزواحف ولكنها هربت عند اقتراب الأنبا أنطونيوس • ولما كان قد صنع خبزا يكفيه لمدة ستة أشهر ، كما تأكد من وجود مورد للماء بالقلعة ، فقد أغلق على نفسه فى الداخل ، وبقى هناك وحده لممارسة الزهد • ولم يغامر بالخروج منها كما أنه لم يشاهد هؤلاء الذين أتوا اليه • وكان الخبز يقدم له مرتين فى السنة من خلال ثقب فى السقف •

وبالرغم من حضور الكثيرين لزيارة القديس أنطونيوس فى بيسبير فانه لم يسمح لهم بالدخول الى صومعته ، ولذلك فانهم قضوا أياما وليالى عديدة خارج الباب ، وهم يتسمعون الأصوات بالداخل • وعندما سمعوا أصواتا تقول وهى صارخة ، « غادر مكاننا ، أنى لك ان تأتى الى البرية وتسكن فيها ؟ انك لن تقوى على مقاومة هجماتنا » • خاف الناس على القديس أنطونيوس ، وظنوا أن أناسا أحضروا سلالم ودخلوا الى صومعته • ولكنهم عندما انحنوا الى أسفل ونظروا من ثقوب الحوائط لم يروا شيئا ، فعرفوا أن تلك كانت أصوات الشياطين • أما القديس أنطونيوس فلم يكن خائفا ، وجاء الى باب صومعته راجيا اياهم أن ينصرفوا ولا يخافوا • وبناء على ذلك ، انصرفوا وتركوه هناك • وبرغم أن هؤلاء الذين عرفوا الأنبا أنطونيوس كانوا يصعدون الى القلعة التى اتخذها صومعة له الا أنهم فى كل مرة يذهبون اليه كانوا يخشون أن يجدوه ميتا أو يصارع الموت ، ولكنهم فى كل مرة كانوا يسمعونه حيا ويرنم المزامير •

وعاش الأنبا أنطونيوس حياة التوحيد النسكى فى بيسبير عشرين عاما • ولم يكن ليخرج أو حتى يسمح لأحد بأن يشاهده بالرغم من أن شهرته انتشرت فى جميع الأرجاء كما أن الكثيرين رغبوا فى ترسم خطاه • وفى سنة ٣٠٥ جاء بعض الذين يريدون أن يتتلمذوا عليه الى بيسبير واقتحموا باب الصومعة • وعندما خرج اليهم القديس أنطونيوس تعجبوا

من منظره · فانه لم يصب بالسمنة بسبب انعدام الحركة ، ولم يصبح ضعيفا بسبب الصوم والصراع ضد الشياطين · ولقد وجدوه تماما كما كان قبل دخوله مكان التوحد ، ووجدوا أيضا أنه كان أقوى من الألم ولم يستول عليه الضحك ، ولم يتأثر بأفعال الطيش أو الاكتئاب ، وكان سلوكه هادئا ، حتى عندما شاهد جموع الناس المنتظرين لتحيته ·

وكان هناك بين المتزاحمين كثير من المرضى فشفاهم الله بصلوات القديس أنطونيوس ، كما أنه عزى هؤلاء الذين كانوا محزونين ، وأصلح بين المتخاصمين ، وأقنع الكثيرين بأن يختاروا لأنفسهم حياة التوحد ، وبهذه الطريقة انتشرت الأديرة في الصحراء التي امتلأت بالرهبان الذين سكنوا بها بعد أن تركوا منازلهم ، وبذلك نشأ أول تجمع رهباني في بيسبير · أما عن كيفية البدء في ممارسة الرهبنة فلم يكن هناك تنظيم رسمي للجماعة : كانت ببساطة جماعة من الرجال الذين تمسكوا بمثاليات القديس أنطونيوس ، وعاشوا في مغارات خاصة بهم في المنطقة المحيطة بصومعة أنطونيوس · وظهر نوعان من الرهبنة تدريجيا : النوع الأول تكون من النساك الذين عاشوا منفردين في توحد كامل ، بحيث أصبح كل منهم راهبا monachos بمعنى الكلمة (أى شخصا يعيش منفردا) · أما النوع الثاني فهو يتكون من الرجال الذين عاشوا شبه مجتمعين (في دير) وهي الرهبنة العمومية (الشركة) Communal وبذلك فانهم رغبوا في العيش مبتعدين عن العالم في مقر سكناهم الخاص بهم (كان هذا المقر في العادة يتكون من المغارات أو المقابر المهجورة التي كانت منتشرة في منطقة واسعة) ، ولكنهم كانوا يتجمعون في أوقات معينة للصلاة الجماعية ·

ولم يتضمن النظام الأنطوني أية قواعد رسمية ، كما أن الرهبان لم يتقيدوا بقسم يلزمهم بالطاعة · وبدلا من ذلك كان الرهبان أحرارا في تطوير أسلوب كل منهم الخاص به في ممارسة الحياة الدينية ، التي تتكون من الصلاة · والصوم ومصارعة الشياطين سواء بشكل منفرد

أو بشكل شبه جماعى · أما هؤلاء الذين لم يستطيعوا تقليد الأنبا أنطونيوس في العيش على تناول وجبة واحدة من الخبز والماء فقد كانوا يزرعون الخضراوات التى يحتاجونها ، أو يصنعون السلال والحصر من سعف النخيل ، ثم يبيعون ما صنعته أيديهم حتى تتوافر لهم ضروريات الحياة المتواضعة ·

ومع تزايد أعداد الرجال الذين انجذبوا الى الحياة الدينية انتشرت كذلك التجمعات الرهبانية · وصار كل ناسك مشهور بؤرة لانشاء تجمعات جديدة ، وبرغم كونه على مثال القديس أنطونيوس فانه لم يعتبر نفسه عظيما بالنسبة للرهبان الآخرين الذين اعتبروه ببساطة مصدر الهامهم · وعندما يموت مثل هذا الناسك كان تلاميذه وأتباعه يدفنون جثته فى مغارته ويطلقون اسمه على جماعتهم (*) ويعرف المكان من ذلك الحين باسم طافوس Topos الناسك (فلان) ، وبعد انشاء الجماعة يعين لها « أب » يتلخص عمله في ارشاد الأعضاء الجدد ، وبالتدريج تطورت مواقع الجماعات شبه الأهلة بالرهبان فصارت مثل النواة تلتف حولها المبانى التى تتكون من كنيسة وقاعة للطعام refectory ، وفيها يجتمع الرهبان مرة واحدة في الأسبوع لإقامة القداس والتناول ، ويعرف الموقع باسم الدير Laura · وفى سنة ٣١١ وأثناء الزيارة الأولى التى قام بها الأنبا أنطونيوس للاسكندرية ـ وهى واحدة من اثنتين أو ثلاثة ـ كان الأنبا بطرس خاتم الشهداء قد قطع رأسه · وباستشهاد الأنبا بطرس انتهى اضطهاد المسيحيين المصريين · ولما فشل أنطونيوس في الفوز بالشهادة لنفسه عاد مرة أخرى الى بيسبير بحثا عن الوحدة فى الصحراء الجوانية أو الصحراء الشرقية ، واستقر هناك عند سفح جبل القلزم

(*) بعد أن يجتاز الراهب فترة الاعداد يصلون عليه صلاة الجنازة باعتبار أنه قد مات عن العالم ويطلقون عليه اسم أحد الشهداء أو القديسين بدلا من اسمه الأصلى · ويتجرد أيضا من اسم أبيه الحقيقى وينتسب الى الناسك الأكبر الذى يسمى الدير باسمه ، فعلى سبيل المثال اذا تسمى هذا الراهب باسم كيرلس وكان يتبع دير الأنبا أنطونيوس فانه يسمى كيرلس الأنطونى ·· واذا تسمى باسم سمعان وكان يتبع دير السريان فانه يسمى سمعان السريانى ··· وهكذا ـ (المترجم) ·

(السويس) وهو يبعد حوالى ٣٥٠ كيلو مترا جنوب القاهرة • وحتى فى هذا المكان كان الزوار يلحون فى طلبه فأقيم تجمع أنطونى جديد فى المكان بينما انسحب أنطونيوس نفسه الى مغارة ترتفع حوالى ٢٧٥ مترا فوق واجهة الجبل •

ويقال ان أنطونيوس تنيح فى سنة ٣٥٦ عن عمر يناهز ١٠٥ سنوات• وترك جلد الخروف والعباءة للقديس أثناسيوس ، وأعطى جلد الخروف الآخر للأنبا سرابيون • ولئلا يصير قبره مزارا يحج اليه الناس ، كان أنطونيوس قد طلب الى الراهبين اللذين عاشا معه وهما أماتاس ومكاريوس أن يدفناه سرا ، وقد فعلا ذلك • ويذكر تقليد أنه دفن تحت أرضـية مغارته ، بينما يذكر تقليد آخر أنه نقل فى سنة ٥٦١ الى كنيسة القديس يوحنا المعمدان بالاسكندرية ، ثم الى كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية • وحوالى سنة ١٢٠٠ حصل على الرفات سائح يدعى جوسلين ونقله الى مقاطعة سانت ديديه لاموت فى فرنسا حيث يعيش هناك • ومنذ سنة ١٤٩١ يتردد القول بأن الجسد قد حفظ فى كنيسة سانت جوليان فى آرليس ، بالرغم من أن العديد من الأماكن الأخرى خاصة فيينا وسانت أنطوان بالقرب من جرينوبل فى فرنسا وبروجس فى بلجيكا ادعت أنها تحتفظ بجسد الأنبا أنطونيوس • ولأن أتباع الأنبا أنطونيوس لم يتمكنوا من معرفة المكان الذى دفن فيه جسده بالضبط فقد عاشوا سنوات عديدة بعد نياحتـه فى دير يقع عنـد سفح جبل القلزم حيث توجد مغارة أبى الرهبنة • وفى فترة تقع ما بين عامى ٣٦١ ، ٣٦٣ أقاموا ديرا فى ذلك المكان ، ولعب دير الأنبا أنطونيوس دورا مهما فى شئون الكنيسة القبطية حيث انتخب من بين رهبانه ١٢ راهبا أصبحوا باباوات للاسكندرية •

الأديرة الباخومية

قام القديس باخوميوس بتطوير الديرية المصرية من مرحلة التسكنى فى الصحراء التى حث عليها القديس أنطونيوس الى مرحـلة الاقـامة فى مجتمع مغلق مع تطبيق قواعد صارمة ومضبوطة • ثم جاء الأنبـا شنودة فتناول النظام الرهبانى الباخومى بالتوسع والتنظيم الأكثر تطورا •

ولد القديس باخوميوس عام ٢٦٢ بالقرب من اسنا في مصر العليا . وكان والداه وثنيين • ولم تكن له أية صلة بالمسيحيين حتى بلوغه مرحلة الشباب • ولم يتحدث اليونانية ولم يتعلمها الا في مرحلة متقدمة من حياته • وعندما بلغ سن العشرين انخرط في صفوف الجيش وخدم لمدة سنوات أثناء حكم قنسطنطين وليسينيوس ، وأثناء اقامة وحدته لمدة قصيرة في طيبة ، لقي باخوميوس معاملة كريمة من المسيحيين المحليين وتأثر بهم حتى انه قرر الاستقالة من الجيش مبكرا ، وعندما سرح من الجيش تعمد باخوميوس بقرية تشينوبوسكيون (*) ، وبدأ حياته النسكية تحت رعاية القديس بلامون وهو ناسك محلي كانت مجموعته الرهبانية تنتمي الى الرهبنة الأنطونية فانضم اليها • وبعد ذلك بسبع سنوات أصبح للقديس باخوميوس رؤيته الخاصة فترك بلامون ، الذي مات بعد ذلك بعدة سنوات بسبب الصوم المتواصل • كانت رؤية القديس باخوميوس تنحصر في ضرورة تكوين جماعة خاصة به ، وتحقق له ذلك بالفعل في قرية تدعى تابنيسي (بالقرب من اخميم على بعد ٨٠ كيلومترا جنوب أسيوط) حيث أنشأ الدير الخاص به سنة ٣٢٣ • وفي تابنيسي تزايد عدد تلاميذ باخوميوس سريعا فاتخذ لهذا المجتمع الرهباني شرطين أساسيين : المعيشة العادية ولكن في جماعة ، ثم البدء في حياة الرهبنة النسكية كما وضعها بالمقارنة مع النظام الأنطوني ، على أن يتم ذلك تحت ارشاد القديس باخوميوس وليس فقط بتطبيق أفكاره الملهمة • وقد ساعده تدريبه العسكري في اقامة المباني الديرية ، وتنظيم أسلوب الحياة الذي يعيشون على منواله •

وفي سنة ٥٢٩ قام البابا أثناسيوس بزيارة دندرة **Tentyra** حيث طلب منه الأسقف ادخال باخوميوس في سلك الكهنوت ، ولكن

(*) خدم القديس باخوميوس في الجيش مع والد قسطنطين الكبير وتحت قيادته ثم خدم تحت امرة ليسينيوس اما قرية تشينوبوسكيون التي تعمد فيها فتدعى سينوبوسكيون حيث اعتنق المسيحية هناك سنة ٣١٤ م • وهي في نجع حمادي الحالية • (المترجم) •

باخوميوس رفض هذا التكريم دون أن يبـــدى الاعتراض ولذلك ابتكر وسيلة يتحاشى بها مقابلة البابا • ولكن ابتداء من ذلك الوقت ، أصبح رهبان النظام الباخومى ضمن مؤيدى أثناسيوس الأوفياء •

ويتكون الدير الذى يطبق النظام الباخومى من مجموعة مبان يحيط بها سور ، وفى داخل هذا السور المحيط توجد القلايات التى يقيم بها الرهبان ، كما توجد كنيسة وقاعة للاجتماعات وقاعة للطعام ملحق بها المطبخ ، كما توجد مكتبة وورش للعمل ، وكذلك يوجـــد بيت للضيافة ومنزل لاقامة حراس المدخل الى الدير •

ولم يمنع من دخول الدير الباخومى سوى هؤلاء الذين عرف عنهم الانحراف فى سابق حياتهم ، بالرغم من أن الكلمـــة التى اســـتخدمت للتعبير عن الانحراف وهى كلمة « غـير مرضـــية » unsatisfactory غير محددة المعنى • ويمـــكن أن يصـــبح القسوس رهبـانا (*) برغم أنهم لاينالون أية كرامة خاصة بسبب وضعهم الكهنوتى ، ويعاملون مثل بقية الرهبان • وليست هنـاك سن محددة للقبول فى سلك الرهبنـة ، فيما عدا ما هو معروف من أن راهبا واحدا فقط يدعى ثيودورس الذى أصبح الأب الأكبر للنظام الباخومى فى ســـنة ٣٥٠ كان قد انتظم فى سلك الرهبنة وعمره ١٤ سنة فقط •

وكل من يريد أن يصير راهبا يقدم نفسه عند باب الدير حيث كان الحارس مسئولا عن تعليمه القليل من الصلوات الأساسية • وحيث ان غالبية الراغبين فى الرهبنة كانوا أميين ، فقد كان من الضرورى أن يحفظوا بعض الأشـياء عن ظهر قلب ، ولذلك كان الحراس يختبرون المتقدمين اختبارات فى القدرة على الحفظ بعد اعطائهم توجيهات معينة لعدة أيام •

(*) العكس هو الصحيح ، فان الراهب يمكن ان يدخل فى سلك الكـهنوت ويصبح قسيسا لخدمة اخوته فى الدير أو ينتدب لفترة قصيرة للخدمة باحدى الكنائس خارج الدير • اما الكاهن فلا يصلح للرهبنـة لانه متزوج • بل أن الزواج يجب أن يتم قبل رسامته كاهنا اى قسا ـ (المترجم) •

واذا نجح الشخص فى اختبار البوابة ، كان يسمح له بدخول الدير وتقرأ عليه القواعد الأساسية ، وبعد قبوله كان يتسلم الزى الرهبانى المكون من قميص بدون أكمام يربط عند الوسط بحزام ، ورداء خارجى فضفاض بدون أكمام مصنوع من جلد الماعز يسمى ميلوت Melote وهو يمتد من الكتف الى الركبة ، وعباءة ، وقلنسوة للرأس منقوش عليها علامة الدير ورمز البيت الذى ينتمى اليه داخل الدير . ويعطى للراهب أيضا عباءة من الكتان يلبسها أثناء وجوده فى القلاية (الصومعة) . أما الصنادل فلا تلبس الا عند السفر ، حيث يجهز الراهب حينئذ بعكاز على شكل حرف T ولذلك كان يطلق عليه أسم Tau وهو حرف T باليونانية . وبعد أن يرتدى الراهب زيه الرهبانى يسمح له بالانضمام الى الرهبان الآخرين للاشتراك فى الصلوات . ولا يوجد أى دليل على قيام أى شكل من أشكال الاعداد للرهبنة (*) . وكان الرهبان مسئولين عن نظافة ملابسهم ، فكان عليهم أن يغسلوها على فترات منتظمة ، واذا فقدت قطعة من الملابس كان على صاحبها أن ينتظر مدة ثلاثة أسابيع ليحصل على بديل لها . وربما لم تكن هناك أية معان رمزية فى ملابس الرهبان التى كانت تصنع فى أديرة الراهبات ، ولكن هذه الملابس تميزت بالعملية والبساطة بوصفها أداة لستر الجسم . وكانت قطع الملابس غير المستخدمة تحفظ فى غرفة حفظ الملابس تحت اشراف مساعد رئيس المنزل (**) .

(*) كان طالب الرهبنة يقضى ثلاث سنوات تحت التمرين ، يفرض عليه اثناءها أن يتعلم القراءة والكتابة ان كان يجهلها ، وعندما يثبت أهليته للرهبنة يترك البيت الذى بجوار البوابة ويقيم فى قلاية . وكان من المقرر على الراهب ـ تحت الاختبار أن يحضر ثلاثة دروس يوميا ، أما الرهبان المعلمون فيحضرون دروسا فى تفسير الأسفار المقدسة والتعاليم المسيحية يومى الأربعاء والجمعة ، كما كانت مكتبات الأديرة مفتوحة على مصاريعها لكل راغب فى القراءة . وهذه الترتيبات صحبت الرهبنة منذ نشأتها ـ (المترجم) .

(**) المنزل هو قسم من أقسام الرهبان فى الدير ، مكون من عدة قلالى يقيم فيها مجموعة متجانسة من الرهبان ـ (المترجم) .

وبعد سنوات قليلة من تأسيس الدير الأصلي في تابنيسي لم يعد قادرا على استيعاب رهبان جدد ، ولذلك تم افتتاح دير آخر في بيبو ، يبعد عن الأول حوالي ثلاثة كيلومترات شـــمالا • وعند نياحة القديس باخوميوس متأثرا بالطاعون سـنة ٣٤٦ كان هناك أحد عشر من الأديرة الباخومية منها اثنان للبنات • وكان على رأس الدير الباخومي (القمص) أو الأب الأكبـــر ، وكان القديس باخوميوس هو الذي يتمتع بالسلطـة النهائية في البداية ، وكان مقره في تابنيسي ، وكان في قدرته ليس فقط تعيين رؤساء الأديرة الباخومية بل أيضا نقلهم من دير الى آخر • ومن أهم واجبات الرئيس الأعلى زيارة جميع الأديرة التي تخضع لرئاسته ، كما كان له حق تسمية من يتولى بعده أي ترشيحه •

وكان هناك أيضا نائب للرئيس ، بينما يتوزع سكان الدير الآخرون على المنازل بحيث يشـــمل كل منزل ــ بقدر الاستطاعة ــ الرهبان الذين ينتمون الى نفس التجارة أو نفس الجنسية • وقد ورد أن أحد الاسكندريين قضى ثلاث سنوات في أحد الأديرة الباخومية ، وكان يقيم في منزل أقامه هؤلاء الذين يتحدثون اليونانية ، وكل مجموعة من ثلاثة أو أربعة منازل تسمى قبيلة • وكان على رأس كل منزل رئيس يعاونه مساعد • أما تحديد رتبة الراهب فكان يتم بناء على طول المدة التي قضاها هناك •

وكان هذا النظام يهدف الى أن يكون كل دير معتمدا على نفسه ، كما جرى التشديد على العمل سواء في الأراضي الزراعية لانتاج الطعام أو في العمل اليدوي في شكل عمل السلال وغيرها من البضائع للاستخدام داخل الدير أو للبيع • وعلى ذلك فقد انقسم الرهبـان الى هؤلاء الذين يصنعون الحصر والسلال من الســمار وسعف النخيل ، وهؤلاء الذين يعملون في زراعة الأرض ، ثم الذين يرعون الماشية أو يعملون بالنجارة أو يصنعون الأحذية • وكان البعض الآخر يعمل حارسا ، أو طباخا أو في غرفة الرعاية الصحية ، وبينما كان حجـــم الجماعات الديرية يتزايد ، تزايدت أيضا درجـة التخصص بين الرهبان • واذا تم اسناد عمل معين

الى أحد الرهبان فلا يتوقع أن ينتقل منه الى عمل آخر • وأثناء الفترة المخصصة للعمل لابد من مراعاة الصمت التام حتى يتاح للراهب ممارسة التأمل • ولا يقطع الصمت سوى انشاد المزامير •

وفي كل أسبوع يتم اختيار عدد من رهبان كل منزل لرعاية الحاجات العامة لمنزلهم ، فيقدمون أنفسهم الى الرئيس الأعلى الذى يقوم حينذاك باصدار التعليمات ، ويقومون هم بدورهم بنقل هذه التعليمات لزملائهم الرهبان • وكانوا مسئولين أيضا عن توزيع الأدوات مثل تلك التى تستخدم في أعمال النسيج أو أعمال الزراعة • وعند نهاية الأسبوع يقوم رئيس المنزل بالاشتراك مع الرئيس الأعلى بعمل تقرير عن عمل الأسبوع يقدم خلال اجتماع عام سنوى يعقد في شهر أغسطس •

وبالاضافة الى أن القديس باخوميوس اعتبر أن العمل اليدوى له فوائد روحية فان فائض الانتاج والعمل اليدوى كان يستخدم في الدير أو يباع الى القرى المجاورة للدير • وكان أمين الخزانة فى بيبو مسئولا عن ترتيب البيع وعمل حساب الأموال الناتجة عن البيع • وقد تركت التجمعات الرهبانية تأثيرا ملحوظا على المناطق التى أقيمت فيها الأديرة ، اذ قام الرهبان باعادة تشغيل الأراضى المهجورة ، وساهموا فى الاقتصاد المحلى •

ويجتمع الرهبان مرتين لتناول الطعام في المطعمة مرة في وسط النهار والأخرى في المساء ، وبالرغم من ذلك فان الذين يريدون أن يعيشوا حياة أشد نسكا كان يسمح لهم بتناول الطعام بمفردهم خارج قلاياتهم • وفي الوقت المحدد ، يقوم الراهب المسئول عن التوقيت بدق الجرس للتنبيه الى ابتداء الفسحة الخاصة بتناول الطعام • وكان كل راهب يخلع صندله وعباءته على باب المطعمة حيث يجلس في المكان المحدد له ، ويضع قلنسوته فوق رأسه • ويراعى الهدوء التام أثناء تناول الطعام فيما عدا صوت الراهب الذى يقف على المنجلية ، ويقرأ الانجيل من الكتاب أو من الذاكرة •

والوجبة التى يتناولها الراهب شديدة البساطة وتتكون من الخبز والملح والزيت والخضراوات (خاصة البصل) ، والشوربة ـ فى العادة شوربة العدس ـ مع قطعة من الجبن أو الفاكهة بين الحين والآخر . أما الخمور واللحوم فهى ممنوعة . ويسمح للمرضى والضعفاء والمسنين بتموين اضافى . ولما كان باخوميوس لا يوافق على الإسراف فى الصوم لأنه يؤثر فى القدرة على العمل فقد قرر الصوم فى الأيام المبكرة على رؤساء المنازل يوم الجمعة ، وفيما بعد صار التجمع الرهبانى كله يلتزم بالأصوام. وفى خلال أيام الصوم الكبير يتناول الرهبان الطعام غير المطهى فقط ، وكان البعض منهم يتناول وجبة واحدة كل يومين أو خمسة أيام . وكانت هناك غرفة مخصصة للعلاج فى كل دير يتم فيها تمريض الرهبان المرضى ، وعندما يكون الراهب مريضا لايطلب منه الالتزام بقواعد الطعام الخاصة بالجماعة ، بل يقدم اليه أى شىء يعتبر ضروريا للحفاظ على صحته حتى لو كان ذلك الطعام هو النبيذ . أما الأوقات الأخرى التى كان الرهبان لا يتناولون فيها وجبتهم العادية فتتمثل فى أوقات الاستعداد للقيام برحلة طويلة يبدو انه من الضرورى توفير القوة اللازمة لأدائها ، وأيضا عندما يخرج الراهب خارج الدير لأى سبب . وعند تناول الطعام خارج الدير ، أو تناول كمية اضافية بداخل الدير فان الراهب الذى يصرح له بذلك يتناول الطعام بمفرده .

وتعتبر الصلاة سواء كانت انفرادية أو جماعية عنصرا مهما من عناصر الحياة الديرية . ففى فجر كل يوم يجتمع كل الرهبان معا أو يجتمع رهبان كل منزل معا وذلك لأداء الصلوات . أما الوجبات الجماعية فى وسط النهار او فى المساء فقد كانت تسبقها الصلوات ، بما فيها الصلوات الست التى تتلى قبل وجبة العشاء . وبعد تناول هذه الوجبة يتراجع الرهبان الى قلاياتهم التى لا يسمح لهم بمغادرتها حتى منتصف الليل عندما يجتمعون معا لأداء المزيد من الصلوات .

أما الخدمات التى كانت تتكون من المزامير والصلوات والدروس فكان يترأسها رئيس الدير ، وأثناء الخدمة تخلع الصنادل والعباءات

ويكتفي بالميلوت (جلد الماعز) وتكون الرؤوس مكشوفة • وتقام القداسات في أيام السبت والأحد للتناول من سر الشكر • وعند نشـــأة الأديرة الباخومية كان يأتي الى الدير قس من كنيسة تابنيسي لاقامة القداسات ، ولكن مع مرور الوقت تم الاســـتغناء عن هذه المساعدة الكهنوتية (*) • ويؤدى الرهبان الصلوات فى مواعيدها بصرف النظـــر عن المكان الذى يقيمون فيه • ولم يكن يسمح لهم بالنوم فترات طويلة ، ولم يكن النوم مريحا لأن كل قلاية مجهزة بمصطبة منخفضة من الطين لينـــام الراهب فوقها ، ولم تكن هذه المصاطب طويلة بما يكفى ، لكي ينام فوقها الراهب وجسمه ممتد بطوله • وفى أثناء حر الصيف كان يسمح للرهبان بالنوم فوق سطح القلاية اذا رغبوا . وكان بعض الرهبان يتجنب النوم مفضلا السهر الطويل • وكانت أبواب القلايات مفتوحة طول الوقت بالرغم من ان الرهبان لا يسمح لهم بالانتقال من قلاية الى أخرى •

وكان يعقد فى كل عام اجتماع عام للأديرة الباخومية مرتين : فى عيد القيامة المجيد وفي بداية العام الجديد (١٣ أغسطس) (**) ويختص اجتماع أغسطس بمناقشة الشـــئون الادارية مثل تعيينات المنـــاصب والوظائف ويقدم رؤساء الأديرة فى هذا الاجتماع تقريرا عن العمـــــل الذى تم انجازه فى كل دير خلال العام المنصرم • أما اجتماع عيد القيامة فيتيح للرهبان الاحتفال بعيد القيامة معا • وكانت الفرصـــة متاحة فى هذين الاجتماعين لجميع الرهبـــان لكي يصفح كل منهم عن الأخطاء التى ارتكبها أو ارتكبت فى حقـــه • وبذلك يكون الغرض من الاجتماعين هو الحفاظ على وحدة النظام الباخومى الذى كان يطلق على رهبانه اسم : رهبان تابنيسى حتى بالنسبة لهؤلاء الذين حضروا من أديرة أخرى •

(*) ظل رهبان القديس باخوميوس اكثر من مائة سنة يقتدون بمعلمهم فى الهروب من الرسامة للكهنوت لانهم حسبوا بتواضعهم انهم غير مستحقين لهذه الكرامة ولذلك كانوا ينتدبون قسا من احدى الكنائس خارج الدير لاقامة القداس وخدمة سر التناول — (المترجم) •

(**) من المعروف أن بداية العـام الميلادى الجديد تكون فى أول ينـاير • اما بداية العـام القبطى الجديد فانها فى ١١ سبتمبر • ولا اعرف شيئا عن ١٣ اغسطس هذا — (المترجم) •

وكانت القواعد التى تحكم حياة الرهبان في داخل الأديرة الباخومية مدونة ، وكانت تبذل الجهود الدائمـــة للتأكد من تطبيقها ، ويمـــكن تلخيصها فيما يلي :

- لا يسمح للراهب بأن يضـــع أى شيء فوق الحشية ســوى الحصـــيرة .
- لا يسمح للراهب بدخول قلاية جاره الا اذا طرق الباب أولا .
- لا يسمح للراهب بدخول المطعمة لتناول وجبة وسط النهار قبل ان يدق الجرس . كما انه لا يســـمح لاحـد بالدخول أو الخروج من منطقة الاقامة قبل ان يدق الجرس .
- لا يسمح للراهب بأن يمســـح بالزيت اى شـخص مريض أو يغسل جسده دون أن يؤذن له بذلك .
- لا يسمح للراهب بالحديث الى رفيقه فى الظلام .
- لا يسمح بجلوس اثنين على حصيرة واحدة او مرتبة واحدة .
- لا يسمح للراهب بالامساك بيد زميله أو اى شيء آخر يخصه ولكن عليه أن يحافظ على مسافة ذراع بينهما ســـواء كانا جالسين أو واقفين أو سائرين .
- لا يسمح للراهب باستخراج شــوكة من قدم شخص آخر الا اذا أمره المشرف على المنزل أو وكيله أو من يقوم مقامهما .
- لا يسمح للراهب بحلاقة راســـه بدون اذن من المشرف على المنزل . ولا يسمح لراهب بحلاقة شـــعر زميله الا اذا أمر بذلك ، ولا يسمح بالحلاقة فى وضع الجلوس .
- لا يسمح للراهب بالذهاب الى الجمعية العموميــة او المطعمة وهو يرتدى صندله ، ولا يرتدى رداءه الخارجي ســواء كان ذلك فى مكان الاقامة او فى الحقل .

- لا يخلع الراهب رداءه فى الشمس حتى يدق الجرس لوجبة وسط النهـــار • وكل من يخـالف هذه التعليمات يتعرض للمؤاخذة بسببها •

- واذا اضير اخ او أصيب بجروح ولكنه لم يلزم الفراش ، وكان قادرا على الحركة إلى الداخـل أو الخارج ، واحتاج الى رداء او قليل من الزيت فان مشرف المنزل الذى ينتمى اليه يذهب الى المخازن ويحضر اليه المطلوب حتى يتم شفاؤه ، وفى ذلك الوقت عليه أن يعيد ما حصل عليه الى مكانه •
- لا يسمح للراهب بأن يأخذ او يقبل من اى شخص اى شيء بدون اذن من مشرف المنزل الذى يقيم به •

- لا يسمح للراهب بدخول حظيرة الماشية اذا لم يرسل اليها بمن فى ذلك المزارعون ، فيما عدا رعاة الماشية •
- عندما تمتطى جحشا فعليك أن تترجل عنه بمجرد وصـولك الى الدير الا عند الضرورة ، وعنـــدما تترجل عنـــه فانك تسـير امامه •

- لا يســمح للراهب بتسـلم اى شيء من اى شــخص كضمانة ولا حتى من اخيه •
- لا يسمح للراهب بأن يأكل شيئا فى قلايته •
- اذا ترك الراهب رداءه وأشرقت عليــه الشمس ثلاث مرات فانه يعاقب على هذا الفعل ، ويعترف به أثناء الخدمة ويبقى واقفا فى المطعمة • اما بخصوص الرداء المصنوع من جلد الغزال او الصندل او الحزام او اى شيء آخر فانه يعامل أيضـــا بنفس هذه القواعد •

- اذا اخذ راهب شيئا لا يخصه ، فانه يحمله على ظهره أثنـاء الخدمة فى وقت الصلاة ثم يعترف ويبقى واقفا فى المطعمة •

● **اذا شوهد راهب يتشاجـــر او يتخاصم وبصرف النظر عن الأسباب فانه يعاقب بما يتناسب مع قيمة الفعل الخطأ ، (عن كتاب المؤلف تيل ص ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠) (*) •**

يعاقب من ينتهك هذه القوانين الخاصـــة بالدير باحـدى الوسائل التالية : يعيش المخالف على الخبز والماء لمدة أسبوع ، ومن الجائز فصله مؤقتا عن بقية الجماعة ، ويمكن اعتباره غير صحيح الجسم وتحويله الى غرفة العلاج ، وكانت العقوبة البدنية تستخدم أحيانا ولكن بالنسبة لحديثى السن فقط • أما اظهار الغضب فيقابله عدم الرضا • ويعاقب كل راهب يرتكب مثل هذا السلوك بالجلوس في أقل مراتب المطعمة حتى لو كانت هذه المرتبة أقل من مراتب أصغر الرهبان سنا • وتقبل التوبة ، ولكن على الراهب الذى تقبل توبته أن يستشهد بثلاثة شـــهود لتأكيد هذه التوبة • أما العقاب الأخير فهو امكانية طرد الراهب من الدير • ومن غير الواضح تماما أركان تلك الجريمة التى تجعل منها قبيحة بحيث تستوجب الطرد ، ولكن ينضح من القواعد التى أوردناها سالفا أنه قد اتخذت كافة الاحتياطات لمنع الاتصالات الجنسية •

وقد جرى التأكيد في الاديرة الباخومية على الفقر والعفة والروحانية واطاعة التعليمات ، والهدف من ذلك هو تحقيق المساواة فى المعاملة بين جميع الرهبان فى مجتمع متماسك • وربما كان المطلوب من كل راهب أن يصل الى تحقيق الفضائل التالية وهى نفسها التى يتحلى بها مشرف المنزل النموذجى الذى يجب أن يكون رجلا : .

لايضل فى أفكاره •

لايتغاضى عن نقاط ضعفه الروحية •

لاينشغل باهتمامات الجسد •

لايتصرف باهمال •

(*) W.C. Till, Koptische Dialectgrammatik, Muncyin, 1974.

لايتسرع فيطلق قولا لايفيد •

لايعثر الأعمى •

لا يعلم نفسه الطيش •

لا يستسلم للمزاح •

لا يقبل رشوة على سبيل الهدية •

لا يصغى للأحاديث الطفولية •

لاينكسر امام الابتلاءات •

لايخاف الموت بل يخاف الله •

لايعلن خضوعه بسبب الخوف •

لايهمل طريق النور بسبب الحاجات المادية •

لا يجهل الأشـــياء المقدسة •

لاتدفعه الكبرياء لاحتقار جاره •

وتنيح القديس باخوميوس فى سنة ٣٤٦ تاركا خلفه أحد عشر ديرا ناجحا ، تقع جميعها فى جنوب مصر العليا بين اسنا وأخميم ، وقد اشتهر بأنه الرجل الذى يتعاطف مع الآخرين ويتفهم الناس أجمعين ، ويتضح ذلك من القصص التى قيلت عنه ومنها قصة عن رفضه انتهاز فرصـــة علو مرتبته لشراء الحبوب بسعر منخفض أثناء المجاعة • ومن الصعب تحديد عدد الرهبان أو الراهبـــات الذين عاشوا فى كل تجمع (دير) باخومى • ولكن ربما كان عدد هؤلاء الذين أقاموا فى الدير الرئيسى فى تابنيسى يتراوح ، مابين مائتين الى ثلاثمائة راهب ، ووصـــل عددهم الى ثلاثمائة وخمسين راهبا بعد نياحة القديس باخوميوس بأربع سنوات • أما دير بيبو ، فقد بلغ عدد ســـــكانه ســتمائة راهب ، وتزايـــد هذا العدد حتى أصبح يتراوح ما بين ألف وثلاثمائة راهب الى ألف وأربعمائة راهب عند بداية القرن السادس •

وخلفه هورسيس (*) الذى تطورت الزراعة تطورا عظيما خـــلال فترة رئاسته ، وكان هورسيس منشغلا بالمنازعات الخاصة بالايرادات فعين تاودروس وسيطا • ونجح تاودروس فى عمله حتى انه تولى منصب الرئيس العام بعد وفاة هورسيس سنة ٣٥٠ • وقد بنيت الكثير من الأديرة فى عهد تاودروس ولكن ليست لدينـا المعلومات المفصلة عن كيفية تطور الأديرة الباخومية بعد وفاته فى ســـنة ٣٦٨ ، أو ما اذا كانت قد استمرت فى التطور من عدمه •

القديس الأنبا شنودة

تحققت التطورات الحديثة فى النظام الرهبانى دمصر العليا على يد الأنبا شنودة • ولد الأنبا شنودة سنة ٣٣٤ فى أتريب (ونينا الحديثة) بالقرب من سوهاج وتبعد حوالى ٩٣ كيلو مترا جنوب أسيوط (**) وبعد وفاة أبيه ترهب فى الدير الذى أقامه خـــاله بيجول على بعد حـــوالى خمسة كيلومترات غرب سوهاج • وكانت مبادىء هذا الدير الذى يسمى الدير الأبيض هى نفس مبادىء مؤسســـة بيجول ولا تختلف عن مبادىء القديس باخوميوس • وقد أظهر القديس شنودة مواهب ادارية أهلته لتولى مناصب مهمة فى الدير وفى الكنيسة • وعند وفاة خاله بيجول سنة ٣٨٥ أصبح القديس شنودة رئيسا للدير الأبيض وهو فى سن الحادية والخمسين •

وتشبه كنيسة الدير الأبيض من الخارج أحـــد المعابد المصرية القديمة تشابها شديدا • واليوم تحول باقى المبانى الديرية بهذا الدير الى خرائب بالرغم مما ذكره بترى عن وجود آثار بعض هذه المبانى التى وجدها بالقرب من الكنيسة •

(*) اجمعت المراجع القبطية على أن خليفتــه يدعى بترونيوس وتلاه تلميـذه تاودروس ــ (المترجم) •

(**) البلدة التى ولد بها الأنبـا شنودة هى بلدة شندويل ــ (المترجم) •

وكان نظام الرهبنة فى هذا الدير أشد صرامة عما كان عليه فى النظام الباخومى حيث تؤخذ على الراهب تعهدات دقيقة مثل الالتزام بالنظام الرهبانى المعمول به فى الدير ، حسب الميثاق الموضوع ، ويؤدى الراهب هذا التعهد قائلا :

« **أتعهد أمام الله فى هذا المكان المقدس ، وتشهد على الكلمات التى ينطق بهـا فمى ، اننى لن الوث جسدى بأية وسيلة ، ولن اسرق ، أو أدلى بشهادة الزور ، ولن أكذب ، أو أمارس فى السر أى نوع من أنواع الخداع . واذا تجاوزت ما تعهـــدت به فاننى أنظر ملكوت السموات ولا أدخله . والرب الذى تعهدت بهذا التعهد فى حضرته يهلك روحى وجسدى فى نار جهنم ، اذا تجاوزت التعهد الذى قطعته على نفسى** » .

وكان الرهبان الجدد يعملون بالحـرفة التى كانوا يعملون بها قبل دخولهم الدير اذا كان ذلك ممكنا . أما الذين لم تكن لهم حـرفة محددة فقد كانوا يتعلمون صناعة النسيج . ويتم تعيين اثنين من الرهبان لحراسة باب الدير ، وتعيين اثنين آخرين للتمريض ، بينما يقوم اثنان بمهمة نسخ المخطوطات من الكتاب المقدس . وكمـا كان مرعيا فى الأديرة الباخومية فقد كان هناك راهبان يعينان أسبوعيا للقيام بالأعمال المكتبية .

واعتبر القديس شنودة أن العمل هو الشاغل الرئيسى فى الدير ولو حتى على حساب الصلاة التى لم تلق التشجيع فى غير أوقاتها المحددة . وقد سئل القديس شنودة مرة عن طريق بعض الأســاقفة المجتمعين فى الفيوم Antinoë عما اذا كان يوافق على قبول الرهبان الذين فرغوا أنفسهم كلية للصلاة ، فأجاب : « لا ، لقد قال الرسول (بولس) « من لايريد أن يعمل فلا يأكل أيضا . » (*) ـ وهذا هو التعليم المتكامل .

وكانت هناك بالدير الأبيض وجبتان يوميا احداهما فى وسط النهار والأخرى فى المساء ، وكان القديس شنودة يتوقع أن يتناول رهبانه وجبة

(*) الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى ـ ٣ : ١٠ ـ (المترجم) .

واحدة فقط • وكانت وجبة رهبان الأنبا شنودة أكثر تقييدا من وجبه رهبان الأنبـا باخوميوس ، وكان اللحم والخمر محظورين تماما بالنسبة لرهبان كلا النظامين ولكن يضاف اليهما البيض والجبن والسمك فيما يخص رهبان الأنبا شنودة • ولكن الأنبا شنودة سمح للمرضى بتناول طعام اضافى مثلما يحدث فى نظام الأنبا باخوميوس •

وكانت الفترات المخصصة للصلاة بالدير الأبيض تنقسم الى قسمين أحدهما صباحا والآخر مساء • ويتكون كل منهما من ثلاث مجموعات من الصلوات • وبالاضافة الى ذلك فان اقامة القداس كانت تجرى فى يومى السبت والأحد • وقبل اقامة القداس وبعده ، كانت كل مجموعة تنتمى الى نوعية واحدة من العمل تصلى مجتمعة • وكانت يطلب من كل راهب قبل دخول الكنيسة للصلاة أن يركع • وعندما يدخـل يرسم علامة الصليب ويردد صلاة الانجيل • ثم يجلس ويستمع الى قراءة من الكتاب المقدس ثم يقف للتأمل • وبعد انتهاء الخدمة يعود الرهبان الى قلاياتهم فى هدوء •

وقد طبق الأنبا شنودة تعليماته بصرامة ولذلك أصبح ديره شبيها بالسجن الذى تطبق فيه قواعد صارمة للمعيشة ونظام عنيف • ولم يتورع عن استخدام القوة البدنية لتأديب العصاة من الرهبان • ويبدو أنه لجأ مرة الى قتل أحد الرهبان عندما اكتشف أنه أدخل امرأة الى الدير (*) • وعلى الرغم من هذا ، فالواضح أنه لم يلق صعوبة فى اجتذاب الأتباع الذين عاش حوالى ألفين منهم كرهبان فى أتريب ، بالاضـــافة الى العديد من الراهبات اللائى كن يقمن فى منازل خاصة بهن ويجتمعن معا أربع مرات فى السنة كجمعية عمومية ، بالمقارنة الى اجتماع الراهبات مرتين فقط فى النظام الباخومى •

(*) لا أدرى لماذا تتعمد المؤلفة دس السم فى العسل لتصف الأنبا شنودة بالقسوة التى تصل الى حد القتل وهو الذى يعمل بوصايا الانجيل التى تنهى عن القتل بل تضع بعض الأقوال المحرجة مثل سب شخص لآخر بقوله : يا أحمق ـ تضعها فى مقام القتل • انظر متى ٥ : ٢١ ـ ٢٢ ـ (المترجم) •

وبرغم ما يبدو لنا من أن الأنبا شنودة كانت له جوانب شخصية رقيقة فى طبيعته كما يتضح من القصة التى تتحدث عن كيفية موافقته على القاء عظة قصيرة فى أحد الاحتفالات حتى يستطيع العلمانيون العودة الى منازلهم مبكرين ، الا أنه يبدو فى خطاباته وعظاته العادية أشد تميزا ٠ وهو يبدو لنا من خلال قصة حياته التى كتبها خليفته فى رئاسة الدير الأبيض وهو تلميذه ويصا ، دكتاتوريا ، دائم التوبيخ للرهبان المخطئين وغير الرهبان أيضا ٠ وكان متمسكا بقوميته ، منددا بالتدخل الأجنبى فى شئون مصر ومحقرا لكل من يظلم بلده ، وكان غيورا ٠ يقود المقاومة ضد الأضرحة الوثنية حتى لو أدى الأمر الى الاعتداء البدنى ٠

وبرغم ذلك فقد فتح القديس شنودة أبواب الدير الأبيض عندما أشاع أفراد قبائل البليمى النوبية الدمار فى مصر العليا وأغاث آلاف اللاجئين المهاجرين الذين تخلى عنهم حكامهم من الاغريق ، كما صرح هو بذلك ٠ واستمر فى اطعام اللاجئين مدة ثلاثة أشهر ، ورتب للمرضى الرعاية بواسطة المزيد من الأطباء الذين استأجرهم ، ووضع الترتيبات لرعاية ٥٤ طفلا ولدوا خلال هذه الفترة ، كما دفن الذين احتضروا وعددهم ٩٢ فردا ٠

ويعتبر القديس شنودة أحد أعمدة الكنيسة المصرية ، وبهذه الصفة حضر مجمع أفسس سنة ٤٣١ — على سبيل المثال — حيث لعب دورا نشيطا فى ذلك الحين ، عندما كان عمره ٩٧ عاما ، هذا اذا كان تاريخ مولده فى سنة ٣٣٤ صحيحا ٠ وهو بصفته من أوائل وأشهر الكتاب واللاهوتيين المسيحيين المصريين فقد نال هذه الشهرة بسبب عظاته ٠ وكان القديس شنودة يستخدم فى كتاباته اللغة القبطية الصعيدية حسب لهجة أتريب ، وبذلك جعل منها لغة الأدب لمصر المسيحية على مدى القرون السبعة التالية ٠ وكان له تأثير عميق فى اللاهوت والتقاليد القبطية بسبب جهوده كلاهوتى وواعظ ورئيس للدير ٠ ويتكون انتاجه الأدبى الغزير

من رسائل ، ومراسيم وعظات ، وكان له أثــر عميق فى الحيــاة الدينية للأقباط • ولذلك فهو يعتبر المصلح الدينى الكبير للكنيسة القبطية •

أما العنصر الاغريقى فى مصر فقد لعب دورا مهما فى تطور المسيحية المصرية على يد الأساتذة العظام من أمثال أوريجانوس واكليمندس الذين قاموا باسهامات عظيمة فى التعليم المسيحى بوجه عام • وصاروا رموزا عالمية الى جانب القديس أثناسيوس • ومن الناحية الأخرى كان القديسان أنطونيوس وباخوميوس من المصريين الذين لم يتأثروا كثيرا بالاسكندرية الاغريقية ، ولذلك كان لهما تأثير عميق المعنى • أما تأثير القديس شنودة فهو مصرى أصيل وشديد الارتباط بالوجه القبلى • وقبل نياحة القديس شنودة فى سنة ٤٥٢ بعدة سنوات جعل الأنبا ويصا خليفة له فى رئاسة الدير الأبيض • وبعد مرور ست سنوات اتبع الأنبا ويصا نفس خطواته وقت المجاعة وفتح أبواب الدير الأبيض لاستقبال اللاجئين • وقد وصف الأنبا ويصا هذا الحدث بكلماته كما يلى :

« وحلت بالبلاد كلهــا كارثة عظيمة بسبب انتشار المجاعة والأمراض • وعندما اجتمع هذا الحشد الهائل من الناس فى هذا المكان ، كانــوا مرضى ، كما مات منهــم الكثيرون • ولكننا نقــدم الشكر لله فقــد تولى الأخوة رعايتهــم واعتنوا بهم فى كل شيء • ولم يعوزهم شيء من كافة الحاجات التى احتاجوا اليها سواء كان الشعير ، او الطعام ، او اليمام المملح ، أو البيض ، أو الجبن • ولم يقصروا معهم فى تنظيف اجسامهم ، أو فى اعطاء الدواء لهؤلاء الذين يعانون من الالتهابات • وباختصار فان الاخوة لم يجعلوهم محتاجين لشيء • وليس ذلك بسبب قدرتنا نحن ، ولكنه كان نعمة من الله مخلصنا ، الذى قدم ذاته فداء لكل انسان • لقد خدموا المرضى ، كما خدموا الجماهير الغفيرة التى كانوا يعدون لها الطعام كل يوم • ويبلغ عدد افرادها خمسة او ستة آلاف فرد ، يزيدون احيانا او ينقصون احيانا اخرى • كما خدموا الذين ماتوا وعددهم

يربو على ١٣٨ فردا ، تم دفنهم مع توفير كافة ما كانوا فى حاجة اليه بنعمة ربنا يسوع المسيح ، الوحيد الذى أعطى القوة للأخوة عندما كانوا يقومون على خدمتهم ، حتى انقشعت الغمة ، واستراحت البلد • وعاد كل فرد الى مكانه » •

الرهبنة في مصر السفلى

كان الرهبان المقيمون فى شمال القطر المصرى على خلاف رهبان مصر العليا ، فمعظمهم لم يكن منتميا الى النظام الباخومى أو النظام الديرى العادى Coenobitic ، ولكنهم كانوا يعيشون فى جماعات غير رسمية مكونة من أفراد يمارسون النسك منفردين ، وينقسمون الى مجموعتين من الرهبان الأوائل الذين عاشوا فى مصر السفلى : احدى المجموعتين تنتمى الى الطراز الأنطونى ويعيش رهبانها فى جبل نيتريا ، والأخرى تنتمى الى جبل سيليا فى الصحراء الغربية •

وجبل نيتريا (اسمه مأخوذ عن كلمة يونانية تعنى المكان الذى يوجد به النطرون أو كربونات الصوديوم ويطلق على الموقع باللغة القبطية اسم برنوج : Pernudj) يقع على حافة الصحراء على بعد حوالى ٦٠ كيلومترا جنوب الاسكندرية بالقرب من القرية الحديثة التى تسمى برموجى • وفى سنة ٣١٥ أنشىء تجمع رهبانى هناك على يد القديس آمون تقليدا للتجمع الذى أنشأه القديس أنطونيوس ، الذى ورد عنه أنه شاهد روح القديس آمون فى وقت نياحته ، وقد حملتها الملائكة الى السماء •

وهناك فى وسط نيتريا كنيسة يرعاها كاهن يبدو أنه كان يقوم بدور القائد أو الأب الأكبر لهذه الجماعة • ويوجد بالقرب من الكنيسة بيت للضيافة وأفران • حيث ان الجماعة كانت تبغى تحقيق الاكتفاء الذاتى ، ولتحقيق هذا الغرض شغل الرهبان أنفسهم بصنع الحصر من سعف النخيل والكتان • وهذا العمل كان يتيح لهم تأدية الصلوات

فى نفس وقت العمل • وكان القديس بموا Pampo من أشهر هؤلاء الرهبان ويقال عنه انه قدم له فى احدى المرات مبلغ ثلاثمائة جنيه من الفضة ، فاستمر فى أداء عمله ، وببساطة أمر بأن توزع الفضة على هؤلاء الذين يحتاجون اليها من غير الرهبان •

ويقع جبل سيليا على بعد ١٧ كيلومترا غرب جبل نيتريا ونظرا لوجوده فى الصحراء فقد اشتد الاقبال عليه بوصفه ملجأ لهؤلاء الذين يبحثون عن مكان يتيح حياة نسكية أكثر توحـدا من تلك التى يوفرها جبل نيتريا الذى ازداد ازدحاما مع مرور الوقت ، وكان القديس مكاريوس الاسكندرى هو الناسك القيادى فى جبل سيليا ، وعاش معه بلاديوس ـ الذى من غلاطية (٣٦٤ ـ ٤٣١) والذى أصبح فيما بعد أسـقفا على هيلينوبوليس ـ بوصفه ناسكا لمدة تسـع سنوات • وكان مكاريـوس الاسكندرى يسعى للتفوق فى كافة الأعمال الجليلة ذات الصلة بالزهد والتى كانت تخطر على باله • ولما عرف أن رهبان تابنيسى اشتهروا بنسكهم الشديد ، دخل الى الدير كمبتدىء وسرعان ما تفوق على رفاقه من الرهبان فى المسعى النسكى ، وعرفه القديس باخوميوس وصرفه قائلا : « لقد دفعتنا الى حياة الفضيلة بما فيه الكفاية ، والآن عليك بالانصراف » •

وقد زار القديس بلاديوس نيتريا فى سنة ٣٩١ وقيل له ان عدد الرهبان الذين يعيشون هناك يبلغ حوالى ٢٠٠٠ راهب ، وقيل ان عدد سكان نيتريا فى قمة ازدهاره بلغ حوالى ٥٠٠ راهب • ويبدو أن كلا جبلى نيتريا وسيليا قد انتهى وجودهما فى القرن الثامن أو التاسع الميلادى ولم يعـد لهما أى أثر • أما وادى النطرون فكان وما زال هو مركز الرهبنة فى مصر السفلى ، وهو يبعد حوالى ٧٥ كيلومترا جنـوب شرق نيتريا ، و ٦٠ كيلو مترا جنوب شرق سيليا ، وورد وصفه فى الكتاب المكتوب باليونانية وعنوانه : Historia Monachorum أى تاريخ الرهبنة ـ كما يلى :

« المكان فى الصحراء • ويستغرق الوصــول اليه رحلة يوم كامل نهارا وليلا من جبل نيتريا فى الصحراء • وهو يسبب أخطارا جسيمة بالنسبة لهؤلاء الذين يخرجون (اليه) ، لأن الشخص لو اخطأ خطأ صغيرا (فى الطريق) سيظل يهيم فى الصــــحراء بلا نهـــاية » •

ويذكر لنا رحالة بلجيكى زار وادى النطرون حوالىسنة ١٤٨٣ ما يلى:

« بعد أن اســـتأجرنا الحمير والبغال بدانـا رحلتنا الى دير القديس مكاريوس ، التى كانت تستغرق يوما فى وسط صحراء شاسعة تغص بالنمـور ، والخنازير البرية ، والذئاب وغيرها من الحيوانات الخطيرة » •

والحقيقة هى أن وادى النطرون عبارة عن واحة ، وهو مثل جارته الأكثر شهرة فى الصحراء الغربية وهى الفيوم يقع فى جزء منخفض عن سطح البحر • ولكنه يختلف عن الفيوم الخصبة التى تروى ريا جيـــدا وتكتظ بالسكان ، لأنه قاحل ومنعزل ومهجـــور • ويبلغ طول الوادى ٣٧ كيلومترا ويقع فى الاتجاه الجنوبى الشرقى بامتداد الاتجاه الشمالى الغربى فى الصحراء على بعد حوالى ٦٧ كيلومترا شمال غرب القاهرة • ويبلغ اتساع الوادى ٧ كيلومترات ويحيط به تلال متوسطة الارتفاع مع الميل الى الانخفاض • ويقع جزء كبير من سطح الوادى تحت مستوى سطح البحر ، وتعتبر البحيرات المالحة من أبرز معالمه ويتراوح ارتفاعها ما بين ٢١ ــ ٢٥ مترا تحت مستوى سطح البحر • وتحتوى على تركيزأت عالية النسبة من كلوريد الصوديوم ، وكربونات الصـــــوديوم ، وكبريتات الصوديوم • وتجف هذه البحيرات تقريبـا أو تماما خـــلال الصيف • أما النطرون وهو المنتج الرئيسى للوادى فهو خليط من كربونات الصوديوم وبيكربونات الصوديوم ، وكان قدماء المصريون يستخدمونه للتطهير على نطاق واسع ، كما استعملوه فى عمل البخور ، والزجاج ، وزجاج النوافذ ، وقبل كل شىء ، فى التحنيط • وقد اتخذ اســـم الوادى من كلمـــة (النطرون) باللغة العربية •

ولم يكن الاسم (وادى النطرون) مستخدما حتى القرن الرابع عشر الميلادى فقد كان هناك اسم أسبق كثير الاستخدام وهو (وادى حبيب) على اسم حبيب وهو رئيس عربي استقر فى الوادى فى القرن السابع الميلادى • أما فى اللغة اليونانية فالوادى معروف باسم الاسقيط Scetis وهو اشتقاق من الكلمة القبطية شيهيت Shiet والتى نظن أنها مشتقة من كلمة اصطلاحية هى شيهيت Shehait بمعنى وزن القلب التى جاء منها الاسم العربى ميزان القلوب • وفى أيام قدماء المصريين كان الوادى يسمى Sekhet Hemat (حقل الملح) • وكان موطنا لبطل أشهر القصص المعروفة عن قدماء المصريين وهى قصة : (الفلاح الفصيح) التى كتبت منذ ٢٠٠٠ سنة ق•م •

تأسست الرهبنة فى وادى النطرون على يد القديس مكاريوس (أبو مقار) الذى كان يعرف فى البداية باسم مكاريوس المصرى للتفرقة بينه وبين القديس مكاريوس الاسكندرى وأصبح يدعى فيما بعد مكاريوس الكبير • وقد كتب قصته الأسقف سرابيون أسقف تمويز Thmuis الذى صرح بأنه كان صديقا له ، كما كان تلميذا للأنبا أنطونيوس •

أما مكاريوس قائد الجمال فى القوافل التجارية فهو مواطن من أهالى الدلتا ، ولد حوالى سنة ٣٠٠ للميلاد • وزار وادى النطرون فى شبابه بصفته عاملا فى نقل النطرون ، ولكنه انجذب الى الحياة النسكية ، فاصبح ناسكا ، وعاش منفردا على حافة الصحراء وفى النهاية هرب الى برية شيهيت عندما كان عمره ثلاثين عاما • وبعد ذلك بعشر سنوات رسم قسا (*) •

(*) يحمل اسم مكاريوس ثلاثة من اباء الرهبنة القبطية وقد أوردت المؤلفة موجزا لسيرة كل منهم • ونضيف هنا ان هؤلاء القديسين الثلاثة تذكرهم الكنيسة معا باسم « الثلاثة مقارات القديسين » وهناك ايقونة تسمى : أيقونة الثلاثة مقارات القديسين — وهى محفوظة بكنيسة القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة ، ولوحة اخرى تمثلهم محفوظة فى دير ابو مقار (القديس مكاريوس) — (المترجم) •

ومن المحتمل أن يكون مكاريوس قد اتخذ ملجأه الأول فى طبقة بارزة من الصخور في شيهيت ، حيث استطاع بسبب شهرته وزهده أن يجتذب جماعة رهبانية استقرت ونمت حوله • وفى سنة ٣٥٦ اكتظ دير شيهيت بالرهبان مما دفع الأنبا صيصرى للهروب الى الصحراء الشرقية لكى يهرب من الزحام • وقد نما حول هذا التجمع فى شيهيت أول أديرة وادى النطرون ، وهو دير البراموس الذى أنشىء سنة ٣٤٠ م •

وكلمة البراموس هي المعنى العـــربى لكلمـة بـا ـ روميوس Pa-Romeos أى دير الرومان وبالرغـم من تداخـل أصـل الدير مع القصة الشعبية فمن المحتمل أن تكون كلمة البراموس هى اسم المستقر الأصلى الذى أسسه القديس مكاريوس قبل عام ٣٤٠ بعدة سنوات • وكان هناك اثنان من القديسين الغرباء ضمن زوار القديس مكاريوس وقد طلبا منه الالتحاق بالدير • وقد حدث الالتباس نظرا لأن الارتباط الأصلى للدير بالقديس مكاريوس قد ضاع بعد اقامة دير آخر دعى باسمه أيضا وهو دير أبو مقار اى (دير الأب مكاريوس) • وحدث فيما بعد خلط بين هذين الزائرين وبين التلميذين الرومانيين للقديس إرسانيوس واللذين قيل انهما كانا ابنين للامبراطور فالنتنيان الأول • وحدث خلط آخـر بينهما وبين اثنين من الفلسطينيين يدعيان مكسيموس ودومادیوس ، وبذلك تطور اسم الاثنين الغريبين اللذين لم يكن لهما اسم معروف فأصبحا هما اللذان عرفا باسم « أبوينا القديسين الرومانيين مكسيموس ودوماديوس » انهما القديســـان الشفيعان للدير ، ولكنهما ليســـا المؤسسين لدير البراموس (*) •

(*) اجمعت المصادر القبطية على أن القديسين مكسيموس ودوماديوس هما الزائران اللذان قدما الى القديس مكاريوس والحقهما بالرهبان فى هذا الدير كما اجمعت على انهما بالفعل ابنـان للامبراطور الرومانى ، قد فضلا حياة الرهبنة على حياة أبناء الملوك ـ (المترجم) •

وأصبح دير البراموس أحد المراكز الطليعية فى الرهبنة المصرية
كما أهلته عزلته النسبية ليكون مكانا مختارا بسبب الفرص التى يتيحها للتأمل والمأوى • وبعد نياحة القديس مكاريوس فى سنة ٣٩٠ كانت هناك ثلاثة تجمعات رهبانية كبيرة فى وادى النطرون : دير البراموس فى أقصى الغرب ، ودير أبو مقار فى أقصى الشرق ، ودير القديس الأنبا بيشوى فى الوسط • ويقال ان الأنبا بيشوى قد تسلم الدعوة للنسك من يد ملاك • وعند وصوله الى الاسقيط انضم الى القديس يوحنا القصير الذى عاش هناك سنوات عديدة يمارس النسك ، ولكن القديس يوحنا أقنعه فى النهاية بأن يتركه ويقيم بمفرده فى احدى المغارات • وقد تنيح الأنبا بيشوى حوالى سنة ٤٠٧ ، وصار شفيعا للدير الذى كان مرتبطا به • وفى القرن السادس ظهر دير رابع رئيسى فى وادى النطرون بالقرب من دير الأنبا بيشوى وصار ابنا له ، لأنه بنى بسبب المجادلات اللاهوتية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت مما دعا الى انشائه لسكنى الرهبان الأرثوذكسيين الذين لم يعودوا يرغبون فى البقاء بالدير الأصلى ، وأصبح اسم الدير الجديد دير القديسة والدة الاله Theotokos من دير الأنبا بيشوى • وعند بداية القرن الثامن اشتراه التجار السوريون القادمون من بلدة تكريت لكى يستخدمه الرهبان السوريون ، ومنذئذ أصبح يطلق عليه اسم دير السريان •

وفى خلال فترة الازدهار والشهرة التى نالها وادى النطرون أنشئت هناك على الأقل ثلاثة أديرة أخرى باسم يوحنا القصير ، ويحنس كامى ، وموسيس ، الى جانب عدد غير معروف من القلالى والمغارات التى يبلغ عدد سكانها مجتمعة ٣٥٠٠ راهب على الأقل •

وفى القرن الخامس قام البدو القادمون من الصحراء بنهب التجمعات الرهبانية فى وادى النطرون فى ثلاث هجمات فى سنوات ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٤٤ • وقبل الهجمة الثالثة كان واحد على الأقل من هذه الأديرة قد بنى برجا للمأوى دعى باسم (الحصن أو القصر) ليلجأ اليه الرهبان • وعند

نهاية القرن الخامس بدأت التجمعات الرهبانية فى تغيير عوائدها لتوفير الصحبة والأكثر من ذلك للحماية • فقرر الرهبان أن يعيشوا متقاربين وبرغم ذلك فقد هوجمت التجمعات الرهبانية مرة آخرى فى سنة ٥٧٠ • وبعد الفتح الاسلامى فى سنة ٦٤١ عاش الرهبان فى قلالى أطلق عليها اسم المنشوبيات أى أماكن المعيشة لتحقيق حماية أكبر • وقد انتشرت هذه المنشوبيات حول المبانى الديرية بالرغم من أن الأديرة لم تكن قد تحصنت حتى ذلك الحين • وخلال القرن الثامن وأوائل القرن التاسع لم تحدث تغييرات كبيرة فى التجمعات الرهبانية بوادى النطرون • ولكنهم فى سنة ٨١٧ عانوا من هجمة أخرى مع حدوث هجمة أخرى صغيرة فى سنة ٨٦٦ • وعلى ذلك فقد اتخذت الخطوات الأولى لتحصين الأديرة وذلك فى سنة ٨٧٠ • ففى دير القديس مكاريوس تم على وجه السرعة احاطة الكنيسة بسور يشكل فناء مسيجا كبيرا بما يكفى لجمع الرهبان فى وقت الحصار ، الا أنهم استمروا خلال الظروف العادية فى المعيشة خارج المنطقة المحصنة • وبعد ذلك بقليل أصبح كل دير محاطا بجدران عالية محصنة • ولم تمنع هذه التحصينات من حدوث هجمة أخرى فى سنة ١٠٦٩ ، ونتج عنها أننا لانجد اليوم سوى القليل من المبانى الأصلية التى ظلت باقية فى أديرة وادى النطرون ، وهى مازالت تستعمل حتى اليوم فى أديرة (البراموس ، والقديس مكاريوس ، والأنبا بيشوى ، والسريان) • التى يعود تاريخها الى القرون من التاسع حتى الحادى عشر • وفى سنة ١٠٨٨ ، انكمش عدد رهبان أديرة وادى النطرون الى ٧١٢ راهبا • وفى القرن الرابع عشر انخفض عدد رهبان الوادى الى العشر بسبب تفشى الموت الأسود (الطاعون) •

ومنذ القرن الرابع فصاعدا بنيت العديد من الأديرة بالقرب من الاسكندرية ، وقيل انه كان يوجد منها آكثر من ستمائة دير • وكان يطلق على العديد منها رقم حجر المسافة الموجود داخل الدير كاسم للدير • وأشهر هذه الأديرة الرقمية مجموعة أقيمت عند حجر المسافة رقم ٩ وتسمى Ennaton فى غرب واحة الداخلة ، وقد صار هذا

المكان مقرا رسميا لاقامة البابا القبطى فى القرن السابع (*) • وفى القرن الرابع أنشىء دير التوبة Metanoia عند كانوب فى شرق الاسكندرية وهو ينتمى الى النظام الباخومى • وفى القرن السادس اعتبر ديرا الاناتون Ennaton والتوبة اثنين من الأديرة المصرية الرائدة • وعند نهاية القرن استولى البيزنطيون على دير التوبة بينما ظل الاناتون تابعا لأتباع الطبيعة الواحدة • وعلى كل حال فقد قام الفرس بتدمير دير الاناتون فى القرن السابع • والحقيقة أنه لم تعد هناك بقايا للأديرة التى كانت فى منطقة الاسكندرية •

أما الانتشار المبكر للرهبنة المسيحية من مصر الى سائر أنحاء الشرق ، فقد بدأ بعد الزيارة التى قام بها القديس باسيليوس الكبير سنة ٣٥٧ ، وهو الذى قام بتنظيم أديرة آسيا الصغرى ، كما أن ارشاداته مازالت مطبقة حتى اليوم فى الكنائس الشرقية • وقد انتشرت الديرية فى الغرب بعد زيارة البابا أثناسيوس الى روما سنة ٣٤٠ وبصحبته اثنان من الرهبان الشبان هما أمونيوس وايسيدوروس • وقام الغرب بتطوير الرهبنة بطريقته الخاصة بينما كانت الحركة الرهبانية والديرية فى مصر حركة شعبية اختصت بالفلاحين البؤساء وغير المتعلمين أكثر من ارتباطها بالطبقة المتعلمة ، التى كان أفرادها يعتبرون من الأجانب أساسا أو من الحكام • وقد كانت الأديرة المصرية ومازالت بعيدة كل البعد عن الفكرة الغربية للدير ، فلم تكن مراكز لتعليم الفنون والصناعات أو حتى للأعمال الطيبة أو الاحسان • وتعود جذور الرهبنة المصرية الى المتوحدين والنساك • وهم أساسا من الفلاحين غير المتعلمين وأصحاب الأصل

(*) البابا الذى لجأ الى هذا الدير هو البابا بنيامين الاول وتعداده الثامن والثلاثون من بابوات الاسكندرية ، وقد عاصر الامبراطور هرقل وهرب اثناء الاضطهاد الذى شنه هرقل ضد الاقباط وقد أعاده عمرو بن العاص الى كرسيه بعد الفتح الاسلامى • وللأسف فان المراجع القبطية اشارت الى هذه القصة ولم تذكر اسم الدير الذى لجأ اليه فى هذه المنطقة المسماة بلاد تبيا او تيباس ، وقيل فقط انه (اختفى فى دير صغير) وهذا الدير هو ما تشير اليه المؤلفة هنا باسم Ennaton — (المترجم) •

المتواضع • ومازالت هذه الصفات موجودة فى الأديرة القبطية التسعة القائمة حتى الآن (*) •

وقد تأثرت تنظيمات وفلسفة الكنيسة الأولى فى مصر تأثرا عميقا بالحركة الرهبانية التى أنجبت من بين صفوفها قادة الكنيسة وعددهم ١١٧ بابا للكنيسة القبطية • وعندما اختير البابا كيرلس الأول كأول راهب يتولى هذا المنصب كان عدد المرشحين ٩٣ ، وجميعهم من الرهبان فيما عدا ٢٢ مرشحا • ومنذ عام ١٥٢٥ وما بعدها ، أصبح يتم اختيار البابا من داخل أحد الأديرة • واليوم فان كافة البابوات والأساقفة يتم اختيارهم من بين رهبان الأديرة ، أما المرشح لتولى رتبة القس فاما أن يكون متزوجا حيث يمتنع الزواج بعد الرسامة ، أو يكون أعزب ويتحتم عليه فى هذه الحالة أن يقضى فترة فى الدير كراهب قبل رسامته (**) •

(*) الاديرة العامرة حاليا ليس عددها تسعة وسنؤجل التعليق على ذلك الى الفصل السابع من هذا الكتاب وهو الذى يقدم لنا : الاديرة العامرة ـ (المترجم) •

(**) ليست الرهبنة من شروط رسم الكاهن بالكنيسة القبطية الارثوذكسية ، ولكن هناك شرط اساسى وهو ضرورة أن يكون الكاهن متزوجا قبل ان يرسم قسا • ويجوز رسامة الرهبان قسوسا ولكن خدمتهم الكهنوتية يقدمونها لاخوانهم الرهبان فى كنائس الاديرة أو يتم انتدابهم أحيانا فترة محدودة فى احدى الكنائس خارج الاديرة ، ويعودون بعد ذلك للخدمة فى الدير • واذا خدم الكاهن الراهب باحدى الكنائس خارج الاديرة يمتنع عليه تلقى الاعترافات نهائيا ويتم تلقى الاعترافات على يد الكاهن المتزوج الذى يخدم هذه الكنيسة • ومما هو جدير بالذكر انه اذا توفيت زوجة الكاهن فلا يسمح له بالزواج من زوجة أخرى لأنه نال سر الكهنوت ، وهو أرفع الأسرار التى تعطى الكاهن التصريح بممارسة أسرار الكنيسة لابنائه وبناته من الشعب دون ان ينطبق ذلك عليه لانه صاحب السلطان فى اتمام هذه الأسرار ، وقد ذكرنا ذلك حتى لا ينتقل الى القارىء الخلط بين الرهبنة والكهنوت مثلما هو حادث بالنسبة للمؤلفة ـ (المترجم) •

٦ ـ آباء الكنيســة القبطية

في نهاية القرن الرابع امتدت شبكة من الأديرة بطول وادى النيل في مصر العليا ومصر السفلى معا • أما الاسكندرية وهى المركز الفكرى للمسيحية فى مصر فقد أصبحت من ذلك الوقت فصاعدا محظورة على الرهبان ، الذين اختاروا بمحض ارادتهم التجمع لممارسة النسك بعيدا عنها • لقد كرسوا حياتهم للصلاة والعمل اليدوى ، ووصلوا بشكهم فى الدراســة الى مرحلة التعصب ، بالرغم من أن ذلك لم يمنعهم من بذل مساندتهم المخلصة للبابا في الاسكندرية • ونتيجة لذلك نجد أن الرهبنة القبطية لم تقدم لاهوتيين عظاما برغم أنهــا لعبت دورا حيويا فى نشر المسيحية فى كافة أرجاء مصر ، خاصة بين الفلاحين غير المتعلمين الذين جاء الرهبان من بين ظهرانيهم (*) •

والرهبان الأقباط (يقال لكل منهم الأب وبالقبطية الأنبا) أطلقوا على الحياة الرهبانية اسم « الحياة الملائكية » وسعوا للتشــبه بحياة الملائكة • ولكى يحققوا هدفهم هذا انسحبوا من حياة العالم والقيم التى فيه وأماتوا الجسد وبذلوا قصارى جهدهم للنمو في الروحانيات • وكان نموذجهم الحقيقى هو حياة التوحد فى الصحراء • أما الرهبان الذين اكتشفوا عدم قدرتهم على مواجهة قسوة هذه الحياة واحتياجهم لصحبة الرهبان الآخرين فى الأديرة فقد أكبروا هؤلاء الذين أتاحت لهم ارادتهم

(*) لا أدرى ما تقصده المؤلفة بهذا الكلام وما هو عالم اللاهوت من وجهة نظرها ـ وعموما فاننى ارد عليها بالمؤلفات التى وضعها الرهبـان فى الماضى والحاضر وكذلك المطابع الموجودة فى الأديرة ـ (المترجم) •

الحديدية ونموهم الكامل فى الايمان ممارسة حياة التوحد • وقد أبدى الكثيرون من آباء الكنيسة القبطية اعجابهم بالقيام برحلات فى الصحراء للبحث عن المتوحدين وتدوين سيرتهم • ومن بين هؤلاء الأنبا بموا وهو أحد شيوخ الكنيسة فى شيهيت (وادى النطرون) الذى كتب أنه شاهد رؤيا تطلب منه : « قم واذهب الى حافة المحيط الخارجى • وستجد هناك ناسكا عظيما » • وتوغل الأنبا بموا فى الصحراء حتى وصل الى قلاية ، وتوقف أمامها وهو يدق على الباب لمدة ساعة داعيا ثلاث مرات قائلا : « باركنى » وذلك حسب عوائد الرهبان ، وبذلك يعطى الناسك الموجود بالداخل الفرصة فى لباقة لكى يتجاهل التطفل على خلوته •

وفى النهاية صاح الناسك : « أهلا بموا شيخ كنيسة شيهيت ، السفينة العظيمة التى تبحر فى الصحراء الخالية من الماء ، لقد انتظرت مدة طويلة لكى أراك •• ادخل أيها الرجل المبارك ! » • ورد الأنبا بموا قائلا : « أهلا يا أنبا هيراكس ، الذى أصبح رفيقا لملائكة الله بسبب نقائه » • وبعد ذلك أدخل الأنبا هيراكس الأنبا بموا الى قلايته وجلسا يتحدثان برهة • وذكر الأنبا هيراكس لزائره أنه عاش فى هذه القلاية لمدة ١٨ سنة • ولم يدخل فمه خلال هذه المدة كلها طعام سوى البلح الذى يحصل عليه من النخلة التى خارج باب القلاية ، انها تنتج اثنتى عشرة سباطة فى السنة بمعدل سباطة واحدة لكل شهر •

وفى نهاية الزيارة سأل الأنبا بموا هيراكس عما اذا كان هناك ناسك آخر يعيش على مسافة أبعد منه فى الصحراء • ولما تلقى الأنبا بموا الرد بالايجاب ارتحل ليزور الأنبا بمون فى قلايته ، وكتب عن هذه الزيارة قائلا : « صدقونى يا اخوتى وآبائى أننى أنا بموا الحقير قد تنسمت الرائحة الطيبة لهذا الأخ من على بعد ميل » • ووصل الأنبا بموا بعد حوالى ميل خلف قلاية الأنبا بمون الى قلاية ناسك آخر لم يعرف اسمه • وعندما دق الباب فى هذه المرة ترك منتظرا لمدة طويلة ، وفى النهاية سمح له بالدخول • وكان هذا الناسك هو كيرلس شقيق الملك ثيودوسيوس ، وأثناء الزيارة سمعا معا أصواتا تصيح فانزعج بموا وخشى أن يسقط الجبل من تحتهما ، ولكن الأنبا كيرلس هدأ من روعه • وفوجىء

بموا بوجود راهب آخر فى القلاية : « صدقونى يا اخوتى وآبائى أنه عند دخوله رأيت أنا بموا الحقير أنه كان هو السيد المسيح ، وقد اتخذ لنفسه صورة راهب » • وبصرف النظر عما شاهده الأنبا بموا فقد تمثل التواضع الحقيقى فى شخص المســـيح الذى حيا الأنبا كيرلس فقط : « أنا بموا الحقير لم أكن أستحق فى ذلك الوقت أن يحيينى » • (عن كتاب بادج الذى عنوانه ــ الشـــهداء الأقباط Coptic Matyrdoms ــ ص ١٢٨) •

ولم يكن الأنبا هيراكس هو الناسك الوحيد الذى يعيش على وجبة محدودة من البلح ، فقد شوهدت نفس هذه القدرة على سبيل المثال لدى أونوفريوس أشهر هؤلاء النساك والذى ذكر لنـا قصته ناسك آخر هو الأنبا ببنوتى كما يلى :

« فكرت يوما فى الذهاب الى الصحراء الداخلية لأرى ما اذا كان هناك أخ راهب يعيش أبعد منى • ولذلك رحلت لمدة أربعة أيام وأربع ليال • ولم أتناول طعاما أو أشرب ماء ، سائرا فى الصحراء الداخلية • وفى اليوم الأخير وصلت الى مغارة • وعندما وصلت اليها ظللت أدق على الباب حوالى نصف يوم ، ولم يجبنى أحـد • لذلك ظننت أنه لا يوجد أحد هناك ، فنظرت فى الداخل ورأيت أخـــا جالســا فى صمت • فامسكت بذراعه فانجذبت ذراعه بمعى مثل تراب الأرض • ولمست كل جسمه وعرفت أنه ميت ، وقد مضى على وفاته زمان طويل • ونظرت فرأيت رداء بدون أكمام معلقا ، وعندما لمسته سقط وتحول الى تراب • فوقفت ، وصليت ، وخلعت عباءتى ولففته بها ، وحفرت فى الأرض بيدى ودفنته ، ثم خرجت بعيدا عن هذا المكان •

ومضيت سائرا فى الصحراء فوجدت مغارة أخرى فتشجعت وطرقت الباب فلم يجبنى أحد ، فدخلت ولم اجد احدا هناك ، فخرجت وأنا أفكر أنه مهما كان المكان الذى ذهب اليه خادم الرب الآن فانه سيعود الى هنا • وبقيت هناك أصلى حتى اوشك اليوم على الانتهاء • ورددت ما حفظته عن ظهر قلب (ربما من الانجيل) •

وبعد ذلك اوشكت الشمس على المغيب فنظرت ورايت قطيعا من الظباء قادما على البعد ، وكان الأخ فى القطيع ، وعندما اقترب منى كان عريان وشعره يستر أعضاءه السفلى ويحيط به كثوب • وعندما وصل عندى كان خائفا جدا وظن أننى شبح ، فوقف يصلى • وكما قال لى فى النهاية فان ارواحا كثيرة حاولت أن تخدعه • ولاحظت أنه كان خائفا فذهبت اليه وقلت : « لماذا انت خائف يا خادم الرب ؟ انظر الى آثار قدمى ـ اننى انسان بالفعل ، حاول أن تلمسنى ـ اننى من لحم ودم » وعندما نظر الى وجهى ردد صلاة الانجيل • وطلبت اليه أن يأخذنى الى داخل المغارة ، فسالنى : « كيف أتيت الى هنا ؟ » واجبته : « اتيت الى هنا لرؤية خدام الرب فى هذه الصحراء ، ولم يمنع عنى الرب ما جئت لأبحث عنه » • ثم سالته : « كيف أتيت الى هنا ؟ وكم مضى عليك من الزمن منذ حضورك الى هنا ؟ وماذا تتناول من طعام ؟ ولماذا أنت عريان بدون ملابس ؟ » • فبدأ يتحدث معى : « لقد كنت راهبا ، اعيش ضمن جماعة من الرهبان فى مصر العليا ، وخطرت فى قلبى فكرة كما يلى : « قم وتقدم الى الأمام ، وعش فى مكانك متوحدا • وستستريح ، وتسحب نفسك ، وستستقبل الاخوة ، وستكون وافر الكرم ، وستنال مكافاة عظيمة من عمل يديك » •

واستمر أونوفريوس يحكى كيف بدأ المعيشة وحده ، وأخذ يبيع عمل يديه حتى يقدم احسانات الى الغرباء • وفى أحد الأيام أرسل اليه الشيطان الذى كان يحسده ، راهبة لتشترى بعضا عن عمل يديه • ونمت بينهما صداقة ، وفى النهاية ، سقطا فى الخطية ، وبقيا فى الخطية لمدة ستة أشهر حتى خاف أونوفريوس من أن يعاقب لقاء خطيئته « بصرير الأسنان والظلمة الخارجية ، والنار التى لا تطفأ ، والدود الذى لا يموت والذى يزدرد النفس » • ولذلك هرب من المرأة فى الصحراء ، حيث وجد مغارة ، وعين ماء ونخلة مثل نخلة الأنبا هيبراكس تطرح اثنتى عشرة سباطة من البلح كل عام بمعدل سباطة واحدة لكل شهر • وعاش الأنبا

أونوفريوس على هذا البسلح ، ثم قال لزائره : « اننى لا أمتلك شيئا ، لا ملابس ، ولا خبز للطعام ، وز ا شعرى وبليت ثيابى تماما ، ولذلك فقد سترت الجزء الذى يجب ستره بشعرى • انظر ! لقد مضى ثلاثون عاما على وجـــودى هنا » (عن كتـــاب المؤلف تل Till ص ص ٢٧٩ - ٨٣) •

لقد أصبح الراهب العارى تقليدا شعبيا فى العالم المسيحى الغربى ، وعلى ذلك فان أونوفريوس الذى يعيد لذكراه فى ١٢ يونيو ظـل أحسن راهب ويجرى رسم ملامحه كثيرا فى الفن المسيحى الغربى •

لقد وجد الكثيرون من الرجال أنفسهم قادرين على المعيشة التى يعيشها المتوحدون كحياة مثالية ، أى الحياة داخل مغارة فى الصحراء أو داخل مقبرة مهجورة من العصر الفرعونى ، وقد تجردوا من شـــهوات العالم ، وعاش كل منهم بمفرده مع أفكاره الخاصة وهو يبذل أقصى الجهد لتحقيق طهارة العقل ، واخضاع الجسد بحرمانه من الراحة ، ويتناول فى طعامه وشرابه أقل القليل الذى يبقى على حياته : سباطة من البلح شهريا ، وكوبا من الماء يوميا • تلك هى الوجبة التى عاش عليها العديد من المتوحدين •

لقد كانت حياة المتوحد قاسية الى حد بعيد ، وقد اختارت غالبية الرهبان المعيشة معا فى تجمعات ديرية حيث كانوا يطمحون الى تحقيق نموذج الراهب المثالى وهو ذاك الذى يدعى جنديا للرب ، ويميت الجسد للوصول الى التوحد فى الله • ويمارس التقشف ، ويكون متواضعا ورحيما باخوته الرهبان • ولا توجد هناك فى التجمعات الرهبانية دعوة لعمل « الأعمال الصالحة » بالنسبة للمجتمع الكبير ، بالرغم من أن الأديرة تصبح مراكز لتخفيف الآلام فى أوقات الخطر • ولم تكن الأديرة مراكز للدراسة بالرغم من أن الكثير منها يحتفظ فى المكتبة بمجموعات عظيمة من المخطوطات والكتب ، وخاصـــة دير السريان وما به من مجموعة كبيرة من المخطوطات السريانية التى كدست وتم نسخها •

وحتى فى الدير فان الراهب يكرس العديد من الساعات للتأمل المنفرد فى قلايته ، وعندما يتناول الطعام أو يعمل مع غيره من الرهبان فمن المفروض ألا يتحدث بدون داع • وقد أوضح القديس أنطونيوس مزايا التوحد كما يلى :

« ان الذى يجلس وحيداً وهادئا يتخلص من ثلاث محاربات : السمع ، والكلام ، والنظر ، ومع ذلك فانه يقاتل باستمرار فى معركة واحدة ، انها تختص بقلبه » •

لقد كانت صحبة الرهبان الآخرين سببا فى التشويش ، ولذلك كان بعض الرهبان ينسحبون من أديرتهم الى حيث يجدون الوحدة الحقيقية • ومن هؤلاء رئيس الدير المدعو أرسانيوس الذى سأله رئيس الدير ماركوس لماذا هرب من الرهبان فأجاب أرسانيوس قائلا :

« يعلم الرب أننى احبك ولكننى لا أستطيع أن أكون مع الله ومع الناس • ان الآلاف وآلاف الآلاف من الملائكة لها ارادة واحدة ، أما الناس فلها العديد من الارادات ؛ ولذلك فاننى لا أستطيع أن اترك الله لأكون مع الناس » •

وقد شرح الأنبا هور المبادىء التى يسلك الراهب تبعا لها وهى التى قيل عنها انها جعلته : « لم ينطق بالأكاذيب أبدا ، ولم يستخدم القسم ، ولم يلعن الناس ، ولم يتكلم بدون داع » • ولم يكن الأنبا بموا يوافق على كثرة الكلام ، فعندما زار رئيس الأساقفة ثيوفيلوس شيهيت سأل الرهبان الأنبا بموا أن يقول حكمة للأنبا ثيوفيلوس حتى ينال منفعة • ورد الأنبا بموا ردا لاذعا فقال : « اذا لم ينتفع من صمتنا فمن المؤكد أنه لن ينتفع من كلامنا » •

والراهب فى الدير يبذل أقصى جهده ليعيش حياة خشنة ليس فقط بالصوم بل أيضا بتعريض نفسه للظروف أو التجارب التى لا تسعد حواسه • وعلى سبيل المثال فقد تعود الأنبا مكاريوس مؤسس أديرة وادى

النطرون أن يلين سعوف النخيل التي يستخدمها في النسج بنقعها في الماء ، ولكنه على خلاف الرهبان الآخرين ، كان لا يغير الماء الا مرة واحدة في السنة • ولما سألوه لماذا لم تغير الماء الذى انبعثت منه رائحة كريهة ، فأجاب : « لأن روائع البخور والعطور التي استخدمتها ، وأنا في العالم جعلتني ملزما باستخدام هذه الرائحة الكريهة الآن » •

ويبدو أن القديس مكاريوس قد بذل جهده ليتفوق على الرهبـان الآخرين في ممارسة الزهد • وعندما سمع أن راهبا يأكل رطلا فقط من الخبز اكتفى هو بأن يتناول حفنة من كسر الخبز • وعندما سمع أن راهبا آخر لم يتناول طعاما مطهيا طوال فترة الصوم ومقدارها أربعون يوما ، اكتفى هو بتناول الأعشاب غير المطهية لمدة سبع سنوات • وفى احدى زياراته الى تابنيسى قدم لهذا الدير من نفسه مثالا ، ففى مدة الصوم الأربعينى قضى الأيام الأربعين واقفا فى أحد الأركان بدون طعام أو شراب أو نوم ، واكتفى بضفر خوص النخيل ، والصلاة فى صمت • وليمنع عن نفسه صفة الزهو كان فى أيام الآحاد يتناول القليل من الكرنب غير المطهى • ففزع رهبان تابنيسى واحتجوا لدى القديس باخوميوس قائلين : « أين وجدت ذلك المخلوق المجرد من الجسم البشرى والذى يقودنا جميعا الى السخرية » •

ولابد أن القديس مكاريوس قد وقع فى اغراء الاعتقاد بأنه أفضل من الرهبان الآخرين ، وهى صفة لم تدم فيه حسب القصة التى وصفت لنا ما حدث له فى أحد الأيام ، عندما كان عائدا الى ديرة بعد أن كان قد خرج ليجمع بعض خوص النخيل • فقابله الشرير (الشيطان) ولوح نحوه بالمنجل • ووبخ الشيطان القديس مكاريوس بسبب النفور الذى أظهره نحوه ، وتحداه قائلا : « ان كل ما تعمله أعمل مثله أيضا بل أكثر منه • أنت تصوم بين حين وآخر ، ولكننى أعيش بلا طعام ، أنت تسهر كثيرا ، أما أنا فلا أنام مطلقا ، ولكنك تمتاز عنى بشىء واحد » • وعندما سأله القديس مكاريوس عن هذا الشىء قال : « انه التواضع » • وركع

القديس على ركبتيه ـ ربما ليتفادى هذا الاغراء الأخير الخبيث ـ وحينئذ انقشع الشيطان وتحول الى هباء متناثر •

ولدينا تصوير ممتاز للنماذج الرفيعة فى الفكر والسلوك التى عمل الرهبان على الوصول اليها فى مجموعة « أقوال الآباء الأقباط » التى يطلق عليها اسم Apophthegmata التى نشرها جورج زويجا (١٧٥٥ ـ ١٨٠٩) باللغة القبطية الأصلية ضمن كتابه :

قائمة بأقوال الآباء الأقباط المصريين :

Catalogus Apophthegmata Patrum Aegyptiorum

وقد قامت المؤلفة بترجمة مختارات من هذه الأقوال التى سنوردها فى الفقرة التالية ومعها كافة الاقتباسات عن القبطية المستخدمة فى كافة أجزاء الكتاب ، وهى محاولة لحفظ نكهة اللغة القبطية الأصلية •

حرص الرهبان على أن يعيشوا طبقا لنماذج سلوكية معينة ليس التزاما بمبدأ ، ولكن أيضا لأسباب عملية ، لأن الرجال الذين يعيشون ويعملون معا فى تقارب شديد ، غالبا ما يحتاجون للمحافظة على هدوئهم بأنفسهم • أما مستوى السلوك المنتظر من الرهبان فهو أرفع مما ينتظر من الناس العاديين • أما عن مثالياتهم فقد عبر عنها أحد الرهبان عندما أجاب قائلا : «لأننا ألقينا بعيدا بأسلحتنا التى نذكرها بأسمائها الا وهى الخجل ، والتواضع ، ونكران الذات ، والصبر » [قائمة زويجا ـ القول رقم ١٢ : فى الاقتباسات التالية ، « الأقوال » مرقمة بالحرف Z والى جانبها رقم القول ، ومن ذلك على سبيل المثال (Z 12) أى القول رقم ١٢ من قائمة زويجا •

ويبدو أن التواضع قد تفوق على كافة الفضائل الأخرى حيث تشير اليه معظم الأقوال :

- **قال سينكلتك المبارك : « كما انه من المستحيل بناء سفينة بدون مسامير ، فكذلك من المستحيل الحصول على الخلاص بدون التواضع » (Z 8) •**

- سأل أحد الاخوة شيخا قائلا له : « ما هو تواضع القلب ؟ فرد عليه الشيخ قائلا : ـ « هو أن تصنع الخير لمن يسيئون اليك » فأجابه الأخ : « واذا لم يصل الانسان الى هذا المسـتوى ، فماذا يفعل حينذاك ؟ » فرد الشيخ قائلا : « دعه يختار لنفسه أن يصمت » ٠

- قال الشيخ : « لو ظهر ملاك بالفعـل ، فلا تستقبله ، ولكن تواضع وقل : (« انني لا أستحق أن ألتقى بالملاك بعد أن عشت فى الخطية ٠ ») (Z 1) .

- بدل الشيطان هيئة ملاك النور وظهر لأحد الاخوة وقال له : « أنا جبرائيل ، وقد أرسلت اليـك » ٠ ولكن الأخ أجابه : تأكد أنك ربما تكون قد أرســلت الى اخ آخـر لأننى غـير مستحق » ٠ وفى الحال انقشع الشيطان (Z 10) .

- قالت الشــياطين لشــيخ آخر وهى تريد أن تخدعه « هل تريد أن تشاهد السيد المسيح ؟ » فقال لهم : « عليكم اللعنة انتم ومن تدعون أنه السيد المسيح ٠ ان مسيحى الذى أؤمن به هو الذى قال « ان قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا »» (*) ٠ وفى الحال إختفت الشياطين (Z 15) .

- ومع التواضع تتحالف الوداعة وترسمها لنا القصص التالية :

كان هناك راهب مصرى يعيش فى ضـواحى القسطنطينية فى عصر الملك ثيودوسيوس ، وعندما كان الملك يسير فى الطريق ترك الزحام خلفه وتقدم ، واستدعى الراهب الذى رغم معرفته لشخص الملك اســتقبله كما لو كان أحد الأفراد الحاشية ، وعندما دخلا صليا ثم جلسا ، وبدأ الملك يسأله قائلا : « كيف حال آبائنا فى مصر ؟ » ٠

(*) مت ٢٤ : ٢٣ ، مر ١٣ : ٢١ ـ (المترجم) ٠

فقال له : « انهم جميعا يصلون من اجل سلامتك » • ودعاه الى تناول القليل من الخبز وأعطاه قليلا من الزيت والملح فأكل • وأعطاه قليلا من الماء فشرب • ثم سأله الملك : « هل تعرف من انا ؟ » فأجاب « الله يعرفك » فقال : « انا الملك ثيودوسيوس » • وفي الحال خر الرجل على وجهه أمام الملك ، فقال له الملك : « انك مبارك ، لأنك لا تحظى باية عناية في هذا العالم • والحقيقة أنني منذ أن ولدت في هذه المملكة لم املأ بطني في اى وقت بالخبز أو الماء كما فعلت اليوم ، كما أنني لم أتمتع بحلاوة الطعام كما تمتعت بهذه الطريقة »• ومنذ ذلك اليوم بدأ الملك في تعظيمه • فقام الرجل العجوز ثم هرب ، وعاد الى مصر (Z 14) .

● وفي احدى المرات ذهب بعض الناس الى مصر العليا حيث رجل شيخ واخذوا معهم شخصا اقتنصته الأرواح الشريرة ، لكى يشفيه ، ولما تضرع الناس الى الشيخ كثيرا قال للشيطان « اخرج من مخلوق الله » فقال الشيطان للشيخ : « انني على وشك الخروج وأسألك شيئا واحدا : ما هي الماعز وما هي الخراف ؟ » فأجاب الشيخ : « اما عن الماعز فلا اعرفها ، وأما عن الخراف فالرب هو الذى يعرفها » • وعندما سمع الشيطان ذلك قال : « انظر ! انني بسبب وداعتك ، سأمضى بعيدا » (Z 26) .

● سألوا أحد الشيوخ قائلين : « ما رأيك في قول البعض (لقد تعودنا رؤية مشاهد تظهر فيها الملائكة ؟) فقال لهم : « طوبى لمن يرى خطاياه دائما » (Z 5) . •

وهناك قولان يصوران كيفية ممارسة انكار الذات لدى بعض الرهبان :

● قالوا عن الأنبـا ببنوتى انه لم يتعود على شرب النبيذ • وفى احـدى المرات عندما كان يتمشى خارجا ، مر بعصـــــابة من اللصوص وكانـوا يتعاطون الشراب عندما وجدهم ، وعرفه رئيسهم وبرغم أنه كان يعرف عنه أنه لا يتعاطى الخمـور ، لاحظ انه خائر القوى ، فملأ كوبا من النبيذ ، وسيفه فى يده وقال للشيخ : « اذا لم تشرب ، سأقتلك » • وعرف الشيخ أنه أراد أن يعمل ارادة الله ، وأراد أن يكون مفيدا له ، وهكذا تنـاول الكوب وشربها • فنـدم رئيس العصـابة قائـلا : « سامحنى يا أبى فقد أسأت اليك » ، فقال له الشيخ « اننى أؤمن انه بسبب هذه الكوب من النبيذ سيرحمك الرب فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى » • فقال له رئيس العصابة : « اننى أؤمن بالله ومنذ الآن لن أفعل شرا بأى شخص » • وكسب الشيخ لنفسه العصابة كلها لأنه ترك خلفه رغبتـه الشخصية من أجل خاطر الرب (Z 16).

● وقد قيل عن احد الاخوة الذى اعتاد صـنع السـلال مع عمل مقابض لها وسمع أحد جيرانه يقول هذا القول : « ماذا أفعل وقد نما العمل وليست لدى مقابض جاهزة لكى أركبها فى السلال » فقام ، وخلع المقابض التى ركبها لسلاله الخاصة وأحضرها الى الأخ قائلا : « انظر ! لدى هذه المقابض ، وهى زائدة عندى خذهـا ، وركبها فى سلالك » ودفع بعمل اخيه للنمو وتجاهل عمله هو (Z 17) .

ان الصبر الذى يسعى اليه الرهبـان يطلق عليه أحيـانا اسـم : الاحتمال ، مثلما قال أحد الشيوخ على سبيل المثال : « ان الذى يستطيع احتمال الاحتقـار والسخرية يجد أنه من السهل عليه الحصـول على الخلاص » (Z 9) • وعلى كل حـال ، ففى بعض الأحيان كان الاحتمال متطرفـا :

● سهر احد الاخوة على رعاية شـيخ مريض • وحدث أن المرض جعل جسمه ينز من القروح مخلفا سائلا كريه الرائحة ، وفكر الأخ فقال لنفسه : « اهرب ، لأنك لا تقدر أن تحتمل هذه الرائحة وهذه الزفارة » • ولكن الأخ احضر ابريقـا ووضـع فيه من الماء الذى غسل به قروح المريض ، واعتاد أن يشرب منه عندما يكون عطشان • وعاد الأخ يفكر وقال لنفســـه : « لا تهرب • فقط لا تشرب من هذا الماء القذر » • ولكن الأخ داوم على شرب ماء الغسيل واستمر فى رعاية الشيخ • ورأى الرب احتمال وحب الأخ فبدل ماء الغسـيل الى ماء نظيف وشفى الشيخ المريض (Z 18) •

وفى بعض الأحيـان كان الاخـوة ينظرون الى الرهبـان الآخـرين للتمثل بهم كما ورد فى قول الأنبا بيمين :

● قال الأنبا بيمين « سأل احد الاخوة الأنبا بيسى قائلا : (ماذا افعل لقـلبى عندما يقســـو ولا أمجد الرب ؟) فقال له : (اذهب والتصق بأخ يمجد الله ، و [عن طريق التعلم] فان الرهبة التى يشعر بها هذا الأخ ستجعلك [تتعلم] أن تمجد الله) » (Z 2) .

وقد وردت قصص يمكن استخلاص الأمثال منها ، مثل القصـة التالية عن أحد الرهبان الذى كان يرفض النبيذ الذى يبدو عليه التخمر بدلا من النبيذ الجديد الذى كان يقدم له ولبقية الرهبان ، وهكذا ولسوء الحظ وجد أن النبيــذ الجديد له الأثر السيىء الذى يجعـل الراهب يسكر ، أما هو فانه مثل غيره من الرهبان لم يتناول النبيذ حيث انه لا يشكل جزءا من وجبة طعامهم •

● اقيم احتفال فى احدى المرات ببرية شيهيت واعطيت كأس من النبيذ لاحد الشيوخ ، فقال : « أبعد هذا الموت عنى » • وعندما

شاهد [ذلك] الآخرون الذين كانوا يأكلون معه ، لم يشاركوهم [أيضا] • وعلى ذلك كان يتم تناول قدر صغير من المحصول الجديد وبذلك يستطيع الاخوة أن يتناول كل منهم كأسا (*) • والآن فقد مضى أحد الاخوة الى سقف القبـة ، وجرى فوقه فسقطت القبـة سريعا ، ولما ذهبوا لاستطلاع سبب الضجة التى أثارها ، وجدوا الأخ واقعا تحتها • فبدءوا فى لومه قائلين له : أيهـا المغـرور المتصلف ، انك تسـتحق ذلك الذى حـدث لك » • ولكن الشيخ احتضنه قائلا لهم : « دعوا ابنى وجده ، لأنه عمل عملا حسنا • والحقيقة أنه ما دام الرب موجودا فان هذه القبة لن يعاد بناؤها فى أيامى ، وبذلك يعرف العالم أجمع أن هناك قبة سقطت فى شيهيت بسبب كأس من النبيذ (Z 4).

● وقد ورد أن شيخا أتى الى احدى المدن ليبيع قدوراً للاستعمال المنزلى ، وجلس ليستريح فى الحوش الأمامى لأحد الأغنياء الذى كان على وشك الموت • وأثناء جلوس الشيخ هناك رفـع ناظريه ورأى الخيول السوداء والذين يمتطونها كانوا هم أيضا سود اللون ومخيفى الهيئة وبيد كل منهم شـعلة • ووصلوا الى بوابة المنزل وتركوا خيولهم خارجه ودخلوا واحدا فواحدا بسرعة • وعنـدما شاهدهم الرجل المريض صرخ وصاح بصوت عال قائلا : « يا سيدى ، أغثنى ! » ورد عليه الذين قدموا اليه قائلين : « لقد طلبت الرب عندما غربت عنك الشمس • فلماذا لم تطلب الرب حتى اليوم ؟ والآن ليس لك نصيب ولا رجاء ولا عزاء » (Z30) .

(*) ان هذا الذى يتناوله هؤلاء الرهبان ليس خمـرا ولكنه عصير عنب جديد أى غير معتق وغير مقطر فلا يعتبر خمرا • أما الخمر الحقيقية فهى محرمة تحريما تاما • والكتاب المقدس يمتلىء بالكثير من الآيات التى تحرم الخمر • واليك آية من العهد القديم : « الخمر مستهزئة ، المسكر عجاج ومن يترنح بها فليس بحكيم ــ أم ٢٠ : ١ » وأيضا آية العهد الجديد : « لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة ــ افسس ٥ : ١٨ » ــ (المترجم) •

وكانت النصيحة تطلب من الرهبان باستمرار :

● سأل رجل أحد الشيوخ قائلا : « لماذا ينشغل عقلى عندما اجلس فى دارى ؟ » فأجابه الشيخ : « لأن أعضاء الحس خارج العقل وهى حواس الرؤية ، والسمع ، والشم ، والكلام ، تكون معتلة ، ولذلك عليك بتقديم أنشطة هذه [الحواس] للتنقية ، وكذلك العقل اعتاد أن يصير هادئا وموفور الصحة » (Z 3) .

● وسأل اخ أحد الشيوخ « هل من المستحسن أداء الاعتراف بكثرة ؟ » فأجاب الشيخ : « تذكر أن يشوع بن نون عندما كان منبطحا على وجهه ، ظهر له الرب » (Z 11) .

ومن الضرورى الحذر من شهوة الحواس ، ويصور ذلك القول الآتى

● فى احدى المرات ذهب كاهن شيهيت الى رئيس أساقفة الاسكندرية ، وعند عودته الى شيهيت ساله الاخوة : « ما الذى يدور فى المدينة هناك ؟ » . فقال لهم : « مرحى يا اخوتى ، لم ار وجه انسان سوى وجه رئيس الأساقفة وحده » . وعندما سمعوا هذا الكلام ، قيدوا انفسهم بهذه العبارة ، وعرفوا انه لابد لهم من تحصين ذواتهم ضد شهوة العيون » (Z 6) .

أما الرهبان الذين تعلموا أن يعيشوا حسب نماذج السلوك الرهبانى فقد ربحوا السلام والصفاء النفسى كما يظهر لنا من القولين التاليين :

● كان هناك اثنان من الاخوة قضيا عدة سنوات فى مكان واحد ولم يتشاجرا أبدا وظلا فى سلام حتى يوم نياحتهما » (Z 22) .

● ذهب أحد الشيوخ الى شيخ آخر وقال لتلميذه : « أعد لنا بعض العدس » ، فاعده . فقال : « بلل لنا بعض الخبز . فبلله . وبعد ذلك استمرا فى الحديث حول الأمور الروحية طوال النهار وطوال الليل » (Z 21) .

وفي بعض الأحيان يبدو سلوك أحد الرهبان بوصفه المفهوم الهادىء للحياة في الدير :

● قال أحد الرجال : « عندما يتقدم أحد الاكليروس للتناول فان نسرا اعتاد ان يهبط على عناصر التناول ولكن لا يراه أحد سوى الاكليروس وحده » • وفي أحد الأيام سأل رجل الشماس شيئا فقال : « ليس لدى وقت » • وعندما تقدموا للتناول لم يهبط النسر كما هي العادة ، فسأل الشيخ الشماس : « ما معنى هذا ؟ ان النسر لم يأت كعادته • لابد ان السبب يعود الى خطأ منى أو خطأ منك • انسحب حتى ارى ان كان ذلك بسببي أم لا » • وعند انتهاء خدمة القداس ، قال الشيخ للشماس : « قل لى ماذا فعلت ؟ » فقال : « لا أعرف ما اذا كنت قد اخطأت في حق أحد الاخـــوة الذى جاء وسألني شيئا فقلت له انني ليس لدى وقت » • فقال له الشيخ : « لذلك لم يهبط النسر بسببك ، لأن الأخ غاضب منــك ، فمضى الشماس واعترف للأخ (Z 29) .

وكان الرهبــان على وعى كامل بمصاعب الحياة الديريــة ، ولم يحاول رؤساء الأديرة تشجيع هؤلاء الذين اعتبروهم غير صالحين لممارسة مثل هذه الحياة • وعموما فانهم ذهلوا ما بين حين وآخر بسبب جودة المتقدمين للرهبنة :

● ذكر الأنبا تيتيموس ان الأنبا مكاريوس قال : « حدث مرة عندما كنت أسكن في شيهيت ان وصل اثنان من الأجانب ، كان احدهما ملتحيا اما الآخر فكان شعر لحيته على وشك النمو • وقالا لى : « اين قلاية الأنبا مكاريوس ؟ » ، فقلت : « ماذا تريدان منه ؟ » فقالا : « لقد سمعنا عنه وعن برية شيهيت فجئنا لكى نراه » • فقلت لهما : « أنا هو » • فانطرحا على وجهيهما أمامى وقالا : « نريد الاقامة في هذا المكان » • ولكننى لحظت عليهما نعومة البـــدن كما لو كانــا من عائلتين من الأثريــاء ، فقلت لهما : « لستما لائقين للاقامة في هذا المكان » • فقال اكبرهما : « اذا لم نقم في هذا

المكان فسنذهب الى مكان آخر » • فقلت لنفسى : « لماذا لا افسح لهما الطريق وبذلك لا يواجهان معارضة ، ولابد أن مشقة الحياة ستدفعهما للهروب من تلقاء نفسيهما » • وقلت لهما : « ما دام ذلك في استطاعتكما فاعدا لنفسيكما قلاية » • فقالا : أرنا الكيفية وسنقوم نحن بالعمل » • واعطاهما الشيخ ساطورا وصرة بها خبز وملح فقط • وأراهما صخرة وقال : « اقتلعا الأحجار من هذا المكان واحضرا بعض الأخشاب من المستنقعات واقيما لنفسيكما مكانا للاقامة » • وتوقعت أن يهربا بسبب المشقة ، وسالانى ما هو العمل الذى سيقومان به فى هذا المكان ، وقلت لهما انهما سيقومان بصنع السلال • واخرجت سعف النخيل من المستنقع وأريتهما كيفية البدء فى عمل السلال وكيفية خياطتها • وقلت لهما : « اصنعا السلال وسلماها الى الملاحظين وهم سيعطونكما الخبز » • ثم انسحبت • وبصبر عجيب قاما بأداء كل ما طلبته منهما ولم يحضرا عندى مرة أخرى •

وبعد ثلاث سنوات تفكرت قائلا : « ماذا يفعلان ؟ انهما لم يحضرا لكى يسألانى شيئا • ان الذين يقيمون على مسافات أبعد منهما يأتون الى اما هما القريبان منى فلا يحضران الى ولا يذهبان الى غيرى • انهما يذهبان فقط الى الكنيسة ، ويحفظان الصمت ، ويشاركان فى أسرار الكنيسة » • فصليت وصمت لمدة أسبوع عسى أن يرشدنى الرب فيما يتعلق بشئونهما • وقمت لكى اذهب واتعرف على احوالهما • وبعد ان طرقت الباب فتحاه ، وبادلانى التحية فى صمت • وبعد ان صليت جلست فأشار الأكبر الى الأصغر بالخروج • وجلس ، واخذ يعمل فى السلة التى بيده بدون كلام • وفى وقت الساعة التاسعة طرق الباب • لقد اعد الأصغر القليل لنأكله ورتب مائدة • فأومأ له الأكبر فوضع فوقها ثلاثة ارغفة صغيرة من الخبز ووقف فى صمت • فقلت : « قم ودعنا نتناول الطعام » ثم قمنا وآكلنا • وأحضر وعاء من الماء فشربنا •

وعند حلول الليل قالا لى : « هل سترحل ؟ » فقلت : « لا ، سانام هنا » • فوضعا لى حصيرا منفصلا وكان لديهما حصير اخرى ينامان عليها • ثم خلعا الحزامين ، والنطاقين ثم رقدا واستغرقا فى النوم على حصير واحد فى حضورى •

وعندما استغرقا فى النوم صليت الى الرب ليكشف لى عملهما ، وانفتح السقف وظهر نور كما لو كنا فى وقت الظهر ولكنهما لم يشاهدا النور • وبعد أن ظنا أننى نائم حرك أكبرهما الأصغر ثم قاما • ولبسا الحزامين ثم مدا اذرعهما نحو السماء ، وكنت أنظر اليهما ولكنهما لم يريانى • ورأيت الشياطين تحوم حول الأصغر كالذباب ولم بعضها حول فمه والبعض الآخر حول عينيه • ورأيت ملاك الرب وفى يده سيف من نار فاستدار نحوه ، وطرد الشياطين عنه • أما عن الأكبر فلم يكن لدى الشياطين القوة للاقتراب منه •

وعند حلول الوقت ، تجهزا للنوم ، وتظاهرت بانــنى قد استيقظت لتوى • وقال لى أكبرهما « أتحب أن ننشد اثنى عشر مزمورا ؟ » فقلت : « نعم » فانشـــد الأصغر خمسة مزامير وست آيات ، وختمها بالخاتمة هلليلويا • وعند كل آية كانت تخرج من فمه نفحة من النار متجهة الى السماء • ثم فعل الأكبر نفس الشيء • وعندما بدأ يفتح فمه لانشاد المزامير ، خرجت من فمه الكلمات فى شكل حزمة ضخمة من النار صاعدة الى السماء • فانشدت القليل من الذاكرة ورحلت عنهما وأنا أقول « صليا من أجلى » • فانحنيا امامى وقدما اعترافهما فى صمت • وعرفت أن الأكبر قد وصــل الى الكمال ، أما عن الأصغر فمازال العدو يقاتله • وبعد عدة أيام استراح الاخ الأكبر (تنيح) وبعد ثلاثة أيام تنيح الأصغر • وعندما حضر بعض الشيوخ الى الأنبا مكاريوس اخذهم الى مغارة الاجنبيين وقال : « انظروا الى استشهاد الأجنبيين » (Z 37) .

والرهبان مثلهم مثل النساك لابد أن يجاهدوا ضـــد الشيطان • ويعتبر القول التالى دليلا دامغا على ذلك • وهو يصور لنا أيضا الأسلوب

الدبلوماسى الذى استطاع به القديس مكاريوس مساعدة راهب آخر فى معالجة مشاكله :

● كان الأنبا مكاريوس يعيش منفردا فى الصحراء الواسعة ، حيث انسحب الى هذا المكان ، وكانت تقع خلفه صحارى اخرى عاش فيها عدد كبير من الاخوة متقاربين • وكان الشيخ موجها اهتمامه نحو الطريق فرأى الشيطان قادما فى هيئة انسانية • يمر بجانبه ، مرتديا ثياب قس • وكانت عبارة عن عباءة مملوءة بالثقوب وقد تدلت قارورة صغيرة من ثقب ، فقال له الشيخ : « الى اين انت ذاهب ؟ » فاجاب : « انني ذاهب لكي اعظ الاخوة » • فقال له الشيخ: « وماذا ستفعل بكل هذه القوارير ؟ » فقال : « انها عينات لكي يتذوقها الاخوة ، واذا لم تعجب احداها واحدا من الاخوة فساعطيه واحدة أخرى ، ولابد أن يعجبه مذاق قارورة منها ! وبعد ان قال ذلك مضى •

وكان الشيخ موجها اهتمامه نحو الطريق حتى عاد ذلك الشخص صارخا : « يا له من ترحيب ذلك الذى استقبلت به ! » فسأله الشيخ : « لماذا ؟ » فقال : « لقد غضبوا منى جميعا ولم يكن اى منهم لطيفا معى » • فقال له الشيخ : « اذن ، فلم يكن لك صديق بينهم ؟ » فاجاب : « نعم • كان هناك شخص واحد اصطفيته من بينهم ، وهذا الشخص يستمع لى وعندما يرانى يأتى الى كطفل » • فسأله الشيخ : « ما اسمه ؟ » فاجاب : « ثيوبنتوس » ولما قال ذلك مضى •

فقام الأنبا مكاريوس ومضى الى الصحراء الخارجية ولما سمع الاخوة بحضوره ، حملوا سعوف النخيل وأتوا لاستقباله ، واعد كل منهم نفسه قائلا : « ربما رغب الشيخ فى المجىء عندى » • فسألهم : « من هو الراهب الذى يدعى ثيوبنتوس فى هذا الجبل ؟ » وعندما وجده دخل الى قلايته فاستقبله فرحا • وعندما بدأ الحديث

بينهما ، قال له الشيخ : « كيف احوالك ايها الأخ ؟ » فاجاب : « انها جيدة بفضل صلواتك » • فساله الشيخ : « الا تحاربك الأفكار ؟ فقال : « اجد نفسي في حالة طيبة الآن » • واحس بالخجل اثناء الحديث » ، فقال له الأنبا مكاريوس : « مرحى ! لقد مضت سنوات عديدة مارست فيها ضبط النفس وكان الجميع يمتدحونني ، ولكنني مازلت انا الرجل الشيخ الاقى المتاعب من روح الزنى » • فاجاب ثيوبنتوس « صدقني يا ابى انني الاقى ايضا المتاعب » • ووجد الشيخ ذريعة وذكر بعض الأفكار الأخرى قائلا : « انها تضايقني » • حتى جعله يعترف بافكاره ، ثم قال له : « كيف تصوم ؟ » ، فاجاب : « انني اصوم حتى الساعة التاسعة ، فقال له الشيخ : « صم حتى حلول المساء وعش ناسكا وانشد ما حفظته عن ظهر قلب من الأناجيل وباقي اسفار الكتاب المقدس ، واذا هاجمتك احدى الأفكار فلا تنظر الى الأرض بل ارفع ناظريك دائما الى السماء ، وسرعان ما يخف الرب لمساعدتك » •

وبعد ان اصدر الشيخ تعليماته لهذا الاخ عاد الى الجزء الذى يقيم فيه من الصحراء ، وعندما كان يراقب الطريق مرة اخرى راى الشيطان وقال له : « الى اين انت ذاهب ؟ » فقال : « انني ذاهب لالقن الاخوة فكرة ! » ثم مضى • وعند عودته ساله القديس : « كيف حال الأخوة ؟ » فاجاب : « الحال رديئة ! » فساله الشيخ : لماذا ؟ فاجاب : « انهم جميعا فى اشد الغضب ، وقد حدث شر فظيع وهو ان الأخ الآخر الذى كنت قد اقتنصته لطاعتي واصبح صديقا لى ، اذا به هو الآخر يكرهني ، ولا اعرف لماذا • انه لا يستمع لى حاليا ولكنه صار اكثر غضبا مقارنة بالآخرين فاقسمت الا انزل اليهم مرة اخرى — الا بعد مضى فترة من الزمن » • وعندما قال ذلك مضى ، تاركا الشيخ فعاد القديس الى قلايته (Z 36) .

والرهبان يحفظون يوم الأحد فى نضالهم ضد الشيطان وهو ما يصوره لنا القول التالى :

● **قال الأنبا بيمين : « مكتوب أنه كما يشتاق الايل الى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى اليك يا الله (*) لأن الأيائل التى فى الصحراء تعضها الحيات ، وعندما يحرق السم قلوبها تجرى الى الماء . وعندما تشرب تبرد من لدغ سم الحيات ، وهذا هو ما يجرى للرهبان فى الصحارى ، انهم يحترقون بسموم الشياطين الشريرة ، فيحبون يوم الأحد ، يوم الرب ، لأنهم يأتون فيه الى جداول المياه التى هى جسد ودم الرب (**) وبذلك يتطهرون من كل لدغات الشيطان » (Z 28) .**

وعلى الراهب ألا يلوم الآخرين بسبب هناته ، ولكن عليه أن يسعى لكى يعرف نفسه مهما كان حجم الاغراء الذى وقع فيه :

● **قال أحد الشيوخ ، « عند كل اغراء لا تلم الا نفسك وحدك وأنت تقول : « ان هذه الأشياء تحدث لى بسبب خطاياى » (Z 20) .**

وكانت المعجزات تحدث أحيانا مع آباء الصحراء ، ولكن أحدا منهم لم يجد الشجاعة للاقدام على عمل المعجزات بسبب روح التواضع الحقيقى، ولكن هؤلاء الأطهار كانوا يصنعون المعجزات أحيانا دون ترتيب سابق :

● **كان هناك رجل من مصر لديه ابن اعرج فاحضره ووضعه بجوار قلاية الأنبا مكاريوس ، وتركه بجوار الباب وهو يبكى ومضى الى مسافة صغيرة . ونظر الشيخ من الباب ، فرأى الولد يبكى وتحدث اليه قائلا : « من الذى أتى بك الى هذا المكان ؟ » فأجاب : « انه أبى الذى احضرنى ، لقد ألقى بى ومضى » . فقال له الشيخ : « قم واتبعه**

(*) مزمور ٤٢ : ١ - (المترجم) .

(**) اى التناول من الخبز والخمر اللذين يتحولان الى جسد ودم المسيح فى سر الافخارستيا اثناء صلوات القداس - (المترجم) .

والحق به » . وفى الحال صح الولد ، فوقف ولحق بابيه ، وبهذه الطريقة ذهبا فرحين الى منزلهما » . (Z 24) .

● ذهب رجل علمانى مع ابنه الى الأنبا شيشوى عندما كان على الجبل الذى كان يعيش فيه الانبا انطونيوس . ومات ابنه بجواره فى الطريق . فلم ينل منه الفزع ولكنه حمله بايمان وذهب به الى الشيخ ، وانحنى امامه مع ابنه كما لو كانا يقدمان اعترافهما للشيخ وبذلك يباركهما . ثم قام الأب وترك ابنه عند قدمى الشيخ وخرج من القلاية . ولما ظن الشيخ أن الولد قد انبطح أمامه طلبا للحل قال له : « قم واخرج » لأنه لم يكن يعرف أنه ميت . وفى الحال قام الولد وخرج . ولما رآه أبوه تعجب وذهب وانبطح أمام الشيخ وحكى له الموضوع . وانصت الشيخ وأحس بالألم ، لأنه لم يكن يقصد القيام بعمل من هذا النوع . ولذلك فقد أمر تلميذه الرجل وابنه قائلا : « لا تذكرا هذا الأمر لأى شخص طالما كان الشيخ حيا » (Z 25) .

● قال الأنبا يوحنا الذى نفاه الامبراطور مرقيان : « فى احدى المرات خرجنا من سوريا الى الأنبا بيمين وطلبنا نصيحته عن صلابة القلب القاسى ، ولكن الشيخ لم يكن يعرف اللغة اليونانية ، ولم يكن معنا مترجم . وعندما لاحظ الشيخ اننا فى حيرة ، بدأ يتحدث باللغة اليونانية قائلا : « ان طبيعة الماء هى الليونة ، ومن الناحية الأخرى فان الحجر صلب ، ويرفع الابريق أعلى الحجر ويصب الماء فوقه . وهذا يشبه كلمة الله اللينة ، اما قلوبنا من الناحية الأخرى فهى صلبة وقاسية . وعندما يستمع الانسان الى كلمة الله عدة مرات فانها تفتح قلبه ، ويصير خائفا أمامه » (Z 27) .

● وفى احدى المرات عندما كان الأنبا ميلسيوس يمر باحد الأماكن رأى واحدا من الرهبان قد أمسك به بعض الرجال بتهمة القتل ، فاقترب منه الشيخ وقال لهؤلاء الذين أمسكوا به : « أين

الرجل المقتول ؟ » فاروه له • وعندما اقترب منه قال لهم : « صلوا جميعا ! » وعندما مد ذراعيه امام الله ، قام الرجل الميت ، فقال له أمام الجميع « قل لنا من الذى قتلك ؟ » فاجاب : « لقد ذهبت الى الكنيسة وأعطيت نقودا للشيخ فوقف قبالتى ، وذبحنى ثم نقلنى الى دير هذا الرجل العظيم ، ولكننى أتوسل اليك ان تاخذ هذه النقود وتعطيها لأولادى » • فقال له الشيخ : « اذهب ، ونم حتى ياتى الرب ويوقظك » • وفى الحال راح الرجل فى النوم (Z 31) .

● سمعت سـيدة تعانى من مرض السرطان فى صدرها عن الأنبا لونجينوس ، وسعت لمقابلته عندما كان يقيم عند حجر المسافة رقم ٩ خارج الاسكندرية • وكانت السيدة تسال عنه فى هذه المنطقة ووجدته عندما كان يجمع الأخشاب على شاطىء البحر ، فقالت له : « يا أبى ، أين يسكن خادم الرب لونجينوس ؟ » ولم تكن تعلم انه هو • فقال : « ماذا تريدين من ذلك المخادع ؟ ماذا جرى لك ؟ » وحدثته المرأة عن المرض الذى أصابها ، ورسم الشيخ علامة الصليب على المكان المصاب ، وقال لها : « اذهبى ، ان الله هو الذى سيشفيك لأن لونجينوس لن يفيدك بشىء » • فذهبت وهى واثقة ، وشفيت فى الحال • وبعد ذلك ، تحدثت عن الموضوع الى بعض الناس ، ووصفت لهم ملامح الشيخ ، فقالوا لهـــا : « لقد كان هو الأنبا لونجينوس » (Z 32) .

● قال الأنبا شيشوى « حدث فى احدى المرات عندما كنت فى شيهيت مع الأنبا مكاريوس ان قمنا معه لحصاد القمح ، وكنا سبعة من الأخوة • وشاهد ارملة تلتقط الساقط من القمح خلفنا ، وكانت باكية ولم تتوقف عن الصراخ ، فاستدعى الشيخ صاحب قطعة الأرض وساله : « لماذا تبكى هذه المراة هكذا ؟ » فاجاب : « عندما كان زوجها حيا أئتمنه احد الأشخاص على ماله ، ولكنه مات فجاة دون ان يتكلم ، ولم يقل اين وضع المال ، ويريد الرجل

الذى ائتمنه أن يستعيد ما كان له • انها لا تجد المال ، وهو يريد أن يأخذها هى وأطفالها عبيدا له • فقال له الشيخ : « اطلب اليها أن تحضر الى المكان الذى تعودنا أن نستريح فيه من الحرارة » • وعندما حضرت قال لها الشيخ : « لماذا تبكين طوال الوقت ؟ » فقالت له : « لقد مات زوجى وكان قد تسلم وديعة من شخص آخر • وعندما كان على وشك الموت لم يقل لنا أين وضعها » • فقال لها : « تعالى وأطلعينا على المكان الذى دفنته فيه وأخذ الأخوة ومضى معها وعندما جاءوا الى الموضع قال لها الشيخ : « اذهبى الى منزلك » • وأخذوا يصلون • ونادى الشيخ الرجل الميت قائلا : « مهما كنت ، أين وضعت وديعة الرجل ؟ » فأجاب : « انها فى منزلى تحت سريرى » • فقال له الشيخ : « نم حتى يوم القيامة » • ولما رأى الأخوة ذلك سقطوا عند قدميه ، فقال الشيخ : « لم يحدث ذلك بسببى لأننى لست بشىء ، ولكن لأجل خاطر الأرملة وهؤلاء الأيتام تفضل الرب ففعل ذلك • والشىء العظيم الذى نتعلمه من ذلك هو أن الرب يريد النفس الصالحة ، وسيعطيها كل ما تطلبه » • وجاء وأبلغ الأرملة بموضع الوديعة فأخذتها وأعطتها لصاحبها ، وتحررت هى وأطفالها وأعطى كل شخص التمجيد لله (Z 39) .

● أرسل أحد آبائنا تلميذه ليجلب الماء • وكانت البئر بعيدة جدا عن القلاية وقد نسى التلميذ أن يأخذ الحبل معه • وعندما وصل الى البئر تذكر أنه لم يحضر الحبل معه • فتمتم بصلاة وصاح قائلا : « أيتها البئر ! ان أبى هو الذى يقول : « املئى الاناء بالماء »» • وفى الحال ارتفع سطح الماء وملأ الأخ ابريقه وعاد الماء مرة أخرى الى حيث كان • (Z7).

● قيل عن أحد شيوخ شيهيت انه خرج للذهاب الى الحصاد • وحضر أيضا بعض الأخوة وأثناء سيرهم وصلوا الى شخص قتيل وتوقفوا أمامه • وخرج رجال آخرون فامسكوا بهم كما لو كانوا

هم الذين قتلوا الرجل . وبينما كانوا يقولون لرفاقهم ، « انتم الذين قتلتم الرجل ! » . ووصل الشيخ وعكازه في يده ، فلما رآه الاخوة أسرعوا للقائه ، وهم يبكون قائلين : « ساعدنا يا أبانا » . ثم شرحوا له الأمر ، فحرك الرجل الميت بعكازه وقال : « هل ضربك هؤلاء الأخوة ؟ » فقال : « كنا جماعة من اللصوص ، وتشاجرنا معا فقتلوني ومضوا » . فتعجب الرجال أشد العجب (Z 19) .

وفى بعض الأحيان ألهمت القداسة التي يحيا بها راهب زاهد في العالم معظم الخطاة المخالفين لتجربة أسلوب آخر للحياة ، وفى أحيان أخرى انتزع الرهبان أنفسهم اعجاب العلمانيين ، كما هو واضح من القولين التاليين :

● رأى الأنبا سرابيون امرأة عاهرة وقال : « سآتى اليك في الليل فجهزى نفسك » . وعندما اتى اليها سألها : « انتظريني لحظة ، حتى أتمم صلواتى » . فقالت : « حسنا يا أبى » . وبدأ في انشاد المزامير ابتداء من المزمور الأول حتى النهاية ، بانتظام مع السجود ثلاث مرات . اما هى فقد انتظرت ، وهى تصلى خلفه خائفة ومرتعشة ، وظل يصلى من أجلها طالبا لها الخلاص ، وسمع له الرب ، وأحنت المرأة نفسها عند قدميه ، وهى تبكى قائلة : « كن رحيما يا ابى ، وخذنى الى المكان الذى تعرف اننى ساعيش فيه بأمان لأن الرب أرسلك لى من أجل هذا الأمر » . فاخذها الى دير للراهبات وقال للأم رئيسة الدير : « خذى هذه الأخت ولا تضعى النير على كتفيها أو تصدرى الأوامر المشددة اليها ، ولكن اسمحى لها بأن تتصرف على راحتها . واتركيها للرب » . وبعد عدة أيام قالت : « انني خاطئة ، وأريد أن أتناول الطعام مرة واحدة كل يوم » . وفيما بعد قالت : « مادمت قد اقترفت العديد من الخطايا ، فاغلقى على في قلاية ، اما طعامى فاعطينى اياه من الشباك ، ومعه الشغل الذى أعمل فيه بيدى » وتم لها ما أرادت ، ففرح بها الرب ، وماتت في هذا المكان في الرب » (Z 34) .

● تضرع اثنـان من آبائنا الى الرب لكي يكشف لهما عن المستوى الذى وصـلا اليه في العبـادة • وجاءهما صوت يقول : « توجد قرية في مصر يعيش فيهـا رجل يدعى يوخارسـتوس ، وزوجته تدعى مريم • انكما لم تصلا بعد الى مستوى هذين الاثنين ». فقاما كلاهما وذهبا الى القرية حيث وجدا المنزل الذى به الرجل وزوجته • وقالا للزوجة : « أين هو زوجك ؟ » فقالت لهما : « انه راعى غنم ، وهو يرعى الغنم » • ثم أخذتهما الى داخل المنزل • وعند حلول المســاء عاد يوخارسـتوس مع الغنم ، وعندما راى الشيخين وضع أمامهما منضدة واحضر ماء ليغسل أرجلهما ، فقالا له : « لن نأكل شيئا في هذا المكان اذا لم تقل لنا أولا ماذا تكون ؟ » فقـال يوخارسـتوس ببـراءة : « انني راع للغنـم ، وهـذه زوجتي » • واستمر الشيخان في سؤاله ، ولكنه لم يرد أن يقول لهما شيئا • فقالا له : « ان الرب هو الذى أرسلنـا اليك » • فلما سمع ذلك خاف ، وقال لهما : « لقد أتت الينا هذه الخراف من عند الرب ، وان هذا هو ما تمدنا به [يقصد الصوف] ونحن نقسمه دائما الى ثلاثة أقسام ، قسم للفقراء ، وقسم للغرباء ، اما القسم الثالث فنأخذه نحن • ومنذ ارتبطت بزوجتي لم نلوث ذواتنا بل ظللنا ابكارا • وكان كل منا ينام بمفرده • وهناك زكيبة تغطينا في الليل ، وفي النهار نجعلها ملبسا لنا • وحتى اليوم لم يعرف احد شيئا عن ذلك » • وعندما استمع الشيخان الى هذا الكلام ، تعجبا وانصرفا من المكان » (Z35) .

أما الاعجاب الذى يشعر به الرهبان ازاء هؤلاء الذين يستطيعون أن يعيشوا حياة المتوحدين فيصوره لنا القولان التاليان ، وأحدهما يورد لنا قصة بسيطة ومفرحة ، تبين لنا معقولية أحد المتوحدين ، بينما يدور الآخر حول شخص نال الاعجاب وقلده الآخرون ليس فقط في مصر ، بل أيضـا في وطنه الأصـلى وهو القديس السـورى سـمعان العمودى (٣٩٠ ــ ٤٥٩) الذى قضى ٣٣ عاما على قمة عمود ، وقد أدى ما أحرزه في هذا الصدد الى ظهور سلسلة من نساك الأعمدة الذين مارسوا هذا

التوحد فى مصر وسوريا وبلاد اليونان وما بين النهرين وذلك فيما بين القرنين الخامس والعاشر :

● كان هناك شيخ يسكن بجوار نهر الاردن ويمارس حياة التوحد ، فذهب الى داخل مغارة فى وقت الحر ووجد بها اسدا • وبدأ الأسد يصر بأسنانه نحوه واخذ فى الزئير • فقال له الشيخ : « لماذا انت منزعج ؟ ان المكان هنا يتسع لى ولك • واذا لم ترغب فى الاقامة معى قم وامض ! » • ولم يدفعه الأســـد خارجا بل خرج هو (Z 18) .

● قيل عن الانبا سمعان السريانى انه قضى اكثر من ستين عاما واقفا فوق عمود دون ان يتناول شيئا من الطعام الانسانى • ولا يعرف احد كيف كان يعيش • وعندما شك الذين حوله ، ظنوا انه ربما كان شبحا • وعندما تجمع حوله اثنا عشر اسقفا وهم يصلون الى الرب لكى يعرفهم بأمره ، حدث ما يلى ، عندما كانوا يدورون حوله ويصلون تحدث اليهم القديس سمعان قائلا : « اننى انسان مثل اى انسان آخر » • ولكنهم لم يثقوا فى كلامه فعذبوا انفسهم بالمزيد من التقشف •

وراوا واحدا منهم وهو الذى كانت حياته لا تشوبها شائبة ، قد وضع نفسه بجانب سمعان على قمة العمود • وشاهد ملاكا قادما من الشرق وهو يحمل على يده طعاما هو طعام الملائكة ، وعندما أعطى بعضا منه للانبا سمعان أعطى أيضا بعضا من نفس الطعام للشخص الآخر الذى وقف الى جانبه ، فاعلن : اننى قادر الآن على البقاء بدون طعـــام البشر حتى يحين موعـد وفاتى بسبب قـوة ذلك الطعام » (*) • وعندما اقتنعوا جميعا وعرفوا أنه رجل الله ، انتقل

(*) نعلم ان الملائكة ارواح بدون اجســاد وهى لذلك لا تتناول طعاما لان الطعام غذاء للجسد وليس للروح • ولكن من الممكن ان يرسل الرب بيد الملاك طعاما لاحد اصفيائه كما كان يحدث بالنسبة للعذراء مريم اثناء اقامتها فى الهيكل (حيث اقامت اثنتى عشرة سنة ، كانت تقتات خلالهـا من يد الملائكة) (سنكســـار اليوم الثـالث من شهر كيهك • تذكار دخول العذراء للهيكل) ـ (المترجم) •

هذا الاعتقاد من خلال تصريحات الأساقفة الاثنى عشر الى كل الناس • واستمروا يصلون دائما بجانب العمود ، حتى نال الاستشهاد فى المسيح • وقد اعتاد أن يطلب من كل شخص يأتى لزيارته التسليم بضرورة التوبة والعودة الى الله من خلال الأعمال الصالحة • وعندما انقضت حياته جرت معجزات عديدة بواسطة جسده المقدس • وبالاضافة الى ذلك فان العديد من المرضى نالوا الشفاء مثلما كان يحدث أثناء حياته ، كما رجع الى الرب الكثيرون من الوثنيين والهراطقة (Z 33) .

أما القول الأخير من هذه الأقوال المختارة ، والتى أوردناها فى هذا الفصل فهو فى الحقيقة قصة دامغة عن تحويل امرأة الى حياة القداسة عن طريق وصف تخطيطى عن الفكرة القبطية الخاصة بنار جهنم :

● قال أحد الشيوخ : « كانت هناك عذراء تقدمت بها الأيام وأصبحت عجوزا وكانت متقدمة فى خوف الله • فسألتها عن طريقة خلوتها • فتنهدت وقالت : « الآن ، أيها الصديق • كنت فى طفولتى ابنة لرجل حصيف ورقيق فى أسلوب حياته ، حتى أصبح عاجزا ومعتل البدن • وقضى هذا الرجل وقتا طويلا مسالما وكان معظم القرويين لا يقدرون على مقابلته فى غالبية الأوقات نظرا لانشغاله فى حقله ، فكان يقضى معظم وقته هناك عندما كان صحيح البدن ، ولكنه عندما أصبح مريضا معظم الوقت ، اعتاد أن يحصد ثمار حقله بالتقوى • وقد قضى الجزء الأكبر من حياته مريضا فى سريره • وقد اعتاد على الصمت فى كافة الأوقات ، ولذلك كان هؤلاء الذين لا يعرفون يقولون عنه « انه اخرس » •

ومن الناحية الأخرى كانت لى أم بعيدة عن كافة هذه الأشياء ، كانت اكثر نشاطا من كافة اهلها وسكان قريتها • وكانت كلماتها تدور بين كل الناس ، وتضايق كل الناس حتى قالوا عنها أن جسمها كله قد تحول الى لسان ، لأنها فى خصومة مع كل الناس

فى كل وقت • وأضاعت نفسها فى شرب الخمر مع الرجال الأمين الذين كانت تشرب معهم • وكانت تدير شئون البيت كعاهرة بخبث شديد • وبرغم انتشـــار الشر هنـــاك ، الا أنه لم يكن كافيـا بالنسبة لنا • لقد كان أبى فى حاجة اليها لتخدمه فى مرضه • ولذلك تعودت أن تلوث جسدها ، ولذلك هرب عدد قليل من رجال هذه القرية منها ومن مضاجعتها ، ولم يصب المرض جسدها فكان جسدها سليما حتى يوم وفاتها •

« وحدث انه عندما كان أبى مريضا ، ترك مهملا حتى مات • وسرعان ما تلبد الجو سريعا ـ مطر وبرق ورعد ـ لقد تلبد الهواء كله ، ولم يعد هناك ليل أو نهار ولم يتوقف المطر عن الهطول لمدة ثلاثة أيام • وبقى أبى فى سريره ثلاثة أيام دون أن يدفنه أحد ، وهز أهل القرية رؤوسهم ، ومن العجيب أن هؤلاء جميعا قد نسوه بسبب الاضطراب العظيم ، وهم يقولون : « كان هذا الرجل عدوا لله ولذلك فان الأرض لم تتقبله لكى يدفن فيها ، ولكن جسده لن يتحلل فى الداخل ، ولن يسمح لنا بدخول المنزل لأن الجو مكفهر ، والمطر ينهمر فوقنا ••• » •

ومن ناحية اخرى فان أمى اظهرت شجاعة عظيمة ، فانغمست اكثر وأكثر فى الزنى الذى لم يكن فيه اى حلاوة ، وعاشت بهذه الطريقة فى النجاسة والشهوة • أما أنا فقد كنت لا أزال صغيرة وتركت هذه الأشياء كلها خلفى ••• وانغمست مثلها فى مظاهر النضج منذ مرحلة الشباب • وتحركت فى داخلى الرغبات الشبابية • وفى احدى الليالى تحرك قلبى فى داخلى وفكرت فى نفسى : « ما هى هذه الحياة التى ساختارها لنفسى لكى احياها ؟ لقد عاش والدى بالحقيقة معتدلا ووقورا وكان قويا فى الخير » • ولكننى فكرت مرة اخرى فى هذا الأمر • « لم يكن هناك خير فى حياة والدى لأنه قضى كل وقته فى المرض والخطر حتى انكسر ومات مبتليا بعلله ، وحتى

الأرض لم ترغب في احتضان جسده ، ولو كان أسلوب حياته مقبولا أمام الله فلماذا جابه كل هذه المعاناة ؟ » •

ولكنني قلت : « هل اسلوب حياة أمي صحيح ، هل أسلم نفسي للزنا والفساد وادنس جسدى ؟ ان أمي في افعالها لم تترك شيئا من الشر وراءهـا ، وقد كانت نشيطة دائما ، وخالية من المرض ، كما انطلقت من هذا العالم وهي سعيدة ، والآن ولهذه الأسباب ، سأسلك مثلما سلكت امي • وأنا هذه البائسة ، تركت نفسي لأعيش حياة الشر بهذا الأسلوب • وعند حلول الليـل ، غلبني النوم وكان ثقيلا • وفي الحال وقف شخص عند راسي ، وكان ضخم الجثة ، ومخيفَ الهيئة ، وحانق الطلعة ، فسألني بصوت غليظ : « أخبريني ، ما هي الأفكار التي في قلبـك ؟ » اما أنا فانني لم اجد في نفسي الشجاعة للتطلع اليه بسبب الخوف من محياه وهيئته • فصرخ بصوت عظيم ليأمرني بذكر الأهداف والخطط التي في قلبي • فأجبت وأنا خائفة ، وبالرغم من أنني أعرف جميع افكارى الا أنني قلت : « أنا لا أعرف شيئا » • ولكنه جعلني اتذكر بالرغم من انكارى ، وذكر لي كل ما كان يدور في قلبي •

« فاستدرت اليه متوســلة وأنا ارجوه أن يجعلني مستحقة للغفران ، فقال لي بدافع السماح الذى توقعته : « هل رأيت الاثنين ؟ أباك وأمك ؟ وهل هذه هي الحياة التي ترغبينها ؟ اختارى لنفسك الآن ! » وأمسكني بيدى ، ومضى بي الى حقل واسع كان به العديد من الحدائق الغناء والأشجار من كل نوع وجماله يفوق الوصف • واخذني الى داخل هذا المكان المقدس ، وقابلت ابى ، فاحتضنني وقبلني وهو يقول : « يا ابنتي التزمي بالطرق الصـــالحة » • فاحتضنته ، راجية منه أن يبقيني معه ، فقال : « لا أستطيع أن افعل ذلك الآن ، ولكنك اذا اتبعت خطواتي في حياتك فانك ستأتين الى هذا المكان بدون تأخير » •

ولما صممت على البقاء معه ، امسكنى الشخص الذى احضرنى بشدة وقال : « تعالى لتنظرى أمك ايضا ، وهى تحترق فى النار ، حتى تدركى ماهية الحياة الصالحة والمربحة وحينذاك ستختارينها لنفسك » • فوضعنى فوق بيت تخيم عليه الكآبة ويحوطه الظلام • ويمتلىء بصرير الأسنان والحزن ، واراني مرجلا متاججا تنطلق منه السنة اللهب وهو يغلى وتثور منه الفقاعات • وكان يقف فوقه أشخاص يرتعدون خوفا • ونظرت الى اسفل فرأيت امى فى المرجل حتى كتفيها ، وكانت اسنانها تصطك وتصر فوق بعضها بشدة ، وكانت النار تحرقها والدود ياكل جسدها • « ولما رأتنى صرخت وهى تنتحب وتطلق العويل نحوى قائلة : « يا ابنتى ، الويل لى بسبب أعمالى ، الويل لى بسبب أعمالى • لقد نسيت الوقار ، وعشت حياة الزنا والخيانة ، ولم أصدق اننى سانال العقاب • ولم أحسب ان السكر والفساد سيؤديان الى التنكيل بى ، انظرى ، لقد نلت هذه العقوبات لقاء القليل من المسرات ، وها انذا اتعذب لقاء الرفاهية القليلة التى عشت فيها ، فقد تحولت الى حكم من هذا النوع • انظرى ، ففى مقابل الازدراء الذى اظهرته نحو الله ، كم من العذابات والمعاناة ادفعها ، انظرى هذه الشرور المستمرة التى تنصب فوق رأسى • والآن فقد حان الوقت لكى تساعدينى يا ابنتى • تذكرى الثديين اللذين ارضعتك بهما ، والآن قدمى لى بعض الانعطاف الصالح اذا كنت قد عملت معك عملا واحدا صالحا فى يوم من الأيام • اشفقى على ، أنا أمك التى تحترق فى النار • لقد دمرتنى ، اشفقى على أنا التى اتعذب بهذه العذابات وبهذه الطريقة • اشفقى على يا ابنتى ، مدى الى يدك ، اخرجينى من هذا المكان » • ولكننى تجاهلت ذلك بسبب هؤلاء الذين كانوا يقفون حول المكان ، ولكنها نادتنى مرة اخرى وهى تبكى قائلة : « ساعدينى يا ابنتى ولا تتجاهلى دموع امك • تذكرى آلامى ولا تنسينى حتى لا افنى تماما فى نيران جهنم » •

« أما انا فقد تضايقت في قلبي بسبب دموعها وصوتهـــا وشعرت بالعطف الانساني نحوها • فشهقت بصوت عال واستيقظ الذين كانــوا في المنزل • فاضــــاءوا النــور متسائلين عن هذه الشهقات • وحكيت لهم ما كشفت لى عنه محبة الله الصامتة نحو الانسان • واقتنعت بأن أظل متفكرة فكرا واحدا ولذلك اخترت لنفسي أن أعيش حسب الأسلوب الذى عاش به أبى ، وذلك بسبب طريقة العقاب التى أعدت لهؤلاء الذين اختاروا حياة الشر » •

« وقد حكت تلك العذراء القديسة جميع هذه الأمور بسبب الأشياء التى شاهدتها فى الرؤيا وهى تعمل الخير الكثير قائلة : « ان الأعمال الشريرة والأفعال غير النقية تقود الى عقاب صـــارم ولذلك دعونا فى مجالسنا ، نختار لأنفسنا أن يختارنا الله ، وبذلك نجد السبيل لنوال البركة » (*) (Z 38) .

(*) اقوال الاباء التى أوردها جورج زويجا فى كتابه « اقوال الاباء الاقباط » ونقلت عنه المؤلفة الاقتباسات التى أوردتها فى هذا الفصل تمثل مجموعة من مجموعات كثيرة وردت فى اللغــة القبطية أولا ثم نقلت عنها لغات أخرى منهــا اليونانيــة والسريانية واللاتينية ومنها الى الانجليزية والفرنسية والالمانية •• الخ • وتوجـد حاليا نسخة من هذه الاقوال باللغة العربيــة فى كتاب : « بســتان الرهبان » الذى طبع عن أصول عديدة منها القبطية والعربيــة • وهو متاح في المكتبــات المسيحية — (المترجم) •

٧ ـ الأديرة العـامرة

ازدهرت الديرية فى مصر فى القرون التى تلت عصر القديسين انطونيوس وباخوميوس ، وبنيت مئات عديدة من الأديرة القبطية للرهبان وأديرة الراهبات فى كافة أرجاء مصر • وحتى بعد الفتح العربى عندما تحولت غالبية المصريين الى الاسـلام مع ما ترتب على ذلك من انعدام المرشحين للحياة الرهبانية ، وحتى العصور الوسطى فقد كانت الأديرة الجديدة تقـام أحيانا كما كان يعـاد تعمير وتجديد الأديرة القديمة • واليوم ، فقد اختفت معظم هذه الأديرة ولا تعرف الا فقط من خلال القوائم التى جمعها المؤرخ العربى المقريزى فى القرن الخامس عشر • وقد بنيت العديد من هـذه الأديرة بمواد قابلة للتلف ، وبمجرد أن يهجرها رهبانها كانت تختفى على وجه السرعة ، وبشكل كامل ، حتى أصبح من الصعب اليوم تحديد مواقعها بالضبط • وهناك أديرة أخرى مثل الدير الأبيض والدير الأحمر القريب منه ، مازالت تدعى بأسمائها لأن حوائطها الخارجية مصنوعة من الطوب الأحمر وهى مازالت قائمة كمبان ، ولكنها لم تعد مستخدمة ، مع أن أجزاء من بعضـها مثل الدير الأبيض مازال يقيم بها بعض القسوس أو الحراس مع عائلاتهم • أما خرائب دير القديس سمعان (أسوان) الذى بنى فى القرن السابع ، وخرب فى سنة ١١٧٣ على يد القوات التى أرسلها صلاح الدين الأيوبى الى النوبة فمازالت بحالة جيدة ، ومازال أقباط أسوان يستخدمون كنيسة القديس سمعان

لاقامة القداسات بين الحين والآخر ٠ وقد جرت العادة منذ وقت طويل على اعادة بناء كنائس الأديرة المهجورة وذلك لخدمة السكان المحليين (*) ٠

واليوم فان أديرة الراهبـــات الثلاثة الرئيسية موجودة بالقاهرة وأكبرها هو دير القديس مرقوريوس الذى يقطن به حوالى ٤٥ راهبة ، وأقدمها دير مارجرجس الذى يعود جزء منه الى القرن العاشر ، وقد ذكر المقريزى هذا الدير ، وتقيم به الآن ٣٠ راهبة ٠ أما دير القديسة العذراء مريم الذى أسسه البابا كيرلس الرابع (١٨٥٤ ـ ١٨٦١) فهو ملحق بكنيسة القديسة العذراء مريم بحارة زويلة وتقيم به حوالى ٤٠ راهبة (**) ٠

ولا يوجد سوى تسعة أديرة فقط عامرة بالرهبان اليوم ٠ يوجد فى مصر العليا دير القديس الأنبا أنطونيوس ودير القديس الأنبا بولا ويقيم بكل منهما حوالى ٤٠ راهبا والدير المحرق وبه ٧٠ راهبا ٠ أما فى وادى النطرون فتوجد أديرة البرأموس والقديس مكاريوس والأنبا بيشوى والسريان ويقيم بها حوالى ١٥٠ راهبا ٠ أما فى مصر الوسطى فيوجد

(*) أعيد تعمير الكثير من الاديرة المهجورة ومن بينها دير الأنبا شنودة بالجبل الغربى بسوهاج وهو المعروف باسم الدير الابيض وقد اشرف على تعميره الأنبـا يوأنس الأسقف العـام وسـكرتير قداسة البابا ٠ وقد نقلت الاذاعة المصرية على موجتى اذاعة فلسطين والبرنامج الاوربى قداس الاحد صباح ٩٩/٧/١١ من هذا الدير ٠

وفى عيد العنصرة يوم ٩٩/٥/٣٠ قرر المجمع المقدس الاعتراف ببعض الاديرة ضمن الاديرة المصرية الرسمية ومن ضمنها دير الانبـا غبريال التـابع لايبرشية الفيوم وكلها اديرة أعيد تجديدها وتعميرها ٠

(**) الاديرة الرسمية الخاصة بالراهبـات حاليا ليست ثلاثة ولكنها خمسة كما يلى :

١ ـ دير القديس مرقوريوس أبى سيفين وهو بمصر القديمة ٠
٢ ـ دير مار جرجس بمصر القديمة ايضا ٠
٣ ـ دير مار جرجس بحارة زويلة ٠
٤ ـ دير القديسة العذراء مريم بحارة زويلة ٠
٥ ـ دير الأمير تادرس الشطبى بحارة الروم ٠

وهذه الأديرة عامرة حاليـا باعداد كبيرة من الراهبـات ـ (المترجم) ٠

دير الأنبا صموئيل وبه عشرة رهبان ، ويوجد دير القديس مينا بالقرب من الاسكندرية وبه حوالى ٢٠ راهبـا • وسنقدم فى هذا الفصل تاريخا موجزا لهذه الأديرة وقد أعددناه لاســتخدام الزائرين الذين يزورون الأديرة العامرة ، ويريدون معرفة تاريخها (*) •

دير الأنبا أنطونيوس

من المتفق عليه وعلى نطاق واسع أن الدير الذى يحمل اسم الأنبا أنطونيوس هو أول دير بنى للمرة الأولى خـلال عصر جوليـان المرتد (٣٦١ ـ ٣٦٣) أى خلال الفترة من خمس الى سبع سنوات بعد نياحة القديس أنطونيوس • وكان المبنى الأصلى الشديد البدائية ، مكونا من مكان للعبادة ومساحة لتناول الطعام وربما مساحة أخرى للطبخ • ويتميز النظام الأنطونى بأن العديد من الرهبان المقيمين بالدير يفضلون الاقامة فى مغارات متقاربة ويعتقد أنه قد تمت توسعته فى القرن الخامس ، وأصبح مكانا للايـواء ، على الأقل ، بالنســبة للرهبـــان الذين فروا من وادى النطرون أثناء مهاجمة البربر لهذه المنطقة • وطبقا لما ورد فى السنكسار الأثيوبى ، فقد كان القديس يوحنا القصير واحدا من هؤلاء الرهبان •

● عندما جاء البرابرة الى صحراء الاسقيط لنهب مساكن الرهبان ، وذبح الرهبان ، ذهب هذا القديس الأنبا يوحنا الى دير القديس الأنبا انطونيوس فى صحراء القلزم عند البحر الاحمر ، ليس خوفا من الموت ولكن كما قال : « ساذهب حتى لا يأتى شخص وثنى ويقتلنى ويذهب الى الجحيم بسببى • اننى لا اريد ان أكون فى منازل الراحة بينما هذا الوثنى يلقى العقاب بسببى » •

وظل القديس يوحنا القصـــير مقيما بدير الأنبا أنطونيوس حتى نياحته •

(*) الاديرة التسعة التى ذكرتها المؤلفـة وستورد تاريخ كل منها فيما بعد ، اضيف اليها الآن عدد آخر من الاديرة التى أعيد تعميرها وعلى رأسها دير القديس سمعان (هدرا) باسوان • وغيرها من الاديرة التى اشرنا اليها فى الملحوظة السابقـة وهى جميعها عامرة بالرهبان ـ (المترجم) •

وفي سنة ٦١٥ ورد أن البطريرك الملكاني يوحنا المونر (٦٠٩ ـ ٦٢٠) أرسل مبلغا كبيرا من المال الى أنستاسيوس رئيس دير الأنبا أنطونيوس ليفدى الأسرى الذين أخذهم الفرس • وقد جرت مناقشة استبعاد أن يكون يوحنا المونر قد أرسل نقودا الى دير يتبع مذهب الطبيعة الواحدة مما يرجع أن يكون دير الأنبا أنطونيوس قد احتله الملكانيون معظم فترات القرنين السابع والثامن • وحوالى سنة ٧٩٠ تنكر بعض الرهبان الأقباط في شكل بدو ، وسمح لهم بدخول الدير وكان الغرض من دخولهم هو سرقة رفات القديس يوحنا القصير ، وتم لهم ذلك وأعادوه الى وادى النطرون •

ولسنا متأكدين مما اذا كان دير الأنبا أنطونيوس قد عانى من نفس مصير أديرة وادى النطرون أثناء الغارات التى حدثت خلال القرنين الثامن والتاسع أم لا • ولكنه هوجم فى القرن الحادى عشر ، أثناء ثورة الأتراك والأكراد التى قادها نصر الدولة عندما قام جزء من هذا الجيش بغزو مصر العليا ، وعلى كل حال ، فقد أعيد تعمير الدير بعد ذلك بحوالى مائة عام •

وقد أظهرت الحفريات ، التى أشرف عليها مسيو جان دوزيس فى الخمسينيات من القرن العشرين ، أن الدير بصورته الراهنة هو نفس الدير الذي كان قائما فى القرن الحادى عشر • أما أقدم وصف لهذا الدير فقد قدمه لنا الرحالة الأرمنى أبو صالح الذى كتب عن بداية القرن الثالث عشر ما يلى :

« يمتلك هذا الدير العديد من الأوقاف والممتلكات فى مصر ، ويحوطه سور منيع ، ويقيم به رهبان كثيرون • ويوجد فى داخل السور حديقة تحتوى على أشجار تفاح ونخيل وكمثرى ورمان وكلها مثمرة بالاضافة الى أشجار أخرى • وذلك الى جانب أحواض الخضراوات وثلاث عيون تفيض بالماء على الدوام ، ومنها تروى الحديقة ويشرب الرهبان • ويوجد فى الدير مساحة فدان وسدس فدان

ضمن الحديقة مخصصة لزراعة الكروم وهي تمد الدير باحتياجاته الضرورية • وقد قيل ان الحديقة بها حوالى ألف نخلة ، وبها قصر ضخم جيد البناء • وللدير ممتلكات أخرى فى أطفيح ، وليس لهذا الدير شبيه بين الأديرة الأخرى التي يقيم بها الرهبان المصريون •

وتعتبر الفترة ما بين القرنين الثالث عشر حتى الخامس عشر هى فترة ازدهار دير الأنبا أنطونيوس ، حيث شهدت ازدهارا فى كافة نواحى الحياة ، خاصة نواحي الفنون والآداب • ففى خلال هذه الفترة قام أبناء غالب (١٢٣٢ ــ ١٢٣٣) بتغطية حوائط كنيسة الدير بالرسـومات الجدارية • وتم توسيع المكتبة ، وبذلك زاد الانتاج الأدبي للدير • ويمتلك دير القديس أنطونيوس مجموعة كبيرة من المخطوطات الموجودة بالمكتبة • ويمكن تقدير حجمها بناء على القائمة الطويلة التى دونت وأرسلت الى خارج الدير فيما بين عامى ١٢٣١ ، ١٣٠٦ ، وهى محفوظة الآن بالقاهرة • وقد تولت عائلة ابن العسال فى القرن الثالث عشر عملية احياء الدراسات القبطية والعربية تلك التى اعتمدوا فيها على الأعمال الموجودة بمكتبة دير الأنبا أنطونيوس • ونحن نعجب لضخامة أعمال الترجمة والبحوث التى جرت فى الدير خلال تلك الفترة • وفى القرن الرابع عشر ، حدثت واحدة من أبرز انجازات هذه الحركة الدراسية وهى ترجمة نصـوص كثيرة منها كتاب السنكسار الى اللغة الحبشية نقلا عن أصـول قبطية وعربية • وذلك بمعرفة راهب يدعى سمعان •

وفى القرن الخامس عشر حقق اثنان من رهبان الدير شهرة فى العالم الخارجي وهما يوحنا الرئيس الأكبر لدير الأنبا أنطونيوس الشهير حيث اختير لتمثيل الكنيسـة القبطية فى مجمع فلورنسـا (١٤٣٨ ــ ١٤٤٥) ، حيث أعلن دستورا للايمان يوحد الكنيسة القبطية مع الكنائس الأخرى (اللاتين واليونان الأرثوذكس) وقع عليه يوحنا باسمه ، وبذلك توحدت المسيحية لفترة قصيرة • وبعد ذلك بعدة سنوات قدم دير الأنبا انطونيوس أول راهب منه ، ليصبح البابا الحادى والتسعين وهو البابا غبريال السادس (١٤٦٦ ــ ١٤٧٤) •

وقد وصل العصر الذهبى لدير الأنبا أنطونيوس الى نهاية فجائية عند نهاية القرن الخامس عشر (اما سنة ١٤٨٤ أو سنة ١٤٩٣) ـ وهذا التاريخ غير مؤكد ـ عندما هاجم البدو ، الذين كانوا يعيشون فى الدير كخدم للرهبان ، سادتهم في احدى الليالى فقتلوهم جميعا وخربوا الدير بعنف • وجعلوا مطبخهم فى داخل الكنيسـة واستخدموا المخطوطات الثمينة التي أخذوها من المكتبة كوقود لطبـخ طعـامهم ومازال دخانها موجودا على حوائط الكنيسة • وأعيد تعمير دير الأنبا أنطونيوس في عصر البابا غبريال السابع (١٥٢٥ ـ ١٥٦٨) الذى أرسل اليه ٢٠ من بين ٦٣ راهبـا كانوا يعيشـون في ديره الخاص به وهو دير البرياى في اعادة بناء دير الأنبا انطونيوس • ومنذ ذلك الوقت فصاعدا أصبح دير الأنبا أنطونيوس مقرا دائما للرهبـان ويعيش به الآن حوالي ٤٠ راهبا ، بالرغم من ضخامة مساحته التى تسمح بسكنى مئات الرهبان •

ومنذ القرن الرابع عشر ، زار عدد كبير من الرحالة الأوروبيين أديرة مصر ، وقد دون العديد منهم انطباعاتهم • منهم على سبيل المثال ليودولف كاهن ايبارشية سوكيم فى ألمانيا عند بداية القرن الرابـع عشر وقد كتب عن دير الأنبا أنطونيوس ما يلى :

« وفي هذه الصحراء يوجد مكان اسفل صخرة فائقة الطول ومحدودة العرض ، اعتاد الأنبا أنطونيوس ان يسكنها • ويخرج من الصخرة مجرى من الماء يفيض الى مسافة تقرب من نصف رمية حجر حتى يضيع فى الرمال » •

وفي سنة ١٣٩٥ كتب أوجييه الثامن أمير مقاطعة أنجلور قائلا :

« كان دير الأنبا أنطونيوس اجمل من دير القديسة كاترين • ويعيش فيه مائة راهب » •

وفى سنة ١٤٢١ كتب جيلبرت دى لانوى الذى أرسله ملك انجلترا هنرى الخامس الى مصر وسوريا لعمل مسح لهما بهدف شن حملة صليبية

أنه كان يوجد ٥٠ راهبا بدير الأنبا أنطونيوس وجميعهم من الأقباط أهل الختان ، كما أشـــار الى حديقة النخيل الجميلة الموجودة بالدير وأشجار الفاكهة المتعددة أيضا . والى الحصن الشبيه بالعمارة الذى بنى على عين الماء التى تخرج من الصخرة .

وفيما بين عامى ١٤١٩ ، ١٤٤١ كتب المقريزى ما يلى :

« تجرى زراعة كافة انواع الفاكهة بالدير ، وبالاضافة الى ذلك فهناك ثلاث عيون من الماء الجارى . وقد انشـــاه القديس انطونيوس ويعيش رهبانه صائمين طوال حياتهم ويستمر صومهم يوميا حتى المساء عندما يتناولون الطعام فيما عدا الصوم الكبير وأسبوع الآلام حيث يستمر صومهم حتى ظهور النجوم » .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر زار دير الأنبا أنطونيوس العديد من الرحالة بما فيهم الاخوة الفرنسيسكان ، وبرنادوس وكاسيان ، وأجاثانجيلوس وكان هدفهم هو التوفيق ما بين الأقباط وكنيسة روما . وهناك راهب آخر من الفرنسيسكان هو الأب جيرارد وصف دير الأنبا أنطونيوس كما يلى :

« ويدخل المرء الى الدير عن طريق رافعة يدوية نظرا لارتفاع الأبـواب بسبب الخـوف من اللصـــــوص الجـوالين . والدير ضخم ولكنه قديم ومتهدم الى حد ما . وموقعه جميل ويحيط به الجبل . وهناك وفرة فى المياه ، والعديد من أشجار النخيل وأشجار الزيتون وغيرها من الفواكه » .

وحسب ما أورده الأب جيرارد فان الرهبان الذين استقبلوه استقبالا حارا كانوا يرتدون ملابس مرتقة ورخيصة و

« ظهروا مثل الشحاذين ... وكانوا يأكلون الخضراوات ، والأرز ، ويشربون الماء ، وكانوا يتناولون الطعام مرة واحدة فى اليوم . أما فى أيام الصـوم فكانوا يتناولون الطعام بعد غروب

الشمس . ويستطيع المرء أن يشاهد شواطىء البحر الأحمر من الدير ، وكذلك أيضا المكان الذى عاش فيه القديس الأنبا بولا أول السـيـاح » .

وفى سنة ١٦٣٩ قدم الى دير الأنبا أنطونيوس ٤٠ سكود ستويا نظير اقامة اثنين أو ثلاثة من الفرنسيسكان لدراســة اللغة العربية . وكان الأب جيرارد واحدا من أوائل الدارسين .

وفيما بين عامى ١٦٦٧ ، ١٦٧٥ جمع مونســو وليزنى الكثير من المخطوطات الثمينة من الأديرة القبطية برغـم أنهم ذكروا بمرارة أنه على المرء ألا يتوقع الحصول على أية مخطوطات من دير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا مكاريوس لأن المخطوطات التى كانت موجودة بهذين الديرين « أخذها البنادقة والانجليز والفلمنكيون الذين اهتموا بالحصول عليها قبلنـا » .

وفى سنة ١٦٧٢ ، أرسل دوق ساكسونيا القوطى ، جوهان وانسلبن ابن قس من أتباع مارتن لوثر فى ارسالية الى أثيوبيا ، قام خلالها بزيارة دير الأنبا أنطونيوس . وقد وصفه بأنه محاط بسور قديم مبنى بالطوب اللبن فى حالة متداعية ولا يمكن أن يكون وسيلة للحماية . ولم يكن به باب . ويتم جذب الأفراد والحيوانات الى داخل الدير بواسطة طنبور (بكرة) . ويحيط السور بمنطقة ضخمة مربعة الشكل مساحتها ٦٠٠ فدان تقع على الجانب الشـــمالى لجبل القلزم . وكانت القـلالى بالدير صــغيرة ومتواضــعة البنـاء وســـقوفها شـديدة الانخفاض بحيث لا يستطيع المرء أن يقف منتصبا تحتها . أما المطعمة فقد كانت شديدة القذارة ومظلمة . وعلى أية حال ، فقد كان بيت الضيافة مكونا من حجرتين كبيرتين . وذكر وانسلبن أيضا وفرة المياه فى الدير وذكر حقيقة أنها برغم صفائها وبرودتها الا أنها كانت شديدة الملوحة :

« وهم يشربونها . انها غير صحية تماما على الأقل بالنسبة لهؤلاء الذين لم يتعودوا عليها ، لأن أملاح النترات التى تمتزج بها

تسبب الإنتفاخ تحت الجلد ، وتسبب الألم كما أنها تسبب الحكة والهرش لمن يشرب منها ، وهو ما اكتشفته بالتجربة » .

ولاحظ وانسلبن أن الدير به ثلاث كنائس ، أقدمها وأهمها كنيسة القديس أنطونيوس والتي ذكر الرهبان أن الذى بناها هو القديس أنطونيوس نفسه وذكر أنها مزخرفة برسومات قديمة وبسيطة . والكنيسة الثانية هي كنيسة القديسين بطرس وبولس وهي قريبة منها وبها برج صغير وجرس يدوى صغير . أما الكنيسة الثالثة فهي في داخل الحديقة ومكرسة على اسم أحد أفراد الدير ويدعى مرقس . وكانت المكتبة داخل الحصن وتحتوى على ثلاثة أو أربعة صناديق مملوءة بالمخطوطات العربية والقبطية القديمة بالاضافة الى كتب العبادات والكتب الكنسية . وكانت معظم المخطوطات في رأى وانسلبن « عظيمة » وقد ركز بوجه خاص على كتاب في قواعد اللغة القبطية ، وقاموس قبطي / عربي ، وأحد كتب ابن العسال .

وحسب ما أورده وانسلبن نجد أن رهبان دير الأنبا أنطونيوس قد عاشوا حياة بسيطة ولم يقوموا بأية دراسات مكتفين بقراءة كتب العبادات مثل كتاب السنكسار ، وقد تخلوا عن الزواج ، وكافة الرغبات الجسدية ، والتعلق بوالديهم . ولم يتملكوا شيئا ، وامتنعوا عن الخمر واللحم الا عندما يكونون خارج الدير . وكان الرهبان ينامون على الأرض فيما عدا الشيوخ والمرضى . وقبل النوم في الليل يؤدون ١٥٠ ميطانية (*) . ويتناول الرهبان وجبة واحدة في اليوم ، فيما عدا يومى السبت والأحد فيتناولون وجبتين . ومما يثير الاهتمام أن نورد أن أسلوب حياة الرهبان كما وصفه وانسلبن يتشابه كثيرا مع الأسلوب الذى التزم به أتباع القديس باخوميوس في حياتهم . ويشير وانسلبن الى أن رهبان دير الأنبا أنطونيوس نادرا ما يتناولون الأسماك ليس تنفيذا

(*) الميطانية انحناءة كبيرة الى أسفل مع رشم الذات بالصليب دليل الخضوع للرب – (المترجم) .

لتعليمات رهبانية بل بسبب صعوبة الحصول على تموين من الأسماك ، لأن الدير يقع بعيدا عن نهر النيل وهو أحد مصادر الأسماك • وبرغم قرب مصدر آخر ـ البحر الأحمر ـ فان الطريق الى هذا البحر محفوفة بالمخاطر • وبالاضافة الى ذلك ، فان الرهبان لم تكن لديهم المعدات التى تصلح للصيد البحرى •

وهناك أحد زوار دير الأنبا أنطونيوس فى القرن السابع عشر وهو الأب ناشي الذى أصبح فيما بعد رئيسا عاما للبعثات التبشيرية فى بلدان شرق البحر الأبيض المتوسط ، وقد ذهب الى الدير فى سنة ١٦٩٨ • ورأى غرفة مملوءة بالمخطوطات ولكنه ذكر أنه لم يقدر على استخدامها لأنهـــا كانت مكتوبة بالحروف المصرية والقبطية التى فقدت معانيهـــا اللغوية (*) •

وفى سنة ١٧١٦ زار الأب كلود سيكارد و ج٠س • أسيمانى دير الأنبا أنطونيوس وقد تحدث سيكارد عن كنيستين طول كل منهما يتراوح ما بين ٢٠ الى ٣٠ قدما • احداهما مكرسة على اسم القديس أنطونيوس والأخرى على اسم القديسين بطرس وبولس ويربط بينهما ممر صغير • ثم كنيسة ثالثة صغيرة فى وسط الحديقة مكرســة على اسم القديس مرقس وهو ناسك وتلميذ للأنبا أنطونيوس • أما الحديقة نفسها فقد وصفها بأنهـا ضخمة وبهـا البلح ، والزيتون ، والعدس ، والمشمش بالاضافة الى فواكه وخضراوات أخرى • وأيضا اثنان من الكروم • وظن سيكارد أن الدير كان يبدو مثل مدينة صغيرة ، وبه ٣٠ قلاية منفصلة عن بعضها البعض ومنظمة على شكل شوارع صغيرة • وقد احتوى الدير أثناء زيارته ١٥ راهبا وكان الرئيس الأعلى لدير الأنبا أنطونيوس هو نفسه الرئيس الأعلى لدير الأنبا بولا • وتفقد أسـيمانى المكتبة التى لاحظ بها

(*) تعتمد مصادر هذا الكتاب مثله مثل غيره من الكتب التى تتنـاول حضارتنا فى عصورها المختلفة على المخطوطات التى كان يحصل عليها الرحالة الأوروبيـون بطرق مختلفة منها الشراء بأسعار زهيدة أو السرقة أثناء الزيارة أو للاهداء عن طريق من لا يعرف قيمتها ثم تهريبها الى أوروبا ـ (المترجم) •

ثلاثة صناديق من الكتب أهدى اليه منها مجلدات كثيرة لينقلها الى مكتبه الفاتيكان • وبرغم أن الرحالة الانجليزى الكبير رينشـــارد بوكـوك لم يزر دير الأنبا أنطونيوس بنفسه الا انه أورد ما سمعه عنه من أحد الرهبان الذى كان قد قابله فى الفيوم سنة ١٧٣٧ وكتب عن ذلك ما يلى : ـ

« يراس البابا دير الأنبا أنطونيوس [كان فى ذلك الوقت هو البابا يوحنا السابع عشر ـ ١٧٢٧ ـ ١٧٤٥] ••• وكان له نائب يقيم هناك • وكان هناك ثلاثة أشخاص آخرون يشاركون فى ادارة الدير ، بالاضـــافة الى اربعة آخرين من الكهنة و ٢٣ راهبا [المجموع الكلى ٣٢] ••• ولديهم ثلاث عيون من الماء تجرى فى الدير وهى مالحة قليلا • ومن المحتمل أن تحتوى هذه الأديرة على الأجراس الوحيدة فى مصر » •

وفى القرن الثامن عشر أعيد تجديد دير الأنبا أنطونيوس • ففى سنة ١٧٣٣ جددت كنيسة الرسل • وفى سنة ١٧٦٦ أعيد بناء كنيسة القديس مرقس • وفى سنة ١٧٨٣ أعيد تجديد حوائط الدير •

وفى القرنين التاليين أتى رحالة آخرون الى دير الأنبا أنطونيوس من بينهم سير جاردنر ويلكنسون النساخ وهو أشهر الكتاب الانجليز الذين كتبوا عن مصر القديمة فى القرن التاسع عشر • وقد حاول فى سـنة ١٨٤٣ أن يرى القاموس الذى وضعه وانسلبن عن العربية/القبطية ولكنه فشل ، وكان قد قيل أن ابن العسال هو واضع ذلك القاموس • وفى سنة ١٩٠٦ زار جورج كوجوردان السفير الفرنسى فى مصر الدير وفى ذلك الوقت ذكر أنه كان يقيم به ٤١ راهبا • ولم يشاهد المكتبة ولكن قيل له أنها دمرت على يد البدو ـ ولابد أن الرهبان قد علموا على ما يبدو ومن التجـربة أن يتوخوا الحذر ازاء أطمـاع ضيوفهـم من الأوروبيين • وقد استقبل الدير فى سنة ١٩٠٤ ، ما يمكن أن يقال عنه أول زيارة من النساء حيث وصلت الى الدير أجنس لويس وأختها مارجريت جيبسون وقد حصلتا على الاذن بالزيارة من الرئيس الأعلى الذى كان حينذاك مقيما فى

ملحق الدير بقرية بوش ، ونظرا لوضعهما كسيدتين فان الرهبان لم يجتذبوهما الى أعلى بالطريقة المعتادة ، أى طريقة الحبل أو البكرة ولكنهم بدلا من ذلك سمحوا لهما بالدخول من باب صغير لا يفتح الا مرة واحدة في العام أو عندما يحضر البابا لزيارة الدير • وقد كتبت أجنس لويس عن مشاعرها عندما عبرت العتبة قائلة : خامرنا الاحساس بأننا قد كسرنا تقليدا مر عليه ١٦٠٠ عام • وقد سمح للسيدتين بزيارة الحديقة والكنائس والمكتبة ثم تسلقتا جبل القلزم لزيارة مغارة القديس أنطونيوس : « يتلوى الشخص بصعوبة كالدودة في دخوله الى غرفة دائرية مشغولة تقريبا بمذبح من الصخر والطوب ، وقد وضع الدليل فوقه شمعة والى الجانب الأيمن منه توجد ثغرة كان ينام فيها القديس » •

وفي سنة ١٩٢٨ ، زار جوهان جورج دوق سكسونيا الدير وقيل له أنه برغم اقامة ١٨ راهبا فقط بالدير الا أن هناك ٨٠ راهبا آخرين في الملحق في بوش •

وقد اضطر كافة زوار الدير قبل حلول القرن العشرين ، وكذلك الرهبان وبالطبع القديس أنطونيوس نفسه لركوب الجمل في رحلة تستغرق ما بين ثلاثة الى أربعة أيام من الكريمات بالقرب من بني سويف عبر الصحراء الشرقية • واليوم فان السيارات تستطيع أن تقطع المسافة وقدرها ٣٣٤ كيلو مترا من القاهرة الى دير الأنبا أنطونيوس على طريق السويس/رأس غارب وهي رحلة لا تستغرق أكثر من خمس أو ست ساعات ، وبذلك لم يعد الدير منعزلا عن العالم الخارجي ، مادام الزائر قادرا على الحصول على مثل تلك التصاريح الرسمية حسب الضرورة ، ومعها خطاب توصية من مكتب البابا بالقاهرة •

ويقع دير الأنبا أنطونيوس على بعد حوالى ١٨ كيلو مترا من البحر الأحمر بطول المسار خلال الصحراء • والتضاريس الأرضية تجعل الدير مختفيا عن الأنظار حتى يصل المسافر اليه • ويبدو شكله الخارجي مثل مربع ضخم من الحوائط الحجرية يبلغ ارتفاعه حوالى ١٠ أمتار

ونطاقه ٢ كيلو متر تقريبا ، يقطعه على مسافات متباعدة أبراج ونقاط للمراقبة ، ويعلوه موقع حراسة يبلغ عرضه ما بين متر واحد الى مترين ٠ وتضم الحوائط منطقة تبلغ حوالى ١٨ فدانا ، خصصت منها ١٠ افدنة للزراعة بمختلف أنواعها ٠ أما الدخول الى الدير فلم يعد مقصورا على البكرة أو الخبل ، ولكنه يتم الآن من خلال الباب الصغير الذى استخدمته ميس لويس ومسز جيبسون ، ويحتفظ الرئيس الأعلى للدير بالمفتاح الخشبى لهذا البـاب ، ويسمح بالدخول من البـاب بعد أن يقدم الزائر للرهبان خطاب التوصية الوارد من البابا ٠

والحقيقة هى أن المبانى الموجـودة داخل الدير تعطى مظهر المدينة الصغيرة التى وصفها سـيكارد فى القرن الثامن عشر بأنها تشمل منازل صغيرة وأحواضا للخضراوات ٠ ومجارى مائية وشوارع متعرجة وممرات تحيط بالمبـانى الديرية التى منها المطعمة ودار الضـيافة والكنائس ٠ أما المكتبة التى جرت العادة بوضعها داخل الحصن ، فهى موجودة الآن داخل نفس المبنى الذى يشمل المطعمة ، وتتضمن ثلاث مجموعات ، المجموعة الأقدم وتتكون من أكثر من ١٠٠٠ مخطوط ٠ والثانية بها أكثر من ٧٠٠ مخطوط وأكثر من ٣٥٠ كتابا مطبوعا ٠ أما ألثالثة وهى الأحدث والأصغر فأنها تحوى ٤٠٠ كتاب مطبوع تقريبا ٠

ويعود تاريخ بناء المطعمة الى ١٥٦٠ ــ ١٥٧٠ ، ولكنها لم تعد تستخدم الآن ، فالرهبان يتناولون طعامهم فى قلاليهم فى الوقت الحالى ٠ وهى غرفة مستطيلة ذات سقف مقبى وتوجد بطول الحجرة وفى وسط الأرضية منضدة حجرية منخفضة الارتفاع ٠ وتتنوع وجبة الرهبان حسب المزاج الشخصى لكل راهب مع اضافة صنف مهم لم يكن موجودا عند زيارة وانسلبن وهو السمك الذى قال عنه انه لم يكن موجودا ٠ واليوم ، فان العديد من الرهبان يذهبون فى عيد القيامة المجيد لصيد السمك على

المرسى الذى على البحر ثم يرسلون صيدهم الى الدير • وفى حالة عدم استخدام معدات الصيد ، فانها تحفظ بمخازن دير الأنبا أنطونيوس (*) •

وما زالت العين التى شرب منها الأنبا أنطونيوس هى التى تمد الدير بالماء • بمعدل ١٠٠ ألف لتر يوميا • ويبدو أنها تغيرت كثيرا منذ تحدث وانسلبن وغيره عن ملوحتها • واليوم فان الماء بارد (درجة حرارته ثابتة عند ٢٣ درجة مئوية) وحلو المذاق ، برغم تشبعه بنسبة كبيرة من الكلوريد •

وهناك خمس كنائس تستخدم الآن بدير الأنبا أنطونيوس ، وهى :

١ ـ كنيسة القديس أنطونيوس ، وتقدم خدمة القداس الالهى بهذه الكنيسة ثلاث مرات اسبوعيا أيام الأحد والأربعاء والجمعة خلال فصل الشتاء (من نوفمبر الى أبريل) والكنيسة بها ثلاثة هياكل برغم استخدام هيكل واحد فقط •

٢ ـ كنيســـة القديسين بطرس وبولس ، وتقدم خدمة القداس الالهى بهذه الكنيسة أثنـاء فصل الصيف (من مايو الى أكتوبر) وهذه هى الكنيسة الصيفية وتقع الى شرق كنيسة القديس أنطونيوس وربما يعود تاريخ انشائها الى سنة ١٧٧٣ • ويوجد بها ثلاثة هياكل (مذابح) أحدها مكرس على اسم القديس جرجس ، والآخر مكرس على اسم الاثنى عشر تلميذا والثالث على اسم الست دميانة وهى عذراء شهيرة من القرن الثالث ومن أشهر القديسين فى مصر السفلى •

٣ ـ كنيسة القديس مرقس ، وتقدم فيها خدمة القداس الالهى على مدى ١٥ يوما خلال الصوم الكبير • وهذه الكنيسة التى يعود تاريخ

(*) ما ذكرته المؤلفة فى هذه الفقرة عن أن وجبة الرهبان تتنوع حسب المزاج الشخصى لكل راهب ، مع ذهاب الرهبان لصيد السمك •• الخ فاننا ننوه هنا بأن الأطعمة المتنوعة فى الدير لا يأكلها الرهبان بل تقدم فقط للضيوف • أما الراهب الذى يتناول طعامه مرة واحدة فى اليوم فانه لا يكاد يخرج على المألوف من طعام الرهبان الذى سبق الحديث عنه ـ (المترجم) •

انشائها الى سنة ١٧٦٦ بها ١٢ قبة ، وثلاثة هياكل (مذابح) أحدها مكرس على اسم القديس مرقس والثانى على اسم القديس الشهير ثيودورس ، والثالث على اسم القديس مرقوريوس المعروف باسم (أبو سيفين) •

٤ ـ كنيسة القديسة المباركة العذراء مريم ، وهى مبنية فى نفس المبنى مع المطعمة ، وهى تستخدم خلال مدة صوم العذراء (١٥ يوما) تنتهى بعيد صعود جسد القديسة العذراء مريم فى ١٦ أغسطس (*) •

٥ ـ كنيسة القديس ميخائيل (**) وقد بنيت حوالى القرن السابع عشر ، وهى مقـامة فى الدور العلوى من الحصن ، ولم تعد مستخدمة الآن بسبب حالتها المتداعية •

وبالاضافة الى هذه الكنائس الخمس هناك اثنتان أخريان كلتاهما مكرســتان على اسم القديس بولس الطيبى (الأنبـا بولا) ولكنهما لا تستخدمان الآن لاقامة القداسات ، بل تستخدم أقدمهما مخزنا وقد بدأ بناء أحدثهما فى سـنة ١٩٣٠ ولم يستكمل البناء ، وتلى فى موقعهـا البرجين المرتفعين اللذين يوجد بهما أجراس الدير •

ومنذ سنة ١٩٥١ وصلت الكهرباء الى دير الأنبا أنطونيوس عن طريق مولد كهربائى خاص بالدير • وقد استمر الدير سنوات عديدة يعمل كمحطة للأرصاد الجوية فيسجل درجة الحرارة ثلاث مرات يوميا ، ودرجتى الحرارة العظمى والصغرى والضـغط الجوى وكمية المطر • ويرسل بيانات الأرصاد شهريا الى مكتب الطقس فى القاهرة عن طريق ملحق الدير فى بوش •

(*) ١٦ مسرى الموافق ٢٢ اغسطس من كل عام ـ (المترجم) •

(**) رئيس الملائكة ميخائيل أول رؤساء الملائكة السبعة الواقفين أمام الله ـ (المترجم) •

المغـــارات

يقع دير الأنبا أنطونيوس فى وادى عربة الذى يحتل مع فروعه فى واديس ، ونتفيخ ، وغنابة ، وبيربخيت منطقة مهجورة ضخمة كان يقيم بها العديد من النسـاك برغم أن أحدا منهم لا يعيش هناك الآن • ويعتبر جبل القلزم أعلى نقطـة فى هـذه المنطقة ، حيث كان القديس بولس البسيط يحتل احدى المغارات الواقعة على المتحدرات السفلية للجبل • والقديس بولس البسيط تلميذ مخلص للأنبا أنطونيوس كان قد حاول وهو فى سن الثمانين أن يصبح راهبا • وقد حاول الأنبا أنطونيوس فى مناسبات عديدة اقناعه بترك مغارته ، ولكنه فى النهاية قبله كراهب بعد أن صام القديس بولس مدة أربعة أيام •

أما مغارة القديس أنطونيوس نفسه فهى فى موقع أعلى من مغارة القديس بولس بحـوالى ١٠٠ متر ، و ٢٧٦ مترا أعلى من دير الأنبا أنطونيوس ، و ٦٨٠ مترا أعلى من سطح البحر الأحمر • وهى مكونة من شرفة واسـعة تقود الى المغارة عن طريق نفق يبلغ عمقه ٣٤٠ سنتيمترا عند القاع ويتسع حتى حوالى ٩٨ سنتيمترا الى أعلى • وهناك شرفة على مسافة حوالى ثلاثة أمتـار تحت الشرفة العليا كان يجلس فيها القديس أنطونيوس لعمل السلال •

دير الأنبا بولا (القديس بولس الطيبى)

يقع دير الأنبا بولا على بعد عـدة أميـال جنوب غرب دير الأنبا أنطونيوس وقد بنى تخليدا لذكرى أول السياح (النساك) وهو أكثر انعزالا من الدير السابق (الأنبـا أنطونيوس) ويبلغ سـبع حجم دير الأنبا أنطونيوس فى المسـاحة • ويقع فى ظل دير الأنبا أنطونيوس الأكثر شهرة •

وقد بنى الدير حول مغارة الأنبا بولا ، ولا يعرف أحد تاريخ بنائه ولكنه كان قائما فى القرن السادس • وفى القرن الثالث عشر وحسب

ما أورده أبو صالح فان دير الأنبا بولا صار يعتمد اعتمادا كاملا على دير الأنبا أنطونيوس الذى كان يرسل القسوس لاقامة القداس بدير الأنبا بولا • وعندما هاجم الخدم البدويون دير الأنبا أنطونيوس عند نهاية القرن الخامس عشر تأثر دير الأنبا بولا بنفس هذه الهجمة ، ولقى نفس المصير لأنه عندما أرسل البابا غبريال السابع ٢٠ راهبا لاصلاح دير الأنبا أنطونيوس أرسل بعد ذلك عشرة آخرين الى دير الأنبا بولا •

وفى سنة ١٧١٦ رسم زائر مجهول رسما تخطيطيا للدير أهداه الى أسقف اكستر فى انجلترا • ويبين الرسم التخطيطى أن الدير كان له سور به شباك مرتفع كان يتم منه الدخول كما هو الحال بدير الأنبا أنطونيوس • وفى داخل السور بنيت كنيسة بها منارة للجرس فوق المغارة الحقيقية للأنبا بولا • وتوجد بالدير ١٩ مجموعة من قلالى الرهبان ، وطاحونة وحصن مقام على يسار الشباك المستعمل كباب • وهذه المبانى كلها موجودة فى داخل احد نصفى الدير • أما النصف الآخر فيشمل الحديقة التى بها عين للماء يقال انها مالحة قليلا •

وعلى مدى القرون كان الذين يقومون بزيارة دير الأنبا أنطونيوس يقومون أيضا بزيارة دير الأنبا بولا ، برغم أن مونتاج فاولر قد كتب فى نهاية القرن التاسع عشر أن الدير كان أبعد من أن يتم الوصول اليه :

« كان من الصعب على الأوروبيين زيارته ولذلك يصعب الحديث عن كنوزه من المخطوطات والآثار التى يمكن اكتشافها داخل حزم الدير » •

واليوم يوجد بالدير منزل للضيافة يحتوى على تسعة أسرة لزواره من الذكور ـ أما الزوار من السيدات فينتظر منهن البقاء بدير الأنبا أنطونيوس • وقد كتب ريتشارد بوكوك فى سنة ١٧٤٢ أنه « لا يسمح بدخول النساء الى الدير » • وبرغم السماح للسيدتين الجريئتين

ميس لويس ومسز جيبسون بدخول الدير للاطلاع على الكتب والمشاركة في صلاة أحد القداسات • وعلى خلاف ما يحدث في دير الأنبا أنطونيوس فان رهبان دير الأنبا بولا لا يطلبون تصريحا لدخول السيدات اللائي كن يرفعن الى الدير داخل شبكة من الحبال •

وتوجد أربع كنائس في دير الأنبا بولا • أكبرها في وسط الدير وهي كنيسة الأنبا بولا وتسمى كنيسة المغارة التي كان يعيش فيها الأنبا بولا ومازالت رفاته محفوظة بها • وتوجد ثلاثة هياكل (مذابح) بهذه الكنيسة • أحدها مكرس باسم الأربعة والعشرين قسيسا المذكورين في سفر الرؤيا ، والثاني باسم الأنبا أنطونيوس والثالث باسم الأنبا بولا • ويقام القداس الالهى بهذه الكنيسة خلال شهور يناير وفبراير ومارس •

ويلى هذه الكنيسة ، كنيسة أبى سيفين التى يعود تاريخ انشائها الى القرن الثامن عشر ، وتستخدم مرة واحدة في السنة خلال الأسبوع الذى يسبق الصوم الكبير ، أما كنيسة القديسة العذراء مريم فهي بالدور الثالث من الحصن وهي في حاجة للاصلاح • أما أكبر هذه الكنائس فانها مكرسة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل ومن المحتمل أن يعود تاريخ انشائها الى القرن السابع عشر • وبها منارة للجرس وهيكلان (مذبحان) أحدهما مكرس على اسم القديس يوحنا والآخر على اسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل ، ويقام القداس الالهى في أولهما خلال الفترة من سبتمبر الى نوفمبر ، بينما يقام في الثانى من أبريل الى سبتمبر • ويشتهر هيكل رئيس الملائكة ميخائيل بشيئين : أولهما أن حامل الأيقونات الذى في واجهة الهيكل مزخرف بصور التلاميذ الاثنى عشر مرتدين ملابس الرهبان الأقباط • ولوحة للعذراء مريم يقول الرهبان ان الذى رسمها هو القديس لوقا الانجيلى سنة ٤٠ للميلاد (*) •

(*) القديس لوقا الانجيلى هو أحد السبعين رسولا الذين اختارهم السيد المسيح وارسلهم اثنين اثنين امام وجهه الى كل مدينة كان هو مزمعا أن يزورها • وكتب بالوحى المقدس انجيل لوقا وسفر اعمال الرسل • أما لوحة العذراء المذكورة فقد رسمها للعذراء وهى تحمل الطفل يسوع ، وقد وضع التاج على رأس الطفل يسوع بوصفه ملك الملوك والتاج على رأس العذراء مريم بوصفها أم الملك المسيح ، وتباع بالمكتبات الدينية المسيحية نسخ من هذه الصورة باحجام مختلفة للبركة — (المترجم) •

وتقع المكتبة في الجانب الشمالي من كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وهي تحتوى على حوالى ٥٠٠ كتاب سواء منها المخطوط أو المطبوع . وتوجد بالدير ٣٢ قلاية لرهبان الدير ، وليست جميعها مشغولة . وتوجد بالدير بئران : احداهما هي عين الماء الخاصة بالأنبا بولا داخل السور وتقع البئر الأخرى على بعد مسافة قصيرة خارج السور . والبئر الثانية تسمى « بركة أو بحيرة مريم » أخت موسى وهارون التي قيل أنهـا اغتسلت فيها أثناء الخروج . وبرغم أن دير الانبا بولا ليس بنفس شهرة دير الأنبا أنطونيوس ولم يصل منه الى الكرسي البابوي الا راهب واحد فقط هو (البابا يوحنا السابع عشر : ١٧٢٧ ـ ١٧٤٥) ، الا أنه يشتهر بجو الصداقة والترحيب الذي يقدمه رهبان هذا الدير .

دير المحرق

يذكر التقليد القبطي أن العائلة المقدسة في هروبها الى مصر ، وصلت في النهاية الى قرية القوصية ، (جبل) قسقام على بعد حوالى ٦٥ كيلو مترا الى الشمال من أسيوط ، وعلى بعد حوالى ١٤ كيلو مترا غرب القوصية على حافة الصحراء . وقد بنى القديس يوسف (النجار) منزلا عاشت فيه العائلة لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر وعشرة أيام (*) . وقد أقيم الدير المحرق في هذه البقعة .

ومن المرجح أن اسم المحرق مشتق اما من الكلمة العربية (المحرق أى المحروق) اشـارة الى حالة التحاريق (العطش) التي تعيش فيها المنطقة المحيطة بالدير معظم أيام السنة ، أو من كلمة (حريق) بالاشارة الى العادة التي تجرى بحرق الحشائش التي تحيط بالدير . وربما كان أنسب التفاسير هو أن كلمة محرق تحريف لكلمة (مخرو) التي تترجم

(*) بلغت مدة اقامة العائلة المقدسة في مصر ثلاث سنوات ونصفا ، قضت منها بمنطقة جبل قسقام ستة اشهر وعشرة ايام حسب اوثق المصادر القبطية (انظر كتاب : الدير المحرق ـ تأليف نيافة الدكتور الأنبا غريغوريوس ، صص ٩٠ ـ ٩١) ـ (المترجم) .

الى محدد أى نقطة الحدود Border لأن الدير المحرق فى أقصى الطرف الشمالى للأديرة الباخومية الواقعة فى مصر العليا ، وهو لذلك يعتبر الحد الشمالى ٠

ويعرف الدير المحرق أيضا باسم دير القديسة العذراء مريم وقد انشأه القديس باخوميوس أو على الأقل أحد خلفـائه وهو الوحيد من الأديرة الباخومية الذى ظل عامرا ٠ ولا نعرف الا القليل من التاريخ المبكر للدير بصرف النظر عن التقليد الذى يذكر أنه عندما رغب البابا ثيوفيلوس (٣٨٤ ـ ٤١٢) فى بناء كنيسة فوق البيت الذى أقامت فيه العائلة المقدسة ظهرت له القديسة العذراء مريم فى حلم ، وطلبت اليه عدم المساس بهذا الجزء من الدير حتى يظل دليلا على تواضع الموضع الذى اقامت فيه العائلة المقدسة (*) ٠ أما كنيسة القديسة العذراء مريم بحالتها القائمة اليوم فهى تعود الى القرن الثانى عشر ٠ ويذكر أبو صالح أن الدير أصبح مكانا يحج اليه الناس اعتبارا من القـرن الثالث عشر :

« صار الحجيج ياتـون فى جماعات عديدة من كافة المحافظات الى هذه الكنيسة منذ اقدم العصــور لأنها اقيمت احتفاء بالرؤى والمعجزات ولشفاء مختلف الأمراض » ٠

وقد ذكر المقريزى فى أواسط القرن الخامس عشر أن الأعياد الكبيرة مثل عيد السعف ، أو عيد العنصرة كانت تجتذب أعدادا كبيرة من الناس ٠

وقد انتخب بطاركة الكنيسة القبطية خـــلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من الدير المحرق : غبريال الرابع (١٣٧٠ ـ ١٣٧٨) ، ومتاؤس الأول (١٣٧٨ ـ ١٤٠٨) ، ومتاؤس الثانى (١٤٦٢ ـ ١٤٦٥) ويوحنا الحادى عشر (١٤٨٠ ـ ١٤٨٣) ٠

(*) يستطيع القارىء العودة الى كتاب نيافة الدكتور الأنبا غريغوريوس عن هذا الدير ـ (المترجم) ٠

وكان يقيم بالدير عند بداية القرن التاسع عشر ٢٢٠ ساكنا بينهم ٢٠ راهبا فقط ، وبعد ذلك بسنوات قليلة غادر الدير المحرق مجموعة من الرهبان ومضـوا للاقامة بدير البراموس فى وادى النطـرون • وفى سنة ١٨٧١ حدث خروج آخر من الدير المحرق الى دير البراموس •

وفى أواخر القرن التاسع عشر كان الدير المحرق واحدا ضمن سبعة اديرة عامرة فى تلك الفترة ، وكان أكبر هذه الأديرة وأغنـاها • وفى سنة ١٨٨٣ كتب الرحالة الأب جوليان أن الدير كان يقيم به ٨٠ راهبا برغم وجود ٣٠٠ قلاية • وأن أسـواره كانت تحيط بأربعمائة هكتار من الأراضى الصالحة للزراعة • وفى سنة ١٨٨٥ وحسب ما ذكره ا٠ ج بتلر فقد كان بالدير ١١٠٠ فرد ، بمن فيهم الرهبان والفلاحون والبدو ، وكذلك الاثيوبيون فقـد كان هناك تقليد بالدير المحرق على مدى القرون يقضى بالترحيب بالرهبان الاثيوبيين •

ويشتمل الدير المحرق على بهو خارجى وبهو داخـلى وتحيط به اسوار عالية غير منتظمة أما أقدم المبانى فى الدير فهى بالذات كنيسـة القديسة العذراء مريم ، والحصن ، ومنارة صـغيرة وهى فى الجانب الغربى • وقد بنيت الكنيسة تحت مستوى البهو الخارجى بأكثر من متر وهى كما يذكر التقليد تقع فوق المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة ، وقد جددت فى سـنة ١٩٣٥ بمعرفة الأسقف تادرس أسـعد (١٩٢٨ ــ ١٩٣٥) (*) • وهى تستخدم يوميا لرفع القداسات الالهية •

وكنيسة اخرى مكرسة على اسم القديسين بطرس وبولس • وأخرى مكرسة على اسم القديس تكلا ويستخدمها الرهبان الاثيوبيون المقيمون

(*) لم يكن رؤساء الاديرة دائما من الاساقفة ، بل كان معظمهم من القمامصة وكلمة قمص (ايغومينوس Hegomenos) اطلقت على كثير من رؤساء الاديرة بهذه الرتبة الكهنوتية ومنهم القمص تادرس اسعد الذى ذكرته المؤلفة بوصفه اسقفا ، ومنهم حاليا القمص متى المسكين رئيس دير أبو مقـار ــ (المترجم) •

بالدير • وهي تستخدم بالاضـــافة الى كنيسة القديسة العذراء مريم • وأقيمت هناك في أواخر القرن التاسع عشر كنيسة كرست على اسم القديس جورج (مارجرجس) وهذه الكنيسة أكبر الكنائس ، وقد بنيت سنة ١٨٨٨ ، وبها الكثير من الملامح المميزة فقد بنيت على الطراز البيزنطي وبها مذبح من الرخام ، وحامل للأيقونات أمام الهيكل • ويوجـــد تحت المذبح أضرحة أربعة من أشهر رهبان الدير وبالذات رئيس الدير صليب الذي توفى ســـنة ١٩٠٥ (*) وهو باني الكنيســـة ، ثم الأســـقف الأنبا باخوميوس الأول (توفى سنة ١٩٢٨) •

أما الحصـن الذي يســـميه الرهبـــان أكروبوليس Acropolis فقد بني أصلا في القرن الثامن وأعيد بناؤه في القرن الثاني عشر • ويبلغ ارتفـاعه ١٦٫٥ متر من مستوى سطح الأرض • أما مساحته فهي على شكل مربع طول ضلعه أكثر من ١٠ أمتار • ويوجد المدخل في مستوى الدور الأول ، ويتم الدخول اليه من برج مجاور بواسطة بكرة (مثل بكرة البئر) • وتوجد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في الدور الثاني • وهي تعود الى أوائل القرن السادس عشر • وكانت هذه الكنيسة تستخدم أصلا عندما كان الرهبان يلتمسون الملجأ في الحصن • واليوم يجرى استخدامها ثلاث مرات في السنة • في أعياد رئيس الملائكة ميخائيل في ٨ نوفمبر ، و ٦ يونيو ، و ٦ يوليو • ويوجد فوق ســـطح الحصن شرفة مجهزة بمرحاض وبئر •

أما أكبر المباني الحديثة في الدير فانه يسمى (الحصن الباخومي) الذي بني في القرن التاسع عشر ويقع في حديقة للبرتقال ويتكون من ست غـرف للضيوف وحمامات ، وغرف للمؤتمرات ، وغرف للجلوس وغرفة واسعة لتناول الطعام • أما الدور الأرضي فيشمل المكتبة الخاصة

(*) هو القمص صليب وهبة (انظر كتاب الدير المحرق ـ مرجع سابق ص ٢٠٢) ـ (المترجم) •

بالدير وأما الدور الثاني فيشمل مجموعة من الغرف خاصة برئيس الدير . ويوجد خارج أسوار الدير فى الناحية الغربية مقبرة ضخمة ..

وبرغم مضي القرون العديدة منذ قدم الدير المحرق آخر بابا من رهبانه للكنيسة القبطية الا أنه في العصور الحديثة قد لعب دورا كبيرا من حيث أن معظم أساقفة الكنيسة كانوا رهبانا به فى يوم من الايام . وهو مركز للثقافة القبطية مع التركيز الشديد على التعليم . وفى سنة ١٩٠٥ أقيمت به كلية لاهوتيـة بمعرفة الأسقف باخوميوس الأول الرئيس الأعلى للدير (من ١٩٠٥ - ١٩٢٧) ويدرس الطلبة فى هذه الكلية مواد عديدة مثل علم اللاهوت ، ودراسات باللغة القبطية والعربية فى العهدين القديم والجديد للكتـاب المقدس مع دراسـة اللغتين العربية والانجليزية : ومن يقوم بالدراسة لمدة خمس سنوات ينتقل الى مرحلة الدبلوم في دراسة اللاهوت . ويتولى الدير المحرق ادارة العديد من المدارس الاعدادية والابتدائية فى منطقته ، وبالاضافة الى ذلك فانه يتـولى الرعاية الاجتماعية حيث يقوم بصرف عشر ايراده السنوى على الفقراء . ويعتبر الدير مركزا للعديد من الحجاج الذين يفدون سنويا لحضور الاحتفالات الخاصة بأعياد العذراء مريم - ولادتها ؛ ودخولها الى الهيكل ، ونياحتها (أو رقادها كما يقول القبط) ، وصعود جسدها ، وتكريس كنيستها فى مدينة فيلبى وهى أول كنيسة تكرس على اسمها ، وتعود الشعبية الكبيرة التى يحظى بها الدير المحرق كمركز لاستقبال الحجاج الى الاعتقاد القائل بأن السيد المسيح قد وعد البابا ثيوفيلوس بأن كل من يدخل الكنيسة بالمحرق تغفر له خطاياه ، وللأسف فان النساء محرومات من هذا الامتياز ، لأن كنيسة القديسة العذراء مريم تقع فى البهو الداخلى للدير ، وهذا المكان لا تدخله النساء ..

ويتحمل أسقف الدير المحرق مسئولية عظيمة لأنه يدير شئون دير ثرى له دوره فى المجتمع . وهو مسئول عن اقامة السلام بين الرهبان وهذه مسئولية عظيمة فقد مرت مناسبات عديدة فى الماضى القريب عندما كان

الرهبان يسرعون فى التعبير عن استيائهم من رئيس الدير ، والآن يوجد بالدير المحرق حوالى ٧٠ راهبا يعيش من بينهم ٢٠ راهبا خارج أسوار الدير بصفتهم كهنة يخدمون المجتمع المحيط بالدير ٠

أديرة وادى النطرون

يذكر المقريزى أنه لم يبق فى وادى النطرون فى خلال القرن الخامس عشر الا سبعة أديرة قبطية من بين مائة دير كانت موجودة هناك فى الماضى ٠ وأثناء حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٧ أرسل الجنرال أندريوس الى وادى النطرون لعمل مسح للثروة المعدنية الموجودة هناك ٠ وقد نوه عن وجود سبعة أديرة عامرة ٠ أما اليوم فلا يوجد سوى أربعة أديرة ٠ ويظهر كل من هذه الأديرة من الخارج بشكل مربع ومتماسك ، أما فى داخل أسوارها فهى نظيفة ، ومنظمة وفى حالة جيدة ٠ أما حدائق الخضراوات وأشجار النخيل التى يرويها الرهبان بمياه الآبار ، فانها تتحول الى واحات خضراء وسط الصحراء ويرجع الفضل فى أن أقدم مبانى هذه الأديرة قد أقيمت فى القرن التاسع الى هجمات البدو برغم أن المعالم الأصلية التى تعود الى القرنين الرابع والخامس موجودة تحتها ٠ وهى لذلك تعتبر مصدرا ضعيفا لفن عمارة الأديرة ٠

دير البراموس

يعتبر هذا الدير أقدم وأكبر أديرة وادى النطرون ، وقد أنشأه القديس مكاريوس حوالى سنة ٣٤٠ تذكارا للقديسين الرومانيين (مكسيموس ودومابديوس) ٠ وبعد غارة سنة ٨١٧ ، أحيط دير البراموس بسور عال يبلغ ارتفاعه اليوم من ١٠ ــ ١١ مترا بسمك يبلغ مترين ٠ وفى القرن الثالث عشر قام البابا غبريال الثالث بعمل قدر كبير من التجديدات ترتب عليها اندثار الكثير من المبانى القديمة ٠ وتوجد بالدير خمس كنائس لا يستخدم منها لاقامة القداسات سوى ثلاثة فقط ، وأهمها هى كنيسة القديسة العذراء مريم ، التى يعود بعض أجزائها الى القرن

التاسع . وكنيسة القديس يوحنا المعمدان التى بنيت حسب الطراز البيزنطى المعاصر فى القرن التاسع عشر على أيام البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧) . أما الحصن الذى يعود الى القرن السابع فانه يتضمن كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالدور الثانى . أما بيت الضيافة فهو مبنى يعود تاريخه الى القرن التاسع عشر ، ويستخدمه زوار الدير والبابا .

وفى القرن الحادى عشر أمد الدير الكنيسة القبطية لأول مرة بأحد البابوات . وبرغم دخول الدير فى غياهب الظلام فى العصور الوسطى الا أنه قدم للكنيسة بابا آخر فى القرن السادس عشر واثنين فى القرن السابع عشر . ولم يحدث ذلك مرة أخرى الا فى نهاية القرن التاسع عشر حيث جاء البابا كيرلس الخامس من دير البراموس ، وفى القرن العشرين جاء اثنان من هذا الدير أحدهما على وجه الخصوص هو البابا كيرلس السادس (١٩٥٩ ـ ١٩٧١) .

دير القديس مكاريوس (أبو مقار)

أنشأ القديس مكاريوس هذا الدير بنفسه عندما أوحى اليه ببناء الكنيسة التى قام حولها مجتمع رهبانى . وبرغم ذلك فقد ظل القديس مكاريوس ناسكا يعيش فى قلاية متصلة بمغارة صغيرة عن طريق نفق . وعندما تنيح فى سنة ٣٩٠ خلفه القديس بفنوتيوس كأب للدير .

وقد هوجم الدير ثلاث مرات فى القرن الخامس ، وقد فضل ٤٩ راهبا القتل بحد السيف على يد مهاجميهم عن الهروب الى الحصن مع بقية اخوتهم . وأعيد بناء الدير بشكل مكثف بعد غارة رابعة فى القرن السابع . ويقال أنه كان به ألف قلاية عند بداية القرن التاسع ، ولكن فى سنة ٨٦٦ هوجم الدير مرة أخرى . وقد أقام البابا شنودة الأول (٨٥٩ ـ ٨٨٠) سورا للدير ، كما أعاد بناء أجزاء كبيرة منه ، ومما هو

جدير بالذكر أن كنيسة القديس مكاريوس بالذات ، ومعظم ما نراه الآن من الدير قد بناه البابا شنودة الأول ٠

ويعتبر حصن دير القديس مكاريوس أشهر الحصون الديرية بسبب كثرة عدد ما به من هياكل وكنائس ٠ ويتم الدخول الى الحصن الذى يتكون من ثلاثة طوابق بواسطة قنطرة تقود الى الدور الأول ٠ ويوجد فى هذا الدور كنيسة العذراء القديسة مريم ، أما الدور الثانى فيوجد به ثلاث كنائس مزخرفة برسوم جدارية جميلة ٠ وقد كرست الكنيسة الوسطى على اسم المؤسسين الثلاثة للرهبنة المصرية وهم القديسون أنطونيوس وبولا وباخوميوس ، ويزين حائطها الشمالى صور القديسين الثلاثة ٠

ويوجد فى أجزاء أخرى من الدير ثلاث كنائس أخرى ٠ ربما تعود احداها الى القرن الرابع عشر وهى تستخدم الآن كمخزن ٠ وكنيسة اخرى هى كنيسة التسعة والأربعين شهيداً ، حيث دفن كما هو واضح من اسمها ، التسعة والأربعون شهيدا ، وهى تستخدم أثناء الصوم الكبير وفى عيد ميلاد السيد المسيح ٠ أما أهم كنيسة وربما أيضا أهم مبنى بالدير فهى كنيسة القديس مكاريوس ، ففى سنة ٦٥٠ قام البابا بنيامين الأول بتكريس كنيسة جديدة على اسم القديس مكاريوس لتحل محل الكنيسة الأصلية التى دمرت فى احدى الهجمات ٠ وهى الكنيسة التى أعاد بناءها البابا شنودة الاول ٠ وقد دمرت أجزاء كبيرة من المبنى ولكن بقى منه ما يكفى لبيان جمال نقوشها التى تمثل مناظر من حياة السيد المسيح ويعود تاريخها الى القرنين التاسع والحادى عشر ٠ وهذه النقوش نادرة من حيث انها تبين التحام الفن القبطى بالفن الفاطمى ٠

وابتداء من العصور الوسطى فصاعدا بدأ الدير فى جمع مجموعة كبيرة من الكتب لأجل المكتبة ٠ وقد ظلت هذه الكتب سليمة حتى بداية

القرن السابع عشر عندما بدأ الأوروبيون المغرمون بالكتب في نهبها • وقد حقق دير الأنبا مكاريوس مكانة عظيمة في القرن السادس عندما أصبح هو المقر الرسمي لبابوات الكنيسة القبطية الذين منعهم الحكام البيزنطيون من البقاء في الاسكندرية • وقد ارتفع قدر هذا الدير أكثر فأكثر عند بداية القرن الحادي عشر خلال الاضطهادات التي أثارها الخليفة الحاكم بأمر الله ، عندما اتخذ البابا زخارياس وعدد من الأساقفة من الدير ملجأ لهم • وعند منتصف نفس القرن ، عاش في هذا الدير أكثر من نصف رهبان وادي النطرون • ومن بداية القرن الخامس الى أواسط القرن الثالث عشر قدم الدير للكنيسة القبطية ٢٧ بطريركا ، وتفوق بذلك على أي من الأديرة الأخرى من قبل ، وحتى ذلك التاريخ •

وقد اختير راهب آخر من الدير في سنة ١٣٤٠ ، ولكنه كان قد بدأ في دخول فترة الانحدار ووصل اثنان آخران من رهبانه الى منصب البابوية في النصف الأول من القرن السابع عشر ، ولكن عندما زاره رحالة يدعى ثيفينوت في سنة ١٦٥٦ وصفه بأنه أكثر أديرة وادي النطرون تداعيا • وفي سنة ١٧١٠ أحصي رحالة آخر هو دو برنات رهبان الدير الموجودين هناك ، وذكر أن عددهم كان أربعة • وفي سنة ١٧٣٠ ذكر رحالة آخر يدعى جرانجر أنه وجده متهدما •

وفي سنة ١٧٩٩ ، عندما أرسل نابليون الجنرال أندريوسي الى وادي النطرون ، كان الدير قد انتعش مرة أخرى وأحصى أندريوسي عدد الرهبان حينذاك فكان ٢٠ راهبا • وبرغم أنه لم يخرج من الدير حينذاك الا بابا واحد هو (ديمتريوس الثاني ـ ١٨٦٢ ـ ١٨٧٠) الا أن الدير نفسه أصبح في مقدمة الأديرة التي حققت انتعاشا عظيما للحركة الديرية في وادي النطرون • وربما كانت باكورته هي الحديقة التي بدأت في سنة ١٩٢٥ خارج الحائط الشرقي للدير على يد الأنبا أبرام رئيس الدير •

دير الأنبا بيشوى

أنشيء هذا الدير فى القرن الرابع وأطلق عليه اسم شفيعه القديس بيشوى ، وقد عانى من الغارات العديدة مثل الأديرة الأخـرى التى فى وادى النطرون · وحسب ما ذكره المقريزى فان الغارة الرابعة من هذه الغارات والتي حدثت في القرن السابع كانت هي أشد الهجمات · ولكن قام البابا بنيامين الأول (٦٢٣ ـ ٦٦٢) بعدها باعادة اعمار الدير · وفى سنة ١٠٩٦ هوجم الدير مرة أخرى · وبعد ذلك بمائتى عام أوشكت العديد من المبانى الديرية على الانهيار ، ويرجع الفضل فى ذلك الى نشاط النمل الذى نخر معظم الأخشاب · وقام البابا بنيامين الثاني (١٣٢٧ ـ ١٣٣٩) بعمل مكثف لاصلاح المبانى ·

ويوجد فى دير الأنبا بيشوى خمس كنائس ، كرست الرئيسية منها على اسم الأنبا شيشوى ، وتقع فى أقدم جزء باق من أبنية الدير التي تعود الى القرن التاسع ، وهي تستخدم لاقامة القداس الالهى فى شـــهور الصيف · أما فى شهور الشتاء فتستخدم بدلا منها كنيســة القديسة العذراء مريم القريبة منها · وتقع فى الجهة الجنوبيــة من كنيســة الأنبا بيشوى كنيسة القديس أبسخيرون التى بها المعمودية · وهنــاك كنيسة رابعة مكرســة على اسم مارجرجس ، ولم تعد تســتخدم لاقامة القداسات · أما حصن الدير الذى يعود تاريخه الى القرن الثاني عشر فيتضمن كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل الموجودة بالدور الثانى ·

وقد أنشئت المكتبة أصــلا فى الحصن · وقد عانت من تداخلات جامعى الكتب الأوروبيين مثل غيرها من مكتبات الأديرة · وفى سنة ١٨٣٩ ســمح للرحــالة تــاتام بشراء مخطوطات عديدة · ولكن جنكرز لم يسمح له فى سنة ١٨٨١ بمجرد دخول الدير ، لأن اوروبيا آخر سرق كتبا عديدة من الدير ، الا آن البـاقى من مجموعة المخطوطات فى الدير قد تم حفظه فى غرفة صغيرة تنفتح على فناء الدير ·

وقد ذكر ثيفينوث الذى زار دير الأنبا بيشوى فى سنة ١٦٥٧ أنه أحسن أديرة وادى النطرون • ولكن فى سـنة ١٧١٢ زار الدير سيكارد ، ولم يجد به سوى أربعة رهبان • وبعد ١٣٠ عاما أخرى أفاد ويلكنسون بأن عدد رهبان الدير قد ارتفع الى ١٣ راهبا • ولم يقدم الدير للكنيسة بابا من رهبانه حتى سنة ١٥٨٧ • ثم مضت بعد ذلك ٣٥٥ سنة حتى قدم للكنيسة بابا ثان • أما ثالث بابا جاء من هذا الدير فهو البابا الحالى الأنبا شنودة الثالث الذى تم اختياره فى سنة ١٩٧١ •

دير السريان

أما دير السريان الذى أقيم كاضافة الى دير الأنبا بيشوى فانه يقع على بعد ٥٠٠ متر الى الشمال الغربى من الدير الأسبق • ومنذ انتهاء المجادلات التى أدت الى انشائه ، لم تعد هناك حاجة لاستخدام دير منفصل للرهبان الأقباط الأرثوذكسيين • وتم بيعه عند بداية القرن الثامن وقد اشتراه عدد من التجار السوريين الأغنياء الذين يعود أصلهم الى تكريت فى بلاد ما بين النهرين كانوا قد استقروا فى الفسطاط (مصر القديمة) • وقد اشتروا الدير لكي يستخدمه الرهبان السوريون • ويبدو أنهم قد أمدوهم بمكتبة من المخطوطات المكتوبة بلغتهم السريانية •

ويعتبر رئيس الدير موسى من أعظم المحسنين وهو من نصيبين ، فقد أرسل الى بغداد فى سنة ٩٢٧ للتوسل الى الخليفة المقتدر لاعفاء الدير من الضرائب المفروضة عليه • وكان الرئيس موسى رجلا مثقفا ومحبا للأدب • وبعد انتهاء مأموريته فى بغداد عاد الى دير السريان ومعه مجموعة تزيد على ٢٥٠ مخطوطا باللغة السريانية ، اشترى بعضها كما قدم اليه البعض الآخر كهدايا • واستمر بقية حياته يضيف الى مكتبة الدير باستعارة الكتب من المكتبات الأخرى ونسخها • وبذلك بدأت مجموعة المخطوطات السريانية التى كانت سببا فى شهرة هذا الدير •

وفى سنة ١٠٨٨ ، قام موهوب بن منصور المؤلف الشريك فى كتاب : « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » ، بعمل احصاء لرهبان وادى النطرون

وسجل ما يفيد بأن دير السريان كان به ٦٠ راهبا وهو عدد يزيد على عدد رهبان ديرى الأنبا بيشوى والبراموس مجتمعين ، وفي القرن الرابع عشر أدى انتشار الموت الأسود (الطاعون) الى تقليص عدد رهبان الدير الى راهب واحد فقط · وعند نهاية القرن الخامس عشر انتعش الدير مرة أخرى وأصبح مرة أخرى ماهولا بالرهبان السوريين وسرعان ما فقد الرهبان السوريون الأغلبية في الدير ، ففى سنة ١٥١٦ كان هناك ١٨ راهبا سوريا فقط من مجموع رهبان الدير الذين بلغ عددهم ٤٣ راهبا ، وكان الباقي من المصريين · وعندما وفد هنتنجدون لزيارة الدير سنة ١٦٧٩ لم يكن باقيا به أى راهب سورى ·

وفى القرن السادس عشر شعر دير السريان بأنه أصبح قويا بما يكفي لارسال نصف رهبانه للمساعدة فى اعادة بناء ديرى الأنبا انطونيوس والأنبا بولا · وقد حدث ذلك حسب توصية البابا غبريال السابع (١٥٢٥ ـ ١٥٦٨) وهو البابا الوحيد الذى خرج من دير السريان ليصبح بابا للكنيسة القبطية · ويبدو أن الأيام العظيمة التى عاشتها مكتبة الدير قد وصلت الى نهايتها فى القرن الثانى عشر · ولكن فى القرن السادس عشر حاول رئيس الدير ساويرس معالجة ذلك بترميم الكتب التى تمزقت من مجموعة الدير بمضى الزمن · وتم ترميمها فى سنة ١٦٢٤ ، للمرة الأخيرة قبل أن تلفت المكتبة انتباه جامعى الكتب الأوروبيين · وفى سنة ١٧٠٧ وصل الى الدير الياس أسيمانى وهو راهب مارونى من لبنان لشراء مخطوطات لصالح بابا روما أكليمندس الحادى عشر · وقد حصل على ٣٣ مخطوط باللغة السريانية ومخطوط واحد بالعربية ولكنه وهو فى طريق عودته الى القاهرة غرق القارب الذى كان يركبه وغرق معه أسيمانى وتم انقاذ القليل من المخطوطات من الغرق فى النيل ونقلت بحالة سيئة الى الفاتيكان ، وبعد ثمانى سنوات حاول جوزيف سيمون أسيمانى (يوسف سمعان أسيمانى) ابن عم الياس شراء مائة مخطوط من مكتبة الدير ولكن الرهبان لم يسمحوا له الا بشراء عدد قليل · وفى السنوات التالية عمل الرهبان على منع الزوار من الحصول على مخطوطاتهم،

ومع ذلك فقد نقل الجنرال أندريوسي العديد منها في سنة ١٧٩٩ . ولم يستمر الوضع حتى سنة ١٨٣٧ عندما اشترى اللورد كيرزون الجزء الأكبر من المخطوطات الباقية وأخذها الى لندن لصالح المتحف البريطاني . وبعد ذلك بعامين حصل عالم القبطيات هنرى تاتام على مخطوطات أخرى لنفس المتحف . ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن المتحف البريطاني قد حصل قبل سنة ١٨٣٧ على ٧٨ مخطوطا سريانيا ضمن مجموعته ، معظمها من مدينة الموصل . وكذلك حصل على ٥٨١ مخطوطا في سنة ١٨٦٤ وبذلك تعتبر مجموعته هي أكبر مجموعة من المخطوطات السريانية الموجودة في الغرب ، وقد حصل على معظمها من دير السريان .

وقد لعب تبديد مكتبة دير السريان دورا أساسيا في انتعاش الدراسات السريانية خلال القرن التاسع عشر . وقد كانت لها قبل ذلك بوقت طويل أهمية قصوى في نشر معارف الاغريق القدماء ويرجع ذلك الى حقيقة أن مسيحيي سوريا الاوائل كانوا مهتمين بكتابات الاغريق القدماء في الفلسفة والطب والرياضيات والنحو ، وقد ترجموا العديد من مؤلفات أرسطو واقليدس وجالن وأرشميدس وأبقراط وغيرهم الى اللغة السريانية ، وترجمت بدورها من هذه اللغة الى العربية ثم اللاتينية في القرن الثالث عشر وبذلك أصبحت في متناول أوربا الغربية . وقد احتفظت مكتبة دير السريان بالقدر الأكبر من هذه الكتب ، حتى مع وجود معظمها في نسخ غير كاملة . وقد وجدت بهذه المكتبة بعض الكتب التي بقيت من الشرق ونخص منها بالذكر أقدم كتاب معروف في العالم وهو مخطوط كتب في اديسا سنة ٤١١ ، وبقايا كتاب مقدس كتب بالسريانية في سنة ٤٦٤ . واليوم فان المكتبة الموجودة بدير السريان تعتبر مجرد ظل للمكتبة القديمة ، نظرا لأن معظم محتوياتها قد تفرقت في اوروبا (*) . ومازال بها العديد من المخطوطات السريانية ، بجانب المجموعة الصغيرة من الكتب القبطية .

(*) اهدى هذا النص الى الذين يتشدقون بفضل حضارة اوروبا على العالم ولا تعليق ــ (المترجم) .

وتعتبر كنيسة القديسة العذراء مريم هي الكنيسة الرئيسية بالدير ، ومن المحتمل أنها تعود الى حوالى سنة ٩٨٠ • ويعتبر بابا الخورس والهيكل المطعمين بألواح العاج أهم معالمها البارزة • أما لوحات الفريسك التي تمثل بشارة الملاك للعذراء وميلاد السيد المسيح وصعود السيد المسيح فهي اللوحات السريانية الوحيدة التي مازالت باقية بمثل هذه الحالة من العناية • ويستخدم الرهبان هذه الكنيسة خلال شهور الصيف ، أما في الشتاء فان قداساتهم تعقد في كنيسة المغارة التي تعرف باسم كنيسة الست مريم • وتوجد بالدير كنيستان أخريان بالاضافة الى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل الموجودة بالحصن •

ويشتهر دير السريان بأنشطته الأدبية والفضل يرجع الى الرسومات التي في كنيسته الرئيسية تلك التي تتمتع بمكانة عظيمة في تاريخ الفن المسيحي في مصر • واليوم ، فان الرهبان الذين يعيشون في الدير ويصل عددهم الى ٤٠ راهبا ، يلعبون دورهم في النهضة الديرية التي بدأتها الكنيسة القبطية •

دير الأنبا صموئيل

يقع دير الأنبا صموئيل في القلمون عند الطرف الشمالي لوادي الموالح الذي يعتبر مكملا لمنخفض الفيوم ، وهو بذلك يقع في الصحراء الغربية على بعد حوالى ١٥٠ كيلومترا الى الجنوب الغربي من بحيرة قارون • وصعوبة الوصول اليه تجعله أكثر الأديرة العامرة انعزالية ، برغم أن ذلك لم يمنع عنه الزوار في خلال القرن الثالث عشر اذا صدقنا ما ذكره أبو صالح •

كان الرهبان هم أوائل من سكنوا منطقة القلامون وعاشوا في المغارات وذلك في القرن الرابع • وفي أوائل القرن السابع ترك صموئيل وهو ابن قس يدعى سيلاس قريته بلقيب (بالقرب من فوه بمحافظة الغربية) وبدأ حياته النسكية مع رهبان القلمون وبقي في هذه المنطقة

فترة قصيرة ثم تركها وهو فى سن ١٨ سنة الى وادى النيل وأصبح تلميذا للأنبا أغاثون • وفى سنة ٦٣١ عندما هزم البطريرك كيرلس البابا بنيامين الذى يرعى أتباع الطبيعة الواحدة رفض رهبان وادى النطرون قبول مذهبه • أما القديس صموئيل الذى كان قد قضى معهم ١٥ عاما فقد هرب الى دير النقلون بالفيوم حيث تبعه تلاميذ عديدون • وبعد ذلك بثمانية عشر شهرا وصل كيرلس الى الفيوم فى اثر أتباع بنيامين ، وبرغم أن القديس صموئيل والرهبان الآخرين كانوا قد تركوا الدير وأن كيرلس وجده فارغا ، الا انه قبض على القديس صموئيل ونكل به • وأطلق سراحه بشرط أن يغادر محافظة الفيوم • ولذلك اتخذ لنفسه ملجأ فى كنيسة صغيرة مهجورة بوادى الموالح •

وعندما كان الأنبا صموئيل بوادى الموالح قبض عليه البربر وأخذوه عبدا ونقلوه الى موطنهم فى واحة سيوة ، وبقى هناك مدة ثلاث سنوات حيث عانى الكثير فى أيدى الذين أسروه وكانوا من عبدة الشمس ، وحاولوا أن يجعلوه عابدا للشمس ولكنه أطلق فى النهاية • فاتخذ وجهته الى القلمون حيث أنشأ ديرا باسم القديسة العذراء مريم وعاش هناك لمدة ٥٧ سنة • وكما يذكر لنا التقليد فانه عاش فى مغارة فى جبل القلمون أثناء السنوات الأربع الأخيرة من حياته واكتفى بزيارة الدير الذى كان يبعد مسافة ٥ كيلو مترات الى الغرب منه ، بين حين وآخر • وعندما تنيح فى سنة ٦٩٤ كان عمره ٩٦ سنة ، كان موجودا بالدير ١٧ راهبا ، وأطلق اسمه على الدير • ونظرا لقدرات القديس صموئيل فى القيادة الروحية وموهبته فى الادارة فانه يعتبر واحدا من الشخصيات القيادية فى الرهبنة المصرية •

أما الدير الذى بناه الأنبا صموئيل ، فقد دمر فى القرن التاسع على يد البدو ولكن أعيد بناؤه وأخذ فى الازدهار ، وقد كتب أبو صالح الذى يحتمل انه زار الدير فى بداية القرن الثالث عشر أن زيارات كثيرة كانت تفد اليه وأنه يمتلك أراضى فى العديد من محافظات مصر العليا ، والملاحات

التى كان يتسلم منها ٣٠٠٠ أردب من الملح سنويا • كما كان يمتلك أيضا غابات من النخيل كانت تنتج محصولا وفيرا من البلح فى كل عام وكان يتم بيعه وكان الدير محاطا بحائط كان يضم حديقة كبيرة مزروعة بأشجار النخيل والزيتون والخضراوات •

وكانت هناك أربع منارات للدير على أيام أبو صالح وموقع للملاحظة كان يقف به راهب لتنبيه بقية الرهبان عند اقتراب الزوار ، وكان يفعل ذلك بالدق على جرس خشبى بطرقات معينة حسب أهمية الزوار • اما كنيسة العذراء الطاهرة مريم فهى واسعة وبها ١٢ هيكلا أو كنيسة صغيرة • وفى الدير عين من الماء المالح ، تفيض فى بركة واسعة تعيش فيها أحيانا أسماك البلطى ، وكان الرهبان يستعذبون تناول لحمها الأسود اللون • وكان الماء فى الشتاء يصبح حلو المذاق قليلا • وحسب ما أورده أبو صالح ، فقد كان عدد الرهبان ١٣٠ راهبا فى سنة ١١٧٨ •

وكان دير الأنبا صموئيل فى أيام أبو صالح أحد أهم الأديرة فى مصر • ثم بدأ فى الاضمحلال التدريجى • وفى القرن الخامس كتب المقريزى أنه لم يبق به حينذاك سوى منارتين برغم أنهما كانتا تظهران بلون أبيض لامع • أما أشجار النخيل التى كان الرهبان يسهرون على رعايتها يوما ما ، فقد أصبح البدو هم الذين يحصدون ثمارها وأخيرا هجر الرهبان الدير • ومن غير المعروف تماما تاريخ هجرهم للدير ولكن من المحتمل أن يكون آخر راهب قد هجر الدير فى بداية القرن السابع عشر عندما عاش القطر كله فى فوضى ، وأضحى فريسة لهجمات البدو والمماليك • وقد تحقق من موقع الدير الزوار الذين وفدوا للتحرى عن الأديرة المهجورة فى القرن التاسع عشر ومن بينهم بلزونى فى سنة ١٨١٩ ، وويلكنسون فى سنة ١٨٣٢ والألمانى شوينفورث فى سنة ١٨٨٦ وذكروا أن بعديه كانا ٥٥ × ٦٧ مترا وأن أسواره الخارجية وكنيسته كانت جميعها مبنية بالكتل الحجرية •

وكان شوينفورث آخر أوروبى يزور دير الأنبا صموئيل المهجور • وفي سنة ١٨٩٨ ترك راهب يدعي القمص اسحاق من دير البراموس

ومعـــه عشرة من تلاميذه أديرتهـم في وادى النطـرون وعمروا ديــر الأنبا صموئيل مرة أخرى • وعلى مدى ما يزيد على نصف قرن أعـــاد أبونا اسحاق بمعاونة رهبان آخرين كان عددهم يختلف من وقت لآخر ولكنه لم يقل أبدا عن أربعة ، بناء الدير القديم • وقد قاموا بهدم الكثير من المباني القديمة واستخدمت أحجارها مرة أخرى • وأقيمت مبان أخرى • كما طهرت البئر التي بداخل الدير وخصصت للغسيل والرى • وحفرت بئر جديدة خارج الأسوار كان ماؤها مالحا ولكنه صالح للشرب •

ويوجد في دير الأنبا صموئيل حاليا ثلاث كنائس ، كنيسة القبر المقامة أسفل الحصن ويعود تاريخها الى القرن الخامس الميلادى ، وقد استخدمها الرهبان في القـــرن التاسع عشر عنـــدما جاءوا الى دير الأنبا صموئيل مباشرة (*) • وتوجد كنيسة القديس صموئيل عند قمة الحصن وقد أقامها أبونا ابراهيم الذى خلف أبانا اسحاق • وفي الستينيات من القرن العشرين تم تكريس كنيسة جديدة على اسم القديسة العذراء مريم ، وبها تسع قباب وقد صمم بناءها رهبان دير الأنبـــا صـــموئيل أنفســـهم حيث كان يوجد بينهم ثلاثة من المهندســـين المتخصصين في الهندسة المدنية •

وفي سنة ١٩٥٩ كان البـــابا كيرلس السادس هو أول بابا يتم اختياره من دير الأنبا صموئيل •

دير أبو مينا (القديس مينا العجائبي)

يوجد الكثير من أضرحة الشهداء في مصر ولكن أشهرها هو الخاص بالقديس مينا ، الذى يبعد حوالى ٧٠ كيلو مترا غرب الاسكندرية ، في منطقة مريوط • وفي عصر الامبراطور قنسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧) بنيت

(*) ذكر ابو المكارم في تاريخه أن مدخل الحصن كان من داخل الكنيسة بسقالة وأن الرهبان كانوا يدفنون موتاهم تحت الحصن وبذلك يكون هذا المدفن أسفل الكنيسة (انظر كتاب : تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ـ دكتور رؤوف حبيب المدير السابق للمتحف القبطي ، ص ١٥١) ـ (المترجم) •

كنيسة صغيرة فوق مقبرة القائد العسكرى الشهيد القديس مينا • وبعد ذلك بسنوات قليلة بنى البابا أثناسيوس أول كنيسة فى هذا المكان على اسم القديس مينا • وسرعان ما اتسع صيتها كمكان لحدوث المعجزات ، وتقاطر الحجاج من كافة أنحاء العالم المسيحى لزيارة هذا الضريح الذى تحدث فيه معجزات الشفاء • وقد قام البابا ثيوفيلوس (٣٨٤ ــ ٤١٢) بتوسيع الهيكل ببناء كنيسة بازيليكية ضخمة أطلق عليها اسم الامبراطور الحاكم فى ذلك الوقت فسميت كنيسة أركاديوس • وقد امر الامبراطور زينون (٤٧٤ ــ ٤٩١) ببناء مدينة كبيرة بها قصر ملكى بالقــــرب من الضريح الذى قام هو نفسه بزيارته ، وأصدر مرسوماً يقضى بأن يقوم ١٢ الف جندى بحراسة هذا المكان المقدس ضد هجمات البدو • وتم تقدير عدد الكهنة الذين كانوا يخدمون فى الضريح بعدة مئات • ولابد أنه كان هناك آلاف من العمال وأصحاب المحلات التجارية الذين كانت أعمالهم تنحصر فى عمل وبيع القوارير الفخارية التى كان الحجاج يحملون فيها الزيت من القنديل المشتعل طوال النهار والليل أمام ضريح القديس مينا ثم يأخذونها الى مواطنهم • وكانت هذه القوارير تزدان بمنظــــر يمثل القديس واقفا بين جملين • وفى سنة ١٩٠٧ اكتشف علماء الآثار حمامات حول ضريح القديس مينا وقد أدى هذا الاكتشاف الى عمل مقارنة بين حمامات القديس مينا وحمامات قرية لوزد •

وهبطت أهمية ضريح القديس مينا بعد الفتح العربى • وفى سنة ١٨٣٦ نزع الخليفة المعتصم أرضيات الكنيسة المصنوعة من الفسيفساء والرخام الملون ونقلهــــا الى ســـامراء • وفى نفس القرن دمر البـــدو الضريح • وكانت الكنيسة مازالت موجودة فى القرن الثـــانى عشر • أما المدينة فقد تحولت الى أنقاض • وظل الضريح غير معروف المكان حتى كشفت عنه فى عامى ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ بعثة ألمانية قادها العـــالم كوفمان • وفى سنة ١٩٥١ أعيد الحفر فى نفس المنطقة • وبعد ثمانى سنوات قرر البابا الجديد الأنبا كيرلس السادس بناء دير وكنيسة

هناك • وقد وضع حجر الأساس الى جوار خرائب كنيسة القديس مينا القديمة ، وكتب عليه ما يلي :

« دير مارمينـا العجايبى • وضــع حجر اساسه بيده المبـاركة قداسة البـابا المعظم الأنبا كيرلس الســادس بابا الاسـكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية • وذلك فى يوم الجمعة المبارك ١٧ هاتور ١٦٧٦ ش ـ ٢٧ نوفمبر ١٩٥٩ م » (*) •

وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ كرس البابا كيرلس القلالى الأولى وكنيســة صغيرة على اسم القديس صموئيل • وكانت هذه هى المرحلة الأولى فى بنـاء الدير الجديد • وقد ازدانت الكنيســة بالعديد من الأيقونات التى جلب بعضها من كنيسة القديس مينا بمصر القديمة •

وفى فبراير ســنة ١٩٦٢ ، أحضرت رفات القديس مينـا من دير القديس مينا (دير مارمينا) بالقــاهرة ، حيث كانت محفوظة هنـاك منذ أواســط القرن الرابع عشر ، ووضعت لتستريح فى دير القديس مينا الحديث البناء فى مريوط •

توابـع (ملاحـق) الأديرة

تقع جميع الأديرة القبطية فى الصحراء فيما عدا دير المحرق • وكان من الضرورى اقامة توابع أو مراكز للتموين فى المناطق المزروعة ، بحيث يتاح لسيارات النقل أن تنتقل بينها وبين الأديرة ذهابا وايابا • وتتكون هذه التوابع عادة من كنيسة ، ومزرعة وقلالى للرهبان العاملين بها وبعضها يتضمن مقارا للأسقفيات ، وهى بذلك تكتسب أهمية ادارية •

ويقع ملحق دير الأنبا أنطونيوس فى بلدة بوش على الضفة الغربية للنيل على بعد حوالى ١٢٠ كيلو مترا من القاهرة • أما المبـانى الحاليـة

(*) هذا هو النص الاصلى المكتوب باللغة العربية ، وقد نقلته عن صورة فوتوغرافية للحجر ـ (المترجم) •

فهى تعود الى سنة ١٨٨٠ ، مع أن الكنيسة المكرسة على اسم القديس أنطونيوس قد بنيت قبل ذلك بعامين • أما ملحق دير الأنبا بولا فيقع على بعد ٢٠٠ متر الى الشمال الغربى لملحق دير الأنبا أنطونيوس • وقد بنيت كنيسة الأنبا بولا قبل سنة ١٨٧٠ بقليل • أما بقية المبانى ــ المقر الأسقفى وبعض القلالى ــ فقد أقيمت حوالى سنة ١٨٧٥ •

ويقع ملحق دير البراموس فى طوخ دلكه بمحافظة المنوفية • وقد أنشىء فى القرن الثامن عشر • أما كنيسته المكرسة على اسم القديسة العذراء مريم فقد بنيت فى سنة ١٨٧٦ • وكذلك يقع ملحق دير القديس مكاريوس أيضا فى محافظة المنوفية ببلدة أتريس ، وقد بنى فى القرن التاسع عشر مكان دير من القرن الخامس • وهو يعتبر أكبر ملاحق أديرة وادى النطرون • وتشتهر كنيسته المكرسة على اسم القديس مكاريوس بحامل الأيقونات البديع الواقف امام الهياكل • أما ملحق دير الأنبا بيشوى فقد كان هو أيضا فى أتريس ، ولكنه انتقل الى قرية كفر داود فى بداية القرن التاسع عشر • وهو يتكون من قلالى للرهبان وسقائف للتخزين ودار للضيافة ، ثم المقر الأسقفى وكنيسة الأنبا بيشوى التى بنيت سنة ١٩٥١ • أما ملحق دير السريان فهو أيضا فى أتريس على بعد حوالى كيلو متر واحد شرق ملحق دير القديس مكاريوس • وقد بنى حوالى سنة ١٨٣٠ ويتكون من قلالى ، وأماكن للتخزين ، ودار للضيافة وكنيسة القديسة العذراء مريم •

أما ملحق دير القديس صموئيل ، فهو فى قرية الزوارة غرب مغاغة • ويتكون من كنيسة ودار للضيافة . والقليل من القلالى وسقائف للتخزين واسطبلات لدواب الحمل •

وكانت الأديرة حتى سنة ١٩٤٧ ، تدار بالطريقة التقليدية أى بواسطة الرئيس الأعلى (القمص) الذى ينتخبه الرهبان • ومنذ هذا التاريخ أصبحت الأديرة تحت رعاية أسقف • .

٨ ـ اللغة والفن والعمارة

اللغـــة

ان اللغة القبطية التى كان يستخدمها سكان مصر الأقبـاط هى نفس لغة أجدادهم ـ المصريين القدماء ـ بالرغم من أن اللغـة القبطيـة تختلف كثيرا عن اللغـة التى كان يتحدثها المصريون الذين بنـوا الهرم الاكبر منذ ما يزيد على ٢٥٠٠ سنة ق٠م٠ وكانت اللغة المصرية القديمة تكتب بأسـاليب مختلفة : الهيروغليفيـة وكانت تستخدم فى النقوش الأثرية ٠ والهيراطيقية وكانت شكلا من أشكال الهيروغليفية يشبه اليوم خط اليد المشبك ، وكانت تستخدم لكتابة الوثائق على أوراق البردى ٠ أما الديموطيقية فهى شكل مختصر من الهيراطيقية ، وبدأ اسـتخدامها حوالى سنة ٧٠٠ ق٠م٠ خلال العصر اليونانى الرومانى ، حيث أصبحت الديموطيقية هى لغـة الكتـابة العادية التى تستخدم فى شئون الحياة اليومية ، على الأقل بالنسبة لهؤلاء الذين يجيدون الكتابة ـ فقد كانت غالبية المصريين من الأميين الذين يعتمدون على خدمات الكتبة المحترفين لقراءة أو كتابة وثائق المعاملات والمراســلات والخطابات الشـخصية والوصايا ٠ وفى خـلال القرن الأول ان لم يكن قبله أصبح من الواضح أن أساليب وأشكال الكتابة القديمة لم تعد مناسبة للتعبير عن اللغة المصرية حيث كانت كلها مشوبة بنفس القصور المتمثل فى افتقارها الى الحروف المتحركة التى تتعلق بالنطق ، ولم تتضمن الا الحروف الساكنة ٠ وعلى أية حال ، فان فهم اللغة الهيروغليفية كان قد أخذ فى الاضمحلال ٠ وأحدث نقش هيروغليفى معروف ، هو ذلك الذى وجد فى جزيرة فيلة

بالقرب من أسوان ويعود تاريخه الى سنة ٣٩٤ ميلادية ، وفي القرن الخامس الميلادى اختفى فهم الهيروغليفية نهائيا • وقبل ذلك بمدة طويلة بذلت محاولة لتسجيل النطق الدقيق للكلمات خاصة تلك الموجودة فى النصوص السحرية أو النصوص المقدسة • ولتحقيق هذا الهدف ، بدأ المواطنون المصريون فى استخدام شكل جديد من أشكال الكتابة ، فاقتبسوا الأبجدية الاغريقية وعدد حروفها ٢٤ حرفا ، وأضافوا اليها عددا من العلامات التى استعاروها من الديموطيقية للتعبير عن الأصوات وهى موجودة حاليا فى اللغة القبطية ، ولكنها غير موجودة فى الاغريقية ، وتم اختصار عدد العلامات الديموطيقية الى سبعة •

أصبحت اللغة القبطية تتكون من ٣١ حرفا ، وهى ٢٤ حرفا تمت استعارتها من الاغريقية وهى :

شكل الحرف	Ⲁ	Ⲃ	Ⲅ	Ⲇ	Ⲉ	Ⲍ	Ⲏ	Ⲑ
اسم الحرف	الفا	فيتا	غما	دلتا	أى	زيتا	أيتا	ثيتا
نطق الحرف	أ ، همزة	ب ، ف	ج، غ، ن	د ، ذ	مثل A	ز	إ ، ى	ت ث ط
شكل الحرف	Ⲓ	Ⲕ	Ⲗ	Ⲙ	Ⲛ	Ⲝ	Ⲟ	Ⲡ
اسم الحرف	يوتا	كبا	لقلا	مى	نى	اكسى	اوميكرون	بى
نطق الحرف	إ ، ى	ك	ل	م	ن	مثل X	او قصيرة	ب
شكل الحرف	Ⲣ	Ⲥ	Ⲧ	Ⲩ	Ⲫ	Ⲭ	Ⲯ	Ⲱ
اسم الحرف	رو	سيما	طاف	ابسلن	فى	كى	ابسى	اوميجا
نطق الحرف	ر	ز س ص	ت د ط	ف و ى	ف	خ ش ك	ابس	او طويلة

وسبعة من الديموطيقية وهى :

شكل الحرف	Ϣ	Ϥ	Ϧ	Ϩ	Ϫ	Ϭ	Ϯ
اسم الحرف	شاى	فاى	خاى	هورى	جنجا	تشيما	تى
نطق الحرف	ش	ف	خ	هـ	ج ، چ	تش	تى

وتعود أقدم النصوص المتوافرة لدينا والتى كتبت بهذا الشكل الجديد الى القسم الأخير من القرن الأول الميلادى أو بداية القرن الثانى ، ويتضح لنا من تلك النصوص أن الشكل المعروف باسم : اللغة القبطية القديمة حاليا ، قد ظهر بين غير المسيحيين •

ولم يمض وقت طويل حتى توحدت اللغة القبطية وتحولت الى لغة أدبية لها قواعد فى النحو والاملاء خاصة بها • وكان الدافع لتحقيق ذلك هو الحاجة الى تقديم ترجمة الكتاب المقدس الى المصريين من غير المتحدثين باليونانية خارج الاسكندرية والى تجمعـــات الاغريق التى كان أفرادها يتحولون الى المسيحية • ويعود أقدم استخدام للغة القبطية لتحقيق هذا الغرض الى القرن الثالث الميـــلادى وكانت تتكون حينذاك من قاموس للمصطلحات الاغريقية وما يقابلها بالقبطية ، وذلك من خلال سفر اشعياء ، ومن مجموعة مفردات يونانية / قبطية لسفر هوشع وسفر عاموس ، ويعود تاريخ أقدم نسخ مكتوبة باللغة القبطية لأسفار من العهدين القديم والجديد الى النصف الأول من القرن الرابع • أما كتـــابات الهراطقة الغنوسيين والمانويين باللغة القبطية ؛ والتى ظهرت فى خلال القرنين الثالث والرابع فهى أيضا باقية (*) • أما أكثر الكتابات قدما وهى المدونة باللغة القبطية فانها كتابات المصريين من أمثال القديس أنطونيوس والقديس باخوميوس والذين كانت كتاباتهـم عبارة عن سير القديسين والرسائل وقواعد السلوك الذى تسير عليه أديرتهم • وكان الأنبا شنودة هو أكثر الكتاب انتاجا وأكثرهم وطنية • وقد كتبت معظم هذه النصوص على الرق (الجلد) بالرغم من كتابة العديد منها على أوراق البردى أو على الحجر أو قطع الفخار (أوستراكا) • واستمر الفلاحون أميين ، أما غالبية النسخ الباقية من الوصـــايا القبطية ، ووثائق عقود الزواج والمعاملات

(*) الغنوسيون أو العـارفون أتبـاع مذهب حاول التوفيق بين الدين المسيحى الجديد والأديان القديمة ، وكانت قد اقيمت له مدرسة بالاسكندرية فى القرن الثـامن واعتقد أتباعه أن المادة ابدية وحيوية ، وأن المسيح شخصان الانسان يسوع وابن الله أو المسيح • والمسيح الاله الذى دخل فى المسيح الانسان حين اعتمد من يوحنا المعمدان وتركه حين قبض عليه اليهود • وقد وضعوا لاتباعهم شرائع تبيح الفسـاد • وقد انقرضت آخر شيعـة لهذه الفلسفة فى القرن السادس • اما المانوية فهى بدعـة قادها هرطوقى يسمى مانى كان اسيرا فى بلاد الفرس • وقد حاول أن يخلط بين ديانة المجوس والديانة المسيحية ووضع انجيلا أسـماه (ـ أرتن) قال انه موحى به اليـه من الله بعـد أن رفض الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد • وبعـد موت مانى ظل أتباعه فترة طويلة يعملون على نشر تعاليمه حتى اندثرت ـ (المترجم) •

التجارية فقد كتبت ــ كمـــا هي العادة عند قدماء المصريين في مصر الفرعونية ــ على يد الكتبة المحترفين وكاتبي الخطابات • وبقيت وظيفة كاتب الخطابات ضمن معالم حياة المصريين حتى القرن الحالى •

وربما كانت أهم النصوص القبطية هى تلك التى وجدها الفلاح محمد علي السمان فى ديسمبر ١٩٤٥ عندما كان يحفر من أجل السباخ وهو مواد نباتية متحللة فى الأرض تستخدم كسماد أزوتى • وقد وجدها بالقرب من نجع حمادى فى مصر العليا ، فوق جبل الطارف وهو جبل مليء بما يزيد على ١٥٠ مغارة كانت تستخدم كمدافن خلال العصر الفرعونى • قام محمد على بفتح جرة من الصلصال الأحمر يبلغ ارتفاعها مترا وعندما كسرها اكتشف محتوياتها ــ ١٣ كتابا من البردى مربوطة فى أغلفة من الجلد • وبعد الكثير من تقلبات الأيام التى شهدت حرق العديد من صفحات الكتب أو رميها أو فقدها ، وصلت هذه المحتويات الى أيدى الدارسين ، الذين اكتشفوا أن النصوص المتبقية وعددها ٥٢ نصا كانت مجموعة عجيبة من الأناجيل المسيحية القديمة بين أشياء أخرى ، لم تكن معروفة من قبل • ومجموعة من الأقوال نسبت الى أتباع المسيح منها ــ الرسالة السرية ليعقوب ، رؤيا بولس ، خطاب بطرس الى فيليب ، ورؤيا بطرس • وكان واضحا من نوعية الخط القبطى والبرديات ذات التاريخ التى استخدمت لتقوية الأغلفة الجلدية أن نصوص نجع حمادى قد ترجمت الى القبطية عن أصول يونانية قبل ذلك بحوالى ١٥٠٠ سنة بين عامى ٣٥٠ ــ ٤٠٠ ميلادية • وكان هناك خلاف حول تاريخ الأصول الاغريقية ، فمن المحتمل أن بعضـــها يعود الى النصف الثـــانى من القرن الأول الميـــلادى •

ويبدو أن نصوص نجع حمادى تبين لنا أشكالا مبكرة من التعليم المسيحى الذى يكشف عن أن الكنيسة الأولى كانت أقل تماسكا مما كان يظنه العلماء قبل هذا الاكتشاف ، وكانت المسيحية فى القرن الثانى قد تحولت الى مؤسسة يديرها سـلم وظيفى مكون من الأساقفة والقسوس والشمامسة الذين اعتبروا أنفسهم حفظة للعقيدة الواحدة الصحيحة ،

والذين لا يمكن نوال الخلاص الا عن طريق كنيستهم وحدها • وكان أى شخص يتحدى تعليمها يوصم بالهرطقة • وكانت أخطر الهرطقات التى تحدت الكنيسة الأرثوذكسية هى هرطقة الغنوسيين ، الذين كانت أفكارهم عن شخص السيد المسيح تختلف عن أفكار الكنيسة الأرثوذكسية وقد صيغ قانون الرسل ، أول اعتراف بالايمان ـ في روما حوالى سنة ١٥٠ للميلاد لمحاربة معتقدات هؤلاء الغنوسيين • وتعتبر نصوص نجع حمادى من الفكر الغنوسى الذى لقى مقاومة شديدة في القرن الرابع عندما أصبحت المسيحية الأرثوذكسية هى العقيدة المسموح بها فى الامبراطورية (*) ونصوص نجع حمادى قد أفلتت من المصير الذى آلت اليه الكتابات الغنوسية والهرطوقية الأخرى ، التى أحرقت حسب أوامر الأساقفة الذين اعتبروا حيازة هذه الكتابات جريمة ، وربما يعود الاحتفاظ بها الى جهود راهب من دير القديس باخوميوس في نجع حمادى (اسمها القديم : تشينوبوسكيون) • وقد دفن الراهب غير المعروف هذه الوثائق فوق جبل الطارف حيث بقيت مخفية على مدى حوالى ١٦٠٠ سنة حتى ظهرت في اكتشاف يشبه فى أهميته اكتشاف لفائف البحر الميت •

ولابد أن اللغة المصرية القديمة كانت لها لهجات عديدة لم تشر اليها النصوص المدونة ، وفي الوقت الذى تطورت فيه لتصبح اللغة القبطية ، من المحتمل أن لهجاتها الرئيسية كانت خمس لهجات ، تنتمى كل لهجة منها الى منطقة محددة من المناطق المصرية :

١ ـ اللهجة البحيرية ، ومن المحتمل أنهـا كانت لهجة ممفيس والدلتـا •

(*) الأرثوذكسية هى صفة المسيحية للكنيسة الواحدة قبل الانشقاق الذى حدث فى مجمع خلقيدونية • ويبدو أن الكاتبة هنا لا تقبل حرص رجال الكهنوت على وحدة التعليم المسيحى المسلم من الآباء الرسل الذين أخذوه عن السيد المسيح وأسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد • وهى بذلك تعترض على المحافظة على هذه التعاليم المقدسة ولا ترى غضاضة فى قبول التعاليم المخالفة ربما انطلاقا من مبدأ حرية الرأى والاعتقاد الذى تطرف الغربيون فى تطبيقه ـ (المترجم) •

أقباط مصر .

٢ ـ اللهجة الفيومية ، وكانت هى المستخدمة فى المنطقة المحيطة بواحة الفيوم •

٣ ـ اللهجة الأخميمية ، وكانت هى المستخدمة فى المنطقة التى تحيط بمدينة أخميم فى مصر العليا •

٤ ـ اللهجة دون الاخميمية ، ومن المحتمل أنها كانت مستخدمة فى منطقة أسيوط فى مصر العليا •

٥ ـ اللهجة الصعيدية ، وكانت مستخدمة فى منطقة طيبة (الأقصر الحالية) واللهجة الصعيدية هى الشكل الكلاسيكى المستخدم فى الأدب والكتابة (*) وقد نالت هذا الامتياز لأن كتابات القديسين شنودة وباخوميوس كانت بهذه اللهجة • واللهجة البحيرية هى المستخدمة فى قداس الكنيسة على أيامنا هذه نظرا لأنها كانت هى اللهجة المستخدمة فى وادى النطرون • حيث اتخذ البابا القبطى مقره هناك فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى •

وبعد الفتح العربى فى سنة ٦٤١ م بدأت الكنيسة القبطية واللغة القبطية فى التدهور معا ، وأثناء القرن الحادى عشر بدأت نصوص القداس وقواعد النحو ومعانى المفردات الخاصة باللغة القبطية تظهر فى المخطوطات مكتوبة باللغتين القبطية والعربية • وبعد ذلك بمدة قرنين حلت اللغة العربية محل القبطية كلغة للأدب برغم أن العامية القبطية ظلت هى لغة الكلام حتى القرن الخامس عشر حسب ما ذكره المؤرخ العربى المقريزى وذلك فى قرى الوجه القبلى • وتحولت القبطية الى لغة ميتة فى القرن السادس عشر ، ولم تعد محفوظة الا فى قداس الكنيسة • واليوم فان القبطية تستخدم فى الكنيسة القبطية مثلما كانت

(*) هناك لهجة اخرى كانت مستخدمة فى وسط الدلتا واندثرت وهى اللهجة البشمورية ـ (المترجم) •

اللغة اللاتينية تستخدم فى الكنيسة الكاثوليكية حتى وقت قريب . برغم أن حظ اللغة القبطية قد انقلب رأسا على عقب •

ان اللغة القبطية تمثل المرحلة الأخيرة من لغة مصر الفرعونية المكتوبة ليس بالهيروغليفية ولكن بالشكل اليونانى الأكثر سهولة ، ومازالت مستخدمة حتى اليوم بطريقة محدودة • ولذلك كانت القبطية ذات أهمية قصوى بالنسبة لعلماء اللغة ابتداء من شامبليون فى القرن التاسع عشر ، الذى ساعدته معرفته للغة القبطية على فك طلاسم الهيروغليفية ، حتى هؤلاء الذين يعيشون فى أيامنا هذه ، وقد اشتقت كلمات قبطية عديدة من اللغة المصرية القديمة (*) • أما الميزة التى يتميز بها النص القبطى فهى أنه يبين الأصوات الحركية وبذلك أصبح من السهل تأكيد نطق الكلمة المصرية • وعلى سبيل المثال فان الكلمة المصرية التى تعنى السماء (بت) يقابلها فى القبطية (بى) بما يعنى أن حرف (التاء) حرف ضعيف وربما كان صامتا لا ينطق فى العصر القبطى • ويمكن استنتاج أن الكلمة الدالة على السماء فى اللغة المصرية أصبحت تنطق (بيت) ويشبه ذلك اسم مصر ذاته الذى ينطق (كمت) فى اللغة المصرية أصبح ينطق (كيمى) فى اللغة القبطية . ويبدو من ذلك أن الكلمة المصرية كانت تنطق (كيميت) • وسيوضح لنا هذا المعنى الاشتقاق التالى الذى اقتبسناه من الصلاة الربانية بالخط الهيروغليفى وفى مقابله الاشتقاق القبطى كما يلى :

« يا أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك » • (انظر الشكل المرفق) •

(*) أورد نيافة الدكتور الأنبا غريغوريوس مجموعة لا بأس بها من كلمات لغة المصريين القدماء التى تحولت الى اللغة القبطية ومازالت مستخدمة حتى اليوم فى العامية المصرية ، وذلك فى المقدمة التى كتبها للترجمة العربية لكتاب الرحالة الفريد بتلر عن الكنائس القبطية القديمة ـ (المترجم) •

النص الفرعونى القديم ويتكون من :

١ ـ اربع كلمات هيروغليفية

٢ ـ وتطق كل منها بالعربيـة

٣ ـ ثم المعنى بالعربيـة

هيروغليفى	[hieroglyphs]	[hieroglyphs]
النطق بالعربى	(بوت)	(إيت)
المعنى بالعربى	سموات	أب
هيروغليفى	[hieroglyphs]	[hieroglyphs]
النطق بالعربى	(وارب)	(ران)
المعنى بالعربى	ليتقدس	إسم

النص بالقبطية — Ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲧϧⲉⲛ ⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ Ⲙⲁⲣⲉϥⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛⲝⲉ ⲡⲉⲕⲣⲁⲛ

ومعناه بالعربية — أبانا الذى فى السموات ليتقدس أسمك

١ ـ معنى كل كلمة من القبطية

٢ ـ ثم النطق بالعربيـة

٣ ـ ثم المعنى بالعربية

النص بالقبطية	ⲡⲉⲛ	ⲓⲱⲧ	ⲉⲧ	ϧⲉⲛ	ⲛⲓ	Ⲫⲏⲟⲩⲓ	١ ـ
النطق	بيّن	يوت	إت	خين	ني	فيؤوى	٢ ـ
المقابل بالعربية	ضميرملكية(نا)	أب	الذى	فى	ال	السموات	٣ ـ
النص بالقبطية	ⲙⲁⲣⲉ	ϥ	ⲧⲟⲩⲃⲟ	ⲛⲝⲉ	ⲡⲉⲕ	ⲣⲁⲛ	١ ـ
النطق	مارى	ف	توفو	إنجى	بيك	ران	٢ ـ
المقابل بالعربية	أداة التمنى (ل)	ضميرغائب (هو)	يتقدس	أداة فاعل	ضمير ملكية (ك)	أسم	٣ ـ

الفن القبطى

كان انتاج الفن القبطى مقصورا على الأديرة والكنائس الخاصة بذلك العصر ويتكون من رسم اللوحات والنحت الذى كان معظمه على الحجر مع بعض الأدوات البرونزية الصغيرة ، والعظام ، وأحيانا العاج ، وعلى النسيج ، وفى عمارة المبانى نفسها ·

رسم اللوحات

ظهر فن الرسم القبطى انطلاقا من رد الفعل القومى للأقباط ازاء محتليهم من الاغريق والرومان · ولم يعد ذلك الميل الى قدماء المصريين ليستلهم منهم : لقد اتجه الاسكندريون الأغنياء المتشبهون بالاغريق نحو الفن الرومانى المتأخر الذى كان مزدهرا فى كافة أنحاء الامبراطورية الشرقية ، بينما أنشأ مواطنوهم الفقراء فى الأقاليم الأخرى مدرسة وطنية خاصة بهم ·

ويتخذ الوجه الانسانى فى الفن القبطى أشكالا هندسية عن طريق تكرار الخطوط الرأسية والأفقية ونصف الدائرية بقدر الاستطاعة ـ فالأنف على سبيل المثال عبارة عن قسم رأسى شديد · أما العينان والحاجبان فيمثلها مجموعات من أنصاف الدوائر · ولم تحدث أية محاولة لتقديم تمثيل حقيقى لشخص حقيقى ·

أما التفصيلات مثل الأذنين والفم فترسم بطريقة زخرفية وغير طبيعية مع الشعر الذى يحيط بالرأس كاطار فى شكل تجعيدات حادة أو خصلات ملتوية · أما الشكل البشرى فيمثل بالخطوط الخارجية دون بذل أى محاولة تدل على حركة الجسم أو تبين الاختلافات فى الضوء والظل · لقد كان الفنان القبطى يكره الفراغ ولذلك فقد ملأ كافة الفراغات المتاحة بالحلى ، والزخارف والأشجار والنباتات أو الحيوانات وهو يشترك فى هذا الميل مع أسلافه من المصريين القدماء ·

وبرغـم أن طـــراز الرســـــم القبــطى يذكرنا لاول وهلة بالفن البيزنطى الا أنه يتشابه مع الطراز المصرى القديم فى نواح عديدة • وعلى آية حال فان التمثيل النموذجى للوجه الانسانى يختلف فى كل منهما عن الآخر • كان الفنان المصرى القديم يرسم الرأس من الجانب أى من مقطع رأسى مع رسم عين واحدة تملأ الوجه • أما الفنان القبطى فقد فضل أن يرسم الراس فى المواجهة أى باظهار كامل الوجه ، ولكنه لم يستخدم نموذجا انطباعيا أو طبيعيا ، كما أنه لم يبين الضوء أو الظل • وعلى سبيل المثال ، فان الرسام المصرى القديم وضع ألوانه متجاورة ببساطة ـ على نطاق محدود ـ لأن الرسم لم ينفذ أصــلا على السطوح المستوية ولكن فى سطوح النحت غير المتساوية فى الارتفاعات ، وحيث كان السطح غير المستوى للحجر المنحوت الذى يعلوه الرسم يعكس الضـوء والظل وحــده •

وفى العصر القبطى المبكر ســـــاد الطراز الاسكندرى ، ولكن بعد انفصال الأقباط ذوى الفكر الذى يطبق مذهب الطبيعة الواحدة عن بقية المسيحيين الذين اتبعوا الفكر الخلقيدونى سنة ٤٥١ ، تطور الطراز الوطنى الاقليمى وازدادت أهميته ، ولكن الطرازين كليهما لم ينفصلا عن الديانة المسيحية لأن كافة الأعمال الفنية كانت تنفذ لأغراض دينية • وقد كان الطراز القبطى نمطيا ولكنه شديد التأثير • وقد ظهرت فيه البساطة فى تحديد الخطوط مع الافاضة فى التفاصيل بالرغم من غياب الايحاء بالجمال أو الرشاقة الذاتية ، التى كانت دخيلة وغير مرغوبة فى عالم المصريين الوطنيين ، وقد ظل منتشرا من القرن الخامس حتى القرن السابع ، وبعد ذلك اختلط الطرازان القبطى والاسكندرى وتدهورا معا ، ذلك أن المجتمع القبطى فى العصر الاســـــلامى كان يتكون من الفلاحين الفقراء وصغار موظفى الدولة ، مع الافتقار الى الوسائل أو الميول التى ترعى الفن • وابتداء من القرن السابــع فصاعدا لم يعد مشجعو الفن القبــطى الذى فقد الرعاية من أغنياء المجتمع المصرى قادرين على تقديم التدريب الرفيع ، أو الخامات اللازمة لتحقيق المســتويات الرفيعة فى

الانجاز . وخلت الأعمال الفنية من الأفكار الأصيلة ، ولكنها تأثرت بالفنون البيزنطية أو السورية أو الفارسية .

وتوجد الرسومات القبطية غالبا في الكنائس والأديرة خاصة كنائس الأديرة . وكما هو متوقع فان موضوعاتها دينية . وكثرت المناظر التى تمثل أحداث العهدين القديم والجديد ومنها على سبيل المثال ، آدم وحواء ، نوح والفلك ، دانيال في جب الأسود ، يونان والحوت ، يعقوب ، ابراهيم واسحاق ، الخروج ، مذبحة الأبرياء (أطفال بيت لحم) ، الهروب الى مصر ، لعازر ، عرس قانا الجليل ، أما المناظر المأخوذة عن حياة السيد المسيح فهى نادرة برغم وجود منظر عماده من يوحنا المعمدان ، والعشاء الأخير . وأكثر المناظر شعبية منظر العذراء حاملة الطفل يسوع محاطة أحيانا بالتلاميذ ، وكذلك المناظر القبطية التى تصور صعود السيد المسيح ، أو تصوير العذراء مريم مع الطفل يسوع والتلاميذ . وأغلب المناظر تصور السيد المسيح متوجا فى المجد . وتظهر صور العذراء المثيرة للانتباه فى أثناء البشارة والميلاد ، وفى مناظر أخرى خاصة بها مثل صعود جسدها الى السماء . وبعض الكنائس تصور القديس الذى تجعله شفيعا لها . مثل القادة العسكريين ومنهم مار جرجس مع مشاهير الرهبان والنساك . وبعد الانشقاق الذى حدث بين أتباع الطبيعة الواحدة وأتباع الطبيعتين ، فان اختلاف المذهبين قاد الى اختلاف موضوعات الرسوم القبطية وأصبحت الموضوعات التى ترسم فى الكنائس التابعة للطبيعة الواحدة محدودة فلم تعد هناك مناظر تصور ولادة السيد المسيح أو عملية الصلب ـ كما أعيد تحديد مناظر معينة مثل منظر العذراء وهى ترضع الطفل يسوع فقد حلت محلها مناظر تصورها وهى متوجة . وآخر هذه الرسوم التى مازالت موجودة نراها فى أديرة البجوات (واحة الخارجة) ، وباويط (بالقرب من ديروط فى مصر الوسطى) ، ودير الأنبا ارميا (سقارة) . وتوجد فى البجوات رسوم من القرن الخامس فى اثنتين من قاعات كنيسة الدير أولاها هى هيكل الخروج (سمى كذلك لوجود منظر الخروج على القبة من الداخل) وفى هيكل

الســـلام ، وبرغم أن موضـــوعات وأفكار الصـــور التى فى القاعتين متشابهة فان الطرازين مختلفـان ومنظر الخروج بدائى جدا ، أما منظر هيكل الســـلام فهو أكثر تطورا وتظهر به بعض المؤثرات الكلاسيكية الاغريقية • أما فى باويط والأنبا ارميا فان المناظر تدور حول موضوعات مختلفة على غير العـادة ، حيث تضمنت العديد من الأفكار غير الدينية مثل صيد الأسود ، وأفراس النهر ، والغزلان ، ووصل الأمر الى حد رسم صور وثنية مثل صورة ايروس (اله الحب الاغريقى) راكبا الفهد الأسود ، بالاضافة الى قدر كبير من الزخارف الهندسية الخالصـــة • أما كنيسة دير الأنبا أنطونيوس فيبدو أنها كانت فى الأصـــل تتضمن بعض اللوحات الفاخرة والمثيرة للاهتمام ، ولكن هذه المدحات ولســـوء الحظ ، أتلفت عند الاغارة على الدير فى القرن الخامس عشر ، أما تلك التى خلصت من الاغارة فقد وضعت عليها اللمسات الأخيرة على الأقل مرة واحدة خلال الفترة الوسيطة •

ولم تسمح مؤثرات الزمن ، وأنشطة الانسان التخريبية بالبقاء الا للقليل من اللوحات القبطية • وقد وصف الكتاب العرب فى مصر أثناء العصور الوسطى لوحات عظيمة منها تلك اللوحات الشهيرة التى فى ضريـح القديس مينا بالقـاهرة • ولكن هذه النماذج العظيمة للفن القبطى قد اختفت • ومن المؤســف أن نجـد أن النماذج التى تعرض لنا فن الرسم القبطى حاليـــا هى النماذج الرديئة الموجودة فى الكنائس المغمورة التى لم تصل اليها يد التخريب (*) •

(*) يخطىء من يظن أن اللوحات القبطية قد وضعت فى الكنائس للزخرفة أو الزينة ، ولكنها تؤدى خدمة دينية حيث تعرض أمام المصلين صورا للموضوعات المعبرة عن أحداث وشخصيات الكتاب المقدس أو أشخاص الأنبيـاء والرسل والقديسين ، ليستعيد المشاهد التفاصيل ويستنبط لنفسه الدروس التى يطبقها فى سلوك الحياة اليومية وبذلك فان دور هذه اللوحات يتجاوز مجرد الاستمتاع بالرسم والالوان الى التمـاس العبرة الروحية لانها اداة للتعليم ووسيلة ايضاح مثل المواعظ والكتب الدينيـة ـ (المترجم) •

فــن النحت

تتكون نماذج النحت القبطى المبكر من بقايا أعمال وجــدت فى موقعين بمصر الوسطى وهما البهنسا واهناسيا المدينة • ويرجع زمنهما الى القرن الرابع الميلادى • ولم نجد فى هذين الموقعين الا شظيات من النحت انفصلت عن أصولها ، وقد نقلت الى المتحف اليونانى الرومانى بالاســـكندرية ، والى المتحف القبطى بالقاهرة بالترتيب • ويبــدو أن معظم القطع قد أخذت من مبان غير مسيحية وهى عبارة عن أجزاء معمارية مثــل تيجــان الأعمدة ، والأفاريز والحنيات والمحــاريب التى زخرفت بشرائط ملتفة من زهرة الأكانثي وأوراق الكرمة ، وقد اختلطت أحيانا بصور الطيور والحيوانات ، والتكوينات الهندسية والأشكال البشرية • وينتمى طراز الزخرفة الى النموذج الهلينستى وبالرغم من أن الأشكال المنحوتة فى مثل هذه الارتفاعات البارزة قد انفصلت عن الأرضية المحيطة بها ، الا أنها قبطيــة الطراز ، بالنظر الى الرؤوس الكبيرة بالنســبة للأجســام والشعر الشديد التجعيد ، أما الموضــوعات فهى ماخوذة عن أصول وثنية أو أساطير كلاسيكية منها : الحوريات ، وبنات اله البحر نيريوس وهن راكبـــات الدرافيــل فى معظم الأحــوال . والالهة ليدا والبجعة ، وهيراقليوس ، ودايونيســوس ، وأفروديت وهى تخرج من البحر أو من صدفة على شكل المروحة ، أو أزواج على شكل ايروس ، ورسم صور شخصيات تمثل النيل، والأرض، أو نظرية (اليوهيميرا)(*) والهة الحظ •

ويعود تاريــخ معظــم نماذج النحت الموجــودة الى ما بــين القرنين الخامس والتاسع • وتماثيل الأشخاص الواقفة غير معروفــة لدى الأقباط (**) • ولذلك فان النحت القبطى يتكون من الأعمال الحجرية

(*) هى نظرية أوهيميروس الذى قال بأن الآلهة القديمة هى ملوك وابطال الهتهم شعوبهم — (المترجم) •

(**) ان التماثيل سواء كانت واقفة أو فى أى وضع أو نصفية غير مسموح بها فى الكنيسة القبطية ، لأن الوقوف حيالها يماثل الوقوف والسجود الذى كان يقدمه الوثنيون لآلهتهم المصنوعة من الحجر — (المترجم) •

المنحوتة التى بالأديرة والكنائس على شكل قطع معمارية خاصة المحاريب والأفاريز وتيجان الأعمدة • وأكثر نماذجها اثارة للانتباه هى تلك المحفورة على شكل سلال تحتوى على أرغفة وأسماك من الحجر •

ومعظم هذه القطع لا يعرف مصدرها الحقيقي ولذلك يصعب تحديد تاريخها بدقة • أما المادة المستخدمة ، فهى اما الحجر الجيرى أو الحجر الرملى ، بينما ضاعت القدرة على حفر الأحجار الصلدة كالجرانيت • وكانت الأعمال المحفورة ملونة الا أن اللون الأصلى قد اختفى حاليا • وربما كان استخدام الألوان قد أخفى الطراز المتخلف للنموذج وغياب التفاصيل الدقيقة • وبرغم أن النحت قد استخدم لزخرفة المبانى المسيحية فان الوحدات الزخرفية مازالت هى الوحدات التقليدية الموجودة فى البهنسا واهناسيا بالاضافة الى الصليب القبطى النموذجى ويسمى Cruxansata (صليب له مقبض) وهو مأخوذ عن علامة الحياة الهيروغليفية التى تسمى (العنخ) وهى الأثر الوحيد من فنون مصر الفرعونية الموجود فى أعمال الحفر القبطية • ولم يعم استعماله كشعار مسيحى الا مع بداية القرن السادس •

وبالتدريج أخذ النحاتون الأقباط يتأثرون بفنون التجمعات الأخرى فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح نموذجهم الخاص بهم أكثر تجريدا ، وأقل تغيرا ، وأكثر تبسيطا مع تكرار نفس النمط الأصلى على نفس الوتيرة فى الأفاريز • أما الحفر الغائر فقد أصبح أقل عمقا ، كما انفصل الشكل الدائرى عن الأرضية المحيطة به والنماذج المعبرة عنه هى تلك الموجودة فى اهناسيا والتى توقف انتاجها • وفى النهاية ، اختفت نوعيات الحفائر الغائرة التى تتضمن الأشخاص فيما عدا تلك التى على شواهد القبور •

وهناك أعداد كبيرة من شواهد القبور القبطية التى مازالت موجودة ، ويعود تاريخها الى القرنين السابع والثامن والشاهد منها يتكون من عمود حجرى محفور على سطح مستو مع صورة للمتوفى وهو واقف

رافعا ذراعيه فى وضع التضرع لله ، أو فى محاكاة واجهات المبانى مع رسم الطيور والصلبان التى تعتبر هي وحدات الزخرفة الشعبية ٠ وكانت شواهد القبور حتى القرن السادس محفور عليها زهريات أو وحدات نباتية أو علامة العنخ ، وأحيانا كانت تتضمن أشكالا مصغرة للمتوفى داخل حنيات ٠ وبعد هذه الفترة تحولت شواهد القبور الى الواح مستطيلة كبيرة بها أحيانا حليات مثلثة الشكل فوقها جمالون ، أو صغيرة لها قمم مستديرة ٠ وقد تضمنت معظم شواهد القبور نقوشا بسيطة تبين اسم ومكان المتوفى ، ومعها عبارة جنائزية مسيحية احيانا ، أو تتضمن تشفعا بأحد القديسين المحليين ، وأحيانا أخرى تتضمن تاريخ الوفاة مدونا حسب الفترة الزمنية (كانت الفترة تتكون من ١٥ سنة تدور فى شكل دورات متتالية حسب النظام الذى وضعه دقلديانوس لتسهيل الشئون الادارية) ٠ والقليل من الشواهد المتأخرة ، تتضمن نقوشا أكثر تفصيلا مدون بها انطباعات شعرية عن الموت ٠

الأدوات الصغيرة

كان من المعتاد صنع أدوات صغيرة من البرونز والعظام والعاج لتستخدم فى خدمة القداس منها المجامر (المباخر) البرونزية ، وعلب العطور ، والقناديل ، وأربطة الأرواب الاكليريكية ، والبراويز وأغلفة الكتب المزخرفة بالعظام والعاج ٠ وكانت أمشاط العظام والعاج التى حفرت فى أعلاها نقوش معقدة شائعة الاستعمال ٠ وقد استخدم الخشب بكثرة فى صنع الأدوات الصغيرة ، ولكنه استخدم أكثر لعمل حامل الأيقونات وأبواب الكنائس ، وأيضا لعمل المنابر المحفور عليها تصميمات مجردة بها أفاريز تصور على سبيل المثال ، السيد المسيح ، والعذراء ، والتلاميذ ٠ وقد أنتج الأقباط بعض الفخار الثمين مستخدمين ألواح الزجاج الملونة المركبة على قواعد من الصلصال ٠ وقد ضاع الكثير منها مع مرور الزمن خاصة بعد أن لجأ علماء المصريات الأوائل الى التخلص من « الزيادات المسيحية الخارجة عن موضوع البحث » — كما أطلق عليها ادوارد نافيل — ، والقائها بعيدا عن المواقع المصرية القديمة

التى تم حفرها دون أن يفحصوها • وهناك بقايا كثيرة من الفازات ، والأطباق ، التى تبين أن الكرمة ، وفروعها المتسلقة والحيوانات التى تشبه الغزلان والأسماك والطيور كانت هى الوحدات الزخرفية الشائعة وأصبحت نمطية ومتكررة •

النسيج

يظهر الفن القبطى كأحسن ما يكون فى النسيج ، وقد كان أسلوب التسنيج معروفا لدى المصريين منذ عصر ما قبل الأسرات (قبل سنة ٣١٠٠ ق٠م٠) وما بعده • وقد استخدم المصريون القدماء الكتان لصناعة التيل ، ولكن الصوف أصبح معروفا لدى النساجين المصريين فى العصر البطلمى ، ولذلك فقد ازدهرت مصانع التيل والصوف معا فى كافة أنحاء القطر •

ويعود الفضل الى عادات أقباط القرن الرابع وما تلاه فيما يتعلق بالدفن لأنها حفظت نماذج نسيج هذه الفترة فصارت أفضل من معظم النماذج الأخرى التى تمثل فنونهم • كان الموتى يدفنون وهم يرتدون الملابس التى كانوا يرتدونها فى حياتهم اليومية : الجلاليب ، والعباءات ، وأغطية الرأس ، والجوارب ، والصنادل ، والأحزمة • وكان الجسم يلف أحيانا فى كفن مصنوع من النسيج الذى يستخدم فى الستائر التى تعلق على الجدران • اما القبر فقد كان فى العادة حفرة بسيطة يتم حفرها فى الرمال دون أن تضاف اليها أية معالم من صنع الانسان ، وتوضع فيه الجثة ، أحيانا على لوح خشبى وان كانت فى غالبية الأحوال توضع فوق الرمال مباشرة • وكان الجسم يجف سريعا فى مثل هذه الظروف الشديدة الجفاف • أما المنسوجات التى فى القبر فلم تكن لتتحلل ، بل انها حفظت فى حالتها الأصلية ، كما هو واضح من المقبرتين القبطيتين الرئيسيتين فى أخميم والشيخ عبادة •

وتبين آلاف النماذج المتوافرة من التسنيج القبطى ، أن لوحات التسنيج الصوفى كانت واسعة الانتشار للتعليق على الحوائط ، والستائر ،

وأغطية المذبح ، وعمل الأطر الزخرفية على القماش مثل التونية وغيرها من نوعيات العباءات والثياب الفضفاضة التى تشد بالأحزمة ، وعلى سبيل المثال فان الثياب الفضفاضة مزخرفة بشرائط من الأطر الزخرفية من النسيج الصوفى مطرزة على الأساور والياقات ، مع شريطين رأسيين ممتدين من الكتفين الى طرف الثوب السفلى • ويبدو أن غالبية الثياب التى اكتشفت كانت مخصصة لاستخدام العلمانيين ، وحتى عندما كانت مخصصة لأغراض الاحتفالات فان هذه الاحتفالات لم تكن ذات طابع ديني •

وكانت لوحات النسيج الصوفي مصنوعة من الصوف الملون والخيوط غير المصبوغة المنسوجة على التيل ، باستخدام طرق عديدة منها سلسلة من الخطوط والنقط التى يرسمها مكوك سريع الحركة ، أو سلسلة من النقاط المتباعدة والتى تتجه نحو الاعوجاج ، أو سلسلة من الدورات الكاملة حول الخيوط المموجة ، بينما تتجه نحو لحمة النسيج وكان استخدام العقد شائعا لدي قدماء المصريين لصنع أغطية الأسرة وقد اقتبسه الأقباط لصنع أغطية الوسائد • وكان الصوف المستخدم في لوحات النسيج الصوفى ملونا بالصبغات النباتية • كما كانت أقدم لوحات النسيج الصوفي ذات لون واحد باستخدام اللون القرمزي كميقياس ، وفيما بعد أضيف اللون الأحمر لتلوين التفاصيل الاضافية على الأقل بالنسبة لزخرفة الأزياء • وقد انتشر استخدام اللون الواحد ابتداء من القرن السادس فصاعدا •

وكان أسلوب زخرفة النسيج القبطي مشابها لأسلوب الأقباط في زخرفة الأعمال الحجرية ، مع استخدام لوحات النسيج الصوفى المبكرة والتي تبين المؤثرات الهلينستية في اختيار الموضوعات ، والاستخدام الطبيعي للألوان والتعامل مع الأشكال ، وفيما بعد ظهر الأسلوب القبطى الأكثر تخصيصا الذي استخدمت فيه شرائط عريضة من نسيج اللوحات الصوفية لخياطتها على التيل فى شكل رأسي ، بعد زخرفتها بأنماط من أوراق الأشجار أو الأشكال الراقصة ، والأسماك ، والحيوانات خاصة

الأرانب البرية والأسود ، وسيقان الكرمة التى تبرز من السلال • وكان التيل الذى بين الشرائط يتضمن أشكالا ، من بينها على سبيل المثال : أشكال القديسين ، أو رجل وامرأة عاريان مثل آدم وحواء ، أو هرقل واحدى شريكاته ، أو مخلوقات إسطورية • أما استخدام الموضوعات المسيحية قبل القرن السابع فقد كان نادرا •

وتعود لوحات الحائط الصوفية القبطية التى وجدت فى المقابر الى الفترة ما بين القرنين الرابع الى الثانى عشر • أما بعد هذا التاريخ ، فيبدو أن استخدامها قد انقضى • وأصبح الفن القبطى عامة شديد التأثر بالفن الاسلامى ، الذى يمتنع فيه تصوير أشكال الحيوان أو الانسان • ولذلك فاننا تعرفنا على النسق القبطى فى النسيج عن طريق رسم الصليب أو كتابة عبارة تدل على أصله القبطى •

العمارة

يسلم المؤرخون بأنه من وقت لآخر ، كان يظهر مهندس معمارى ليصمم المبانى القبطية ، ولكن لم يظهر لنا اسم مهندس واحد قام بذلك على مدى التاريخ ، وبدلا من ذلك فانه يبدو لنا أن العمارة القبطية كانت تنفذ عن طريق فريق عمل يشارك فيه المجتمع ككل • ويدل على هذا العمل المشترك ما نراه من عمارة الكنائس والأديرة ، بالرغم من غموض بداية العمارة المسيحية القبطية • وقد استفاد المسيحيون الأوائل من العمائر المصرية القديمة ، وذلك بتحويل المعابد أو بعض أجزائها على سبيل المثال الى كنائس ، ومن الواضح أن المسيحيين الذين كانوا فى الاسكندرية والفيوم على الأقل ، قد تجمعوا خلال الفترة السابقة على أواسط القرن الثالث للمعيشة فى مبان كانت مملوكة للمجتمع المسيحى ككل • ولكننا لا نعرف ما اذا كان هذا المبدأ قد طبق بالنسبة للكنائس أم لا • ويذكر المؤرخون من أمثال الطوخى أنه فى حوالى تلك الفترة تم بناء كنيستين بالاسكندرية وكرست الكنيستان على اسم العذراء مريم ، وكانت احداهما تحت اشراف الأسقف ثاؤنا ، والأخرى تحت اشراف

القديس بطرس الشهيد ، ولكننا لا نعرف شيئا عن عمارة هاتين الكنيستين • وبعد بنائهما بفترة قصيرة ، أقيمت كنائس أخرى فى الاسكندرية والمنطقة التى تسمى الآن مصر القديمة ، ولكننا نجهل مواقعها أيضا • ويمكن للباحث أن يخمن عمارتها بافتراض أن الكنائس اللاحقة قد اتخذت نفس النمط الأصلى للكنائس السابقة •

ومازالت هناك خمس كنائس قديمة موجودة بمصر القديمة وأهمها كنيسة أبو سرجة (القديس سرجيوس) التى بنيت فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى وكرست على اسم اثنين من الجنود الشهداء هما سرجيوس وواخس ، وكان السرداب الموجود داخلها هو المكان التقليدى الذى استراحت فيه العائلة المقدسة • أما الكنيسة المعلقة فهى واحدة من أجمل الكنائس فى مصر القديمة ويطلق عليها اسم الكنيسة المعلقة لأنها بنيت فوق حصن بابليون وعلى الحوائط التى تحدد قلعة بابليون القديمة ، وكانت مقرا لباباوات الكنيسة القبطية خلال الفترة من القرن الحادى عشر حتى القرن الرابع عشر • أما الكنائس الأخرى بالمنطقة فهى كنيسة مارجرجس والعذراء (*) ثم كنيسة القديسة بربارة . التى يقع بالقرب منها معبد بن عزرا اليهودى الذى كان من قبل كنيسة تعرف باسم رئيس الملائكة ميخائيل وكان تاريخها يعود الى القرن الثامن • ويبدو أن عمارة هذه الكنائس كانت هى النموذج الذى اتبع فى بناء كافة الكنائس اللاحقة بما فيها الكنائس الحالية •

الكنائس غير الديرية

تتخذ الكنائس غير الديرية مبدئيا شكل البازيليكا ذات القبة والتى من المحتمل أنها مشتقة من البازيليكا الرومانية العلمانية ، وهى مبنى مستطيل بداخله صفان من الأعمدة وفى أحد طرفيه حنية نصف دائرية وكان يستخدم فى شئون الادارة العامة • وتتخذ الكنيسة الاتجاه

(*) هى كنيسة العذراء قصرية الريحان واللتى احترقت منذ اكثر من عشر سنوات — (المترجم) •

من الشرق الى الغرب مع اقامة المدخل الرئيسى فى الطرف الغربى ومع اقامة هيكل أو أكثر فى الطرف الشرقى ولكن النمط النموذجى يتضمن اقامة ثلاثة هياكل وثلاثة أبواب لكل كنيسة • ومن المفروض أن الهياكل الثلاثة تمثـل الثالوث المقـدس • وحسب ما ذكره أحد المراجع فان الكنيسة يجب أن يكون بها ثلاثة أبواب أحدها للرجال والآخر للسيدات والثـالث للقربان ، ويجب اذا سمحت الظروف أن تكون الأبواب فى الشمال والجنوب والغرب من الصحن • أما عدد القباب فهو مختلف ، ففى بعض الأحيان توجد قبة واحدة فوق الهيكل الرئيسى ولكن بالنسـبة للكنائس التى تتضمن أكثر من مذبح فمن المحتمل وجود قبة فوق كل هيكل يضم المذبح • ويوجد صليب فوق كل قبة • وأحيانا توجد مجموعة من القباب • أما نوافذ الكنيسة فهى صغيرة ومرتفعة فى أعلى الحائط ، ويستخدم هذا الطراز من معالم العمارة فى البلاد الصحراوية حيث تسمح النوافذ الكبيرة بدخول الضوء الكثير ، والحرارة ، والرمال • وكانت السطوح الخارجيـة للكنائس القبطية القـديمة بسيطة ولا تبعث على الاحترام ، وكان الدخول اليها يتم غالبا عن طريق باب جانبى صغير •

والكنيسة تنقسم من الداخـل الى صـالة المدخل Narthex ، والصحن ، والخورس ، والجناحين الجانبيين والهياكل • وكانت صالة المدخل شبيهة بالردهة أو بهو الأعمدة المكشوف والذى نجده أمام العديد من الكنائس المسيحية • وكان يقام أصلا ببناء عمودين لبيان أن هذا القسم منفصل جزئيا عن بقية الكنيسة • وفيما بعد ، تم بناء حوائط فى الفراغات التى بين الأعمدة وأصبح الدخول من صالة المدخل الى الصحن يتم عن طريق باب فى الوسط • وعندما تتضمن الكنيسة شرفتين علويتين فوق الجناحين الجانبيين كان يستخدم سلمان فى الطرفين الشمالى والجنوبى للصعود اليهما • وكانت حوائط صـالة المدخل مزينـة بالحنيـات أو المقصورات وأحيانا يوجد بها حوض المعمودية الضخم الذى يحتوى على مياه يباركها الكاهن ويستخدم للعماد ، وكان يوجد فى صالة المدخل بدلا من الطرف الغربى للصحن • وكانت صالة المدخل فى غير ظروف

التعميد ، تستخدم كمكان تقدم فيه خدمة الوعظ للتائبين وفرض أساليب التقويم عليهم ، ويقف فيه أيضا المعلمون الذين يستخدمون طريقة السؤال والجواب Catechumens أثناء القداس ٠

أما الصحن وهو في العادة أكبر من الجناحين اللذين على جانبيه فانه ينفصل عن الجناحين عن طريق الأعمدة التي تتصل مع بعضها البعض عن طريق اطار علوى يحيط بها ، وبعض الكنائس تتضمن أجنحة أو شرفات علوية مقامة فوق الجناحين الجانبيين وصالة المدخل ٠ وتنفتح هذه الأجنحة على الصحن من خلال ممرات بين الأعمدة كانت تسترها وتخفيها عن الصحن حواجز مرتفعة أو نوع من أنواع الستائر ٠ وكان الذكور من جمهور المصلين يجلسون فى الصحن ، ولكن السيدات وحتى القرن العاشر كن يستخدمن الشرفات العلوية ٠ وبعد ذلك التاريخ أصبحت السيدات يجلسن في الصحن وتفصلهن ستارة في الجناح الشمالى من الصحن ٠ أما الشرفتان العلويتان فقد أقيمت عندهما الحوائط وأصبحتا تستخدمان في أداء خدمات أخرى ٠ واليوم فان الأجنحة الجانبية أصبحت مخصصة للسيدات ، ولكن من الجائز أن يجلس الرجال والسيدات معا فى الجانب الشمالى من الصحن ٠ وتشمل الكنائس القديمة على منصة مرتفعة تسمى المنبر كانت تقام فى الجانب الشمالى الشرقى من الصحن وفيما بعد حل محلها المنبر الخشبى ٠ أما الطرف الغربى من الصحن فقد زود بحوض اللقان وهو حوض تقالى من الرخام يستخدم فى عمل الاحتفال بطقس غسيل الأقدام يوم خميس العهد ٠

ويبدو أنه لم يكن هناك خورس منفصل عن الصحن فى الكنائس التى بنيت قبل القرن السابع ٠ ولكن فيما بعد تحدد موقع الخورس منفصلا عن الطرف الشرقى للصحن (*) عن طريق اقامة درابزين منخفض الارتفاع ٠ وفيما بعد جرى فصله باقامته مرتفعا بمقدار درجة سلم

(*) الخورس هو مكان وقوف الشمامسة والكهنة امام الهيكل الذى يقام به القداس — (المترجم) ٠

واحدة عن بقية الصحن ، أو باستخدام حاجز مصنوع من خشب المشربيات (أشغال الأرابيسك) فى وسطه مدخل الهيكل الذى ركب فيه بابان قابلان للطى • ويزخرف هذا الحاجز بسلسلة من المناظر المقدسة ، يتوسطها دائما منظر صلب المسيح • وفى أحيان كثيرة يوجد صف من صور القديسين أو الرسل تنتظم طوليا فى أعلاه • وهو يمتد دائما بعرض الكنيسة ، ولكن طوله نادرا ما يزيد على أربعة أمتار من الغرب الى الشرق (*) ولم يكن الخورس فى الأصل يحتوى على مقاعد أو دكك بالرغم من أنه يحتوى على المقاعد التى يستخدمها المرتلون حاليا ، ويتضمن أيضا اثنتين من المنجليات المتنقلة وزوجا من الشمعدانات • وحيث ان الخورس هو المنطقة التى تجلس فيها جوقة المرنمين فهو بذلك يسمى الخورس Chorus • ومن المناسب هنا أن نذكر حقيقة أن الموسيقى القبطية تشبه الموسيقى الطقسية التى كانت تصاحب المرتلين فى المعبد اليهودى وقد كانت معروفة للسيد المسيح والتلاميذ • وبرغم أن الترانيم والألحان مصحوبة أحيانا بأصوات المثلثات والصنوج الا أن الموسيقى الكنسية القبطية موسيقى صوتية تبين أن الحنجرة ترتبط بروح ونفس الانسان ، وأن الأداة الوحيدة الحية وهى : الحنجرة الموهوبة ، ترتفع فاعليتها على ما عداها من الأدوات •

وغالبا ما تحتوى كافة الكنائس على ثلاثة مذابح كل منها على شكل كتلة حجرية مستطيلة أو من قوالب الطوب مغطاة بطبقة من نوع آخر من الأحجار مثل الرخام • ويقف المذبح قائما فى وسط الهيكل الخاص به • وهو يقع فى الطرف الشرقى للكنيسة وتعلوه القبة ، واذا لم يكن الهيكل هو الرئيسى حينئذ تعلوه نصف قبة • والهيكل الأوسط به تجويف نصف دائرى فى الحائط الشرقى للكنيسة (يشبه محراب المسجد) أما الهياكل الجانبية فان التجويف الذى فيها أقل تحديدا

(*) هذا الحاجز غير موجود فى بعض الكنائس ـ انظر وصف كنيسة العذراء المغيثة بحارة الروم ـ (الروم) •

ولكن هذا التجويف ثابت وفي الداخل فقط ، بينما الحائط الخارجي مستو . وعلى سبيل المثال ففي كنيسة القديسة بربارة نجد أن محراب الهيكل الأوسط نصف دائرى ، بينما تجويف الهيكلين الجانبيين مربع . أما في كنيسة القديس سرجيوس فان تجويف الهيكلين الأوسط والجنوبي كلاهما نصف دائرى ، والهيـــكل الشمالي فقط هو الذى يحتوى على تجويف دائـرى . أما كنيســة القديس مينـا بالقاهرة فلا يوجد بها الا هيكل واحـد . وبهـا تجويف يبرز من خلف الحائط الخارجي لمبنى الكنيسة . والهيكل الأوســط في هذه الكنيسة وفي غيرها ينفصل عن الهيكلين الموازيين له عرضا بواسطة حائط ولكنه أحيانا يكون متصلا بهما عن طريق أبواب في الحائط .

ويغطى المذبح الذى في الهيكل الرئيسى بثلاثة أغطية . الأول عبارة عن مفرش من التيل أو القطن المشدود على المحيط بقوة ويصل طوله حتى سطح الأرض . والثانى مصنوع من الحرير الأحمر ويصل هو الآخر حتى سـطح الأرض وقد طرز عليه في كل جانب صليب . والغطاء الثالث وهو الأعلى مصنوع من التيل الأبيض . ويقف عند كل ركن من أركان المذبح الأربعة شمعدان مع مراعاة أن اللذين في الغرب من هذه الشمعدانات أقصر من اللذين في الشرق ويقوم الصندوق (*) في الوسط وهو صندوق خشبى مكعب الشكل وله غطاء مشقوق من أعلى . أما الجوانب فهى مرصعة بمناظر مثل العشاء الأخير ، أو العذراء مريم ، أو ملاك ، أو القديس شفيع الكنيسة . وعند بدء صلوات القداس الالهى يوضع كأس العشاء الربانى في الصندوق ويبقى في موضعه حتى يحين وقت التناول من سر الشكر . ويوضع في أعلى المذبح قبة خشبية مرتفعة ومثبتة فوق أعمدة ، ويرسم داخل سقفها المقبب منظر السيد

(*) يطلق على هذا الصندوق احيانا اسم التابوت (تابوت العهد) أو فلك نوح ؛ ولكن الطقس القبطى يطلق عليه اسم الكرسى أو كرسى العرش وهو يحتوى على الخبز والخمر لاتمام سر الشكر ـ (المترجم) .

المسيح على كرسى العرشى • والهياكل ترتفع بمقدار درجة سلم واحدة فوق مستوى أرضية الخورس وتنفصل عنها بواسطة ستارة خشبية تسمى حامل الأيقونات (*) وفى وسـطه باب تستره سـتارة غالية الثمن فى أعلاه قوس يعلق فيه الكاهن أحيانا مبخرة يحترق بها البخور فى بعض فترات القداس ، وهناك شباكان صغيران مصنوعان من الخشب على جانبى البـاب • وكذلك صفت الأيقونات بطول حامل الأيقونات من جانبه العلوى • ويعلق أمام الهيكل عدد من القناديل المصنوعة أحيانا من الفضة • ولا يسمح بدخول الهيكل الا للرجال فقط •

وعند دخول المصلى الى الكنيسة ، فانه يسجد أمام الهيكل ويقبل طرف الستارة المعلقـة أمام البـاب • وقبل بدء القداس تزاح الستارة وينفتح باب الهيكل المقام به خدمة القداس ، ويكرس الهيكل الأوسط على اسم القديس شفيع الكنيسة ، وهو القديس الذي يطلق اسمه على الكنيسة ، وهو الهيكل الذى تقام فيه القداسات فى معظم الأحوال • أما الهيكلان الجانبيان فانهما مكرسـان على اسـمى قديسين آخرين ويستخدمان فقط فى أعياد القديسين المقامين على اسميهما الا اذا احتاج الأمر الى اقامة قداس ثان فى أى يوم من الأيام ، التى تقام فيها القداسات ،

(*) لا يستطيع الكتاب الغربيون فهم الروحانية القبطية ويهتمون فى دراساتهم بالمظاهر الخارجية ، علما بأن المبنى الكنسى وكل ما فيه يرمز الى حقائق الايمان المسيحى ولذلك اختلط الأمر على المؤلفـة فيما يتعلق ببعض العناصر التى أوردتها فى هذا الفصل مثل عدد أبواب الكنيسة وموقع كل باب ، لان الكنيسة يكفيها بابان فقط الرئيسى منهما فى الجهة الغربية مواجها للهيـكل ويرمز الى باب السـماء والآخر فى منتصف الحائط الأيمن للصحن اشارة الى الجنب الأيمن للمسيح الذى طعن فيه بالحربة وهو على الصليب • وتطلق المؤلفة على حامل الايقونات نفس الاسم الذى كان مستخدما فى العهد القديم وهو الحجاب الذى كان يمتد من أعلى الى أسفل لكي يحجب عن المصلين ما يدور داخل الهيكل • وعندما أسلم السيد المسيح الروح عند موته على الصليب انشق حجاب الهيكل الى نصفين من أعلى الى أسفل اشارة الى زواله ومعه كافة الرموز التى وردت فى العهد القديم • اما ذلك الموجود حاليا فانه يسمي حامل الايقونات وهو لا يحول دون مشاهدة المصلين لما يجرى داخل الهيكل لان ما يجرى حاليـا هو الحقيقة التى أشار اليها العهد القديم وقد صارت منظورة للجميع ، فقد تحققت فى شخص السيد المسيح كافة النبوات والرموز ـ (المترجم) •

لأنه لا يجوز حسب الطقس القبطى أن يقام أكثر من قداس واحد على المذبح الواحد وباستخدام نفس الأوانى والملابس المقدسة فى نفس اليوم الواحد • ولذلك فانه عند اقامة قداس ثان لابد من استخدام أحد الهيكلين الجانبيين (*) •

والمحراب مزخرف حتى ارتفاع ثمانية أقدام تقريبا وبه افريز من الرخام ، وهو يبرز من الجدار الذى خلف المذبح فى الهيكل الرئيسى ويشكل منصة مع مقاعد لجلوس الكهنة القائمين بالخدمة عند الحاجة • وهذه الخاصية تعتبر من المعالم البارزة فى تقاليد الكنيسة القبطية • ويوجد بالعديد من الكنائس القديمة كرسى أسقفى فى المنصة ومقصورة خلف الكرسى تتضمن قنديلا مقدسا يعرف باسم « القنديل الدائم » • وفى بعض الكنائس لا توجد المنصة فى الهيكل الرئيسى : على سبيل المثال ، فان المنصة بالكنيسة المعلقة موجودة بأحد الهيكلين الجانبيين •

وفى كل كنيسة توجد المعمودية ، وموقعها يختلف كثيرا فى الكنائس القديمة : فهى موجودة فى الجناح الشمالى بكنيسة القديس سرجيوس — أما فى الكنيسة المعلقة فانها مقامة خارج المبنى الرئيسى • أما فى الكنائس الحديثة فان المعمودية تقام عادة فى الطرف العلوى للجناح الأيمن • أما حوض التغطيس فهو دائرى الشكل ، وعمقه كاف لوضع الطفل وموضوع داخل اطار صلب من الحجر ملاصق للحائط •

الكنائس الديرية

برغم أن كنائس الأديرة تلتزم بنفس التخطيط الأساسى مثل الكنائس غير الديرية الا أن هناك بعض الاختلافات خاصة لتلبية احتياجات الجماعة الرهبانية التى تختلف قليلا عن حاجات العلمانيين • فعلى سبيل

(*) التفسير الصحيح لهذا الكلام هو أن الطقس يأمر بمرور تسع ساعات على الاقل وهى الحد الزمنى الادنى المقرر للصوم يوميا ، ولذلك لا يمكن أن يقام قداس آخر على نفس المذبح وبنفس أوانى الخدمة والملابس والكاهن ذاته الا بعد مرور تسع ساعات على الاقل — (المترجم) •

المثال لا يوجد بها مكان مخصص للسيدات • وبالنظر الى الغارات التى كانت تشن ضد الأديرة فى أوائل القرن التاسع ، فلا توجد الآن كنيسة ديرية يعود تاريخها الى ما قبل ذلك التاريخ ولكن من المفروض أن تتشابه الكنائس القديمة مع تلك التى يمكن رؤيتها حاليا •

وكنائس الأديرة مثل الكنائس غير الديرية لها ثلاثة أبواب ليس من بينها باب واحد مخصص للسيدات • والمداخـــل والأبواب بسيطة ليست بها زخارف من أى نوع • وتمتد شرفة فوق كل مدخل • ولا يوجد رواق فى كنائس الأديرة وانما يتضمن التخطيط الأساسى للكنيسة الصحن وثلاثة أجنحة فى الجوانب الغربى والشـــمالى والجنوبى ، والخورس ، وثلاثة هياكل فى الطرف الشرقى • وهناك طرازان من الكنائس اعتمادا على حجم الصحن • أحد الطرازين به صحن طويل يستخدم فى المناسبات الخاصة عندما يتطلب الأمر وجود مساحة فسيحة للمواكب الاحتفاليـــة والأعداد الكبيرة من المصلين • والطراز الآخر به صحن قصير يســاوى الخورس فى المساحة وهو مخصص لاستخدامات الرهبان اليومية • وكلا الطرازين به سقف مقبى • وفى الطراز السابق نجد أن الأجنحة الملحقة بالصحن محددة بواسطة « بواكى » أو ممرات مسقوفة تسمح بمرور المواكب الاحتفالية • أما فى الكنائس الأسبق فان البواكى ضـــيقة مثل الهياكل الجانبية برغم أنهـا تمت توسعتها فيما بعد • وتتشـابه مع الكنائس غير الديرية من حيث أن اللقان يقام فى الجانب الغربى من الصحن حيث يشترك الرهبان فى اتمـــام طقس غسيل الأقدام يوم خميس العهـــد • ويوضع المنبر فى الركن الشمالى الشرقى ، وينفصل الجانب الشرقى من الصحن بحاجز مستعرض ليصبح بمثابة خورس خارجى •

وينفصل الخورس فى الكنائس الديرية عن كل جناح من أجنحـة الصحن بواسطة ممرات تعلوها أقواس ، ومسقوفة بسقوف متصلة من القرميد • أما الصـــندوق ذو الواجهـة الزجاجية ، والذى يحوى رفات القديسين فهو موجود فى الخورس على شمال مدخل الهيكل الرئيسى •

وفى الكنائس الديرية تمتد الهياكل عبر عرض الجانب الشرقى للمبنى بالكامل • ويوجد هيكل رئيسى على جانبيه هيكلان أصغر حجما والهياكل كلها ذات أبواب توصل بينها • وفيما عدا كنيستين صغيرتين بديرى الأنبا بيشوى والبراموس بهما محرابان ، فان كافة كنائس الأديرة ذات محاريب مربعة الشكل • وتتميز الكنائس القديمة بالهياكل الضيقة العرض ذات السقوف المحدبة مع ضخامة الهيكل الرئيسى بحوائطه المرتفعة ذات النوافذ والقباب التى تشبه خلية النحل • والكنائس المبكرة تتميز بهياكل جانبية كبيرة تصل ارتفاعاتها الى نفس ارتفاع الهيكل الرئيسى الذى يتخذ شكلا مربعا • والهياكل الثلاثة تغطيها قبة واحدة نصف دائرية • ويتم الدخول الى الهياكل الثلاثة من الخورس حيث يوجد بابان للهيكلين الجانبيين بينما يتم الدخول الى الهيكل الرئيسى عن طريق ممر مقوس عريض ومرتفع يسمى « قوس النصر » وينفصل عن الخورس بواسطة حامل الأيقونات • وترتفع أرضية الهيكل الرئيسى عن مستوى سطح الخورس بمقدار درجة واحدة ، ويرتفع جزء منها مرة أخرى على شكل منصة للمذبح الذى يتكون عادة من مكعب مجوف من البناء الحجرى وتوجد فتحة ضحلة العمق ومقوسة فى جانبه الأيسر ربما كانت مخصصة لحفظ الرفات • والمذبح هنا مصمم كما فى الكنائس غير الديرية ومغطى بقبة أو مظلة كما ان بعض الهياكل الجانبية بها منصات • ونجد فى جميع الكنائس أن الحائط الشرقى به الحنية المجوفة التى أقيمت عند تكريس الكنيسة (*) •

عمارة الأديرة

ان أفضل ما نستطيع مشاهدته من نماذج عمارة الأديرة متوافر فى الأديرة الأربعة العامرة بوادى النطرون ، وهى مثل غيرها فى أى مكان آخر بمصر ، مجهزة بأماكن للاعاشة (قلالى) ، ومطابخ ،

(*) هذه الحنية تسمى حائط الشرقية ، ويصور فيها منظر للسيد المسيح جالسا على العرش ـ (المترجم) •

وطواحين ، ومطاعم ، وبيوت للضيافة وحصون ، وكما رأينا سابقا ، فان جميع الكنائس مبنية بالأحجار وقوالب الطوب اللبن •

وفى جميع الأديرة تتجمع القلالى معا فى صفوف قصيرة ، وهى مبنية على طراز واحد وتتكون كل منها من غرفة مسقوفة بسقف مقبى وتنقسم الى قسمين • القسم الداخلى منهما غير مضاء ، وغير متجدد الهواء ويستخدم للنوم • والقسم الخارجى يمثل حجرة المعيشة اليومية • ويقال أن القديس مكاريوس قد نحت لنفسه قلاية ذات غرفتين وقد أقيمت القلالى بالأديرة على نفس النموذج • وفى نفس الوقت فان القلاية تماثل مغارة شيوخ النساك ، أما عادة الرهبان المتعلقة بالنوم وتناول الطعام فى قلاليهم فهى استمرار لتطبيق نموذج حياة التوحد ، كما عاشها القديس أنطونيوس •

ويوجد مطبخ عمومى بكل دير برغم أن المطابخ الأصلية الوحيدة الباقيـة هى تلك الموجـودة فى دير الأنبـا بيشوى ودير البراموس ، وهى غرف كبيرة مربعة مقسمة الى مساحات مقبية • وقد سجل سيكارد أنه فى وقت زيارته لدير السريان كانت هناك ثلاث قدور من الحجر فى المطبخ كانت تستخدم كأوعية المطبخ • ثم حـل استخدام النحاس محل الأحجار فى القرن التاسع عشر • ويقود المطبخ الى حجرة أصغر حجما لصنع الخبز لم يتبق منهـا أية غرفة كنمـوذج • وتوجد طاحونة بكل دير وهى بناء مربع مقبى مجهزة بنفس نوعية أداة الطحن المستخدمة فى مصر — وهى حجر رحى ضخم من الجرانيت ، يديره حيوان من نوعية الثيران أو الحمير •

أما المطعمة والتى كان يتم الوصول اليها فى الأزمنة القديمة عن طريق ممر فى الجانب الغربى من الكنيسـة ذات الصحن الطويل ، فهى عبارة عن قاعة مستطيلة مقسمة الى ثلاثة أو أربعة أقسام ، وتغطيها قباب نصف دائرية • وهى مؤثثة بمنضدة بسيطة وعريضة من الحجر ذات حواف مرتفعة قليلا لمنع تدحرج الطعـام من فوقها . وهى ممتدة بطول

القاعة ، أما أوعية تناول الطعام فهي بسيطة ومكونة من أكواب وإطباق كبيرة مسطحة كانت تصنع قديما من معدن الرصاص ، وان كانت هناك معادن اخرى كثيرة يفضل استخدامها في الوقت الحالى • وهناك منجلية في أحد طرفي المطعمة يبلغ ارتفاعها ما يزيد قليلا عن المتر ونصف وهي مصنوعة من الحجر الرملي وذات جوانب محدبة الى الخارج وتسمح بعمل حز على شكل (٧) في أعلاها لوضع كتاب عبارة عن نسخة من الانجيل يقوم أحد الرهبان بالقراءة منها بصوت مرتفع أثناء تناول الطعام • وابتداء من القرن الخامس أصبحت المطعمة هى المكان الذى يتم فيه تناول وجبة الرهبان المشتركة (الأغابى) والتي كان يتم تناولها داخل الكنيسة قبل ذلك التاريخ •

أما الأديرة القديمة التى لم تكن محاطة بالأسوار فقد كانت مجهزة بأبراج الملجأ ، أو الحصون (يطلق على الحصن اسم القصر) وأكثر هذه الحصون اتساعا موجود بدير القديس مكاريوس • والحصن عبارة عن برج مكون من دورين أو ثلاثة أدوار لايمكن دخوله الا من سطح الدور الثانى أو الثالث باستخدام قنطرة متحركة يتم رفعها مقابل واجهة البرج حيث تثبت في تجويف بالحائط وتسد المدخل • وبالرغم من أن القصور كانت أماكن اللجوء الأخير عند الغارات الا أنها كانت تستخدم دائما كغرف حصينة تحفظ فيها الكتب وغيرها من ممتلكات الدير الثمينة ، وربما كانت تتضمن أيضا معصرة الزيت • وكل قصر يتضمن بئرا ، وطاحونة للقمح ، وقلالى ، وحجرات مختلفة ، وفى أعلاه دائما كنيسة صغيرة مكرسة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل • وهو القديس الطبيعى الذى يحمى كنيسة القصر لأنه هو الملاك الحامي والمعين فى وقت الشدة • وفى كل طابق من القصر يوجد ممر به فتحات تسمح بالخروج على كلا الجانبين وسلم حجرى شديد الانحدار يقود الى الطابق التالى ، وقد حل محله سلم خشبى فى بعض الأحيان • وكافة ممرات وحجرات القصر مقبية أو مقوسة السقف بينما نجد أن سقف القصر نفسه مسطح فيما عدا قبة صغيرة فوق الكنيسة • وقد استخدم البعض من الغرف الكثيرة بالقصر كغرف

للضيافة • ومن المعروف أن كل دير به ليس فقط حجرات للضيافة بل أيضا غرفة للعلاج • ولكن لا توجد مبان مستقلة تستخدم كمستشفى ومن المرجح استخدام حجرات الضيافة بالقصر لهذا الغـــرض • وهى فكرة رشيدة تحول دون نقل المرضى أثناء أوقات الهجوم • ويوجد عند موطىء الحصن بدير القديس مكاريوس قبو للدفن برغـم أن المكان المعتـــاد للدفن فى العصور الأولى كان موجودا خارج حدود الدير •

وفى القرن التاسع كانت الأديرة محاطة بأسوار لحماية سكانها ضد هجمات القبائل البدوية • وكان ارتفاع الأسوار يصل الى مسافة تتراوح ما بين عشرة الى اثنى عشر مترا ، ويبلغ سمكها فى أجزائها البعيدة عن دعا م البناء مترين مع شرفة دائرية بارتفاع الأكتاف حول الحواف الداخلية • أما البناء الحجرى فيتكون من واجهتين داخلية وخارجية ، ومغطى بطبقة سميكة من الجبس الصلب للتقوية مع حشوه بأنقاض المبانى • وفى العادة لا توجد غير بوابة واحدة ضيقة ، وحنية على شكل عقد تحتوى على باب سرى مربع الشكل مسدود بواسطة باب من الألواح الخشبية الصلبة المدعمة بسيور حديدية • وتقع خلف المدخل من الداخل بوابة يخرج منها سلم يقود الى قاعة علوية مستعرضة ومسقوفة على قبو • ومن الممكن أن تكون هذه القاعة العلوية مجهزة بأحد الأوناش لرفع وانزال بعض أشكال الحواجز الحديدية الموجودة فى مدخل الدير • والأكثر احتمالا هو استخدام أحجار الطاحونة المصنوعة من الجرانيت ، وذلك بدحرجتها خلف الباب فى أوقات الغارات • ويوجد فى أعلى الحنية غرفة تفتيش ومن المحتمل أن يعود منها الى الدير أولئك الرهبان الذين دحرجوا أحجار الطاحونة خلف الباب • واليـــوم فان غـرفة التفتيش هذه تسـتخدم لفحص الزوار • ولابد أنه كانت توجد داخـل أســـوار كل دير كنائس صغيرة عديدة واسـطبلات وآبـار ومراحيض برغـم اختفاء معظمها حاليـــا • وهناك الكثير من البقايا التى تشهد ببراعة هؤلاء الرهبان البسطاء فى فن العمارة مما ساعدهم على اقامة هذه الأديرة •

مراجــع الكتــاب

Abu Salih, *The churches and monasteries of Egypt* (ed. and trans. by B.T.A. Evetts) Oxford, 1875.

Arrian, *The compaigns of Alexander*. Penguin Classic .

M. M. Austin, *The Hellenistic world from Alexonder to the Roman Conquest,* London, 1981.

A. Badawy, *Coptic art and archaeology,* Cambridge, Massa-chusetts, 1978.

J. Beckwith, *Coptic sculpture,* London, 1963.

H. Idris Bell, *Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest,* Oxford, 1948.

P.M. du Bourguet, *Coptic Art,* London, 1971.

A. K. Bowman, *Egypt after the pharaohs,* 332 BC-AD 642, Museum Pupblications, 1986.

E. A. W. Budge, *Coptic martyrdom,* London, 1971.

E. A. W. Budge, *Ethiopian synaxarium* (trans.) Cambridge, 1928.

O. H. E. Khs-Burmester, *A guide to the monasteries of the Wadi 'n-Natrun,* Cairo, 1955.

O. H. E. Khs-Burmester, *The Egyptian and Coptic Church. A detailed description of her liturgical services,* Cairo, 1967.

E. L. Butcher, *The story of the Church of Egypt* (2 vols.) London, 1897.

A. J. Butler, *The ancient Coptic churches of Egypt* (2 vols). Oxford, 1884.

A. J. Butler, *The Arab Conquest of Egypt and the last thirty* years of the Roman domination, Oxford, 1902.

Diodorus, *History* (Book XVII for Alexander's reign) Loeb Classics.

J. Drescher, *Apa Mena. A selection of Coptic texts relating to St Menas,* Cairo, 1946.

E. M. Forster, *Alexandria,* New York, 1961.

W. H.C. French, *Martyrdom and persecution in the early church,* Oxford, 1965.

L. Duff Gordon, *Letters from Egypt,* Virago, 1983.

E. R. Hardy, *Christian Egypt,* New York, 1952.

P. M. Holt (ed.) *Political and social change in modern Egypt : historical studies from the Ottoman conquest to the United Arab Republic,* London, 1968.

Josephus(*Antiquities of the Jews,* Penguin Classics.

E. Krautheimer, *Early Christian and Byantine architecture,* London, 1965.

L. Kybalova, *Coptic textiles,* London, 1968.

de Lacey O'Leary, *The Saints of Egypt,* London, 1937.

E. W. Lane, *The manners and customs of the modern Egyptians,* London, 1908.

A.S. Lewis, 'A visit to the Coptic monasteries of Egypt in *Cambridge Antiquarian Society* X, 1896-1900, pp. 210-215.

A.S. Lewis, 'Hidden Egypt' in *Century Magazine* 68, 1904, p. 746 ff.

Ludolph of Suchem, 'Description of the Holy Land, (trans. A. Stewart) *Palestine Pilgrims' Text Society London* XII, 1895.

A. Mallon, *Grammaire Copte (Bohairic)*, Beirut, 1956.

Maqrizi, *Maqrizi's Geschichte der Copten by F. Wustenfeld,* Göttingen, 1845.

O. F. A. Meinardus, *Monks and monasteries of the Egyptian deserts,* Cairo, 1961.

O. F. A. Minardus, Christian Egypt, Ancient and Modern, Cairo, 1965.

K. Michalowski, *Faras,* Warsaw, 1962.

E. Pagles, *The Gnostic gospels,* London, 1982.

Palladius, *The Paradise or garden of the holy fathers* ... (tran E. A. W. Budge) London. 1907.

R. Pococke, *A Description of the East,* London, 1743. London, 1901.

C. H. Roberts, *Manuscript, society and belief in early Christian Egypt,* London, 1979.

C. Sicard, *Description de l'Egypte,* Paris, 1845.

Tacitus, *Annals,* Penguin Classics.

Tacitus, *The Histories,* Penguin Classics.

D. Thompson, *Coptic textiles,* New York, 1969.

W. C. Till, *Koptische Dialektgrammatik,* Munich, 1961.

H. Wadell, *The desert fathers,* London, 1936.

C. C. Walters, *Monastic archaeology in Egypt,* Warminster, 1974.

J. M. Wansleben, Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Egypte en 1672 et 1673, Paris, 1677.

K. Wessel, *Coptic art,* London, 1965.

H. E. Evelyn-White, *The History of the monasteries of Nitria and of Scetis,* Cambridge, 1932.

H. E. Evelyn-White *The monasteries of the Wadi 'n-Natrun,* Cambridge, 1933.

W. H. Worrell, *A Short account of the Copts,* Ann Arbor, 1945.

فهرس أبجدى بأسماء الأعلام

(أ)

الأقبــاط	The Copts
الاسكندرية	Alexandria
ابريز	Apries
الفانتين	Elephantine
اسبرطة	Sparta
أجيسيلاوس	Agesilaos
الاسكندر الأكبر	Alexander the great
أريان	Arrian
أوتشوس	Ochus
فاروس	Pharos
الاسكندرية بورتوس	Alexandria Portus
أنتيباتر	Antipater
أرســـينوى	Arsinoë
أوزيريس	Osiris
اسكليبيوس	Asklepios
اقليدس	Euclid
أيسخيلوس	Aeschylus
أولوس جيلليوس	Aulus Gellius
فيلون	Philo
أفلوطين	Plotinus
اثيوبيا	Ethiopia
انطاكيــة	Antioch
افسوس	Ephesus
اكتيوم	Actium
ايريناؤس	Irenaeus
ايزيس	Isis
الاغريق	Greeks
آشور	Assyria
الاشوريون	Assyrians
أمازيس	Amasis
أميراتيوس	Amyratios
آسيا الصغرى	Asia Minor
اسوس	Issus
الامبراطورية الفارسية	Persian Empire
أبيس	Apis
الأوديسة	Oddysey
آمون	Ammon
أنتيجونوس	Antigonus
أيجاى	Aigae
أوليمبياس	Olympias

دايونيسوس	Dionysos
اريستراتوس	Eristratus
أنطونيوس (القديس)	Antony
اراتوستنيز	Eratosthenes
امونيوس ساكاس	Ammonius Saccas
أوريجانوس	Origen
أوكتافيوس أو أوكتافيانوس	Octavius-Octavianus
أمبراقيا	Ambracia
أجريبا (أغريباس)	Agrippa
افلاطون	Plato
الأساقفـة	Bishops
انيانوس	Anianus
اكليمندس	Clement
أبوللونيا	Apollonia
اخميم	Panopolis
أنوبيس	Anubis
أوطاخى	Eutyches
أنصنا	Antinoë
أسبانيا	Spain
الآريوسـية	Arianism
ارسانيوس	Arsenius
الادا	Alada
الانشقاق الكبير	Great Schism
أبولليناريوس	Apollinarius
أورشليم	Jerusalem
الاعتزال	Anachoresis
أماتاس	Amatas
اسـنا	Esna (Lactopolis)
أمونيوس	Amonius
أونوفريوس	Onnophrius
ابن العسال	Ibn Al-Assal
أبو صالح	Abu-Saleh
الاخوة الفرنسيسكان	Franciscan Frairs
أسيمانى	J. S. Assemani
اكستر	Exeter
بتــلر	A. J. Butler
أبرام	Abram
أرسطو	Aristotle
أبوقراط	Hippocrates
أغاثــون	Agathos
آدم	Adam
أثناسيوس	Athanasius
أيميليانوس	Aemilianus
انتينوس	Antinous
أوديناتوس	Odenatus
أريانوس	Ariannus
أسيوط	Lycopolis
اسطنبول	Istanbul
آريوس	Arius
أيديسيوس	Aedisius
أوريستيس	Orestes
انسطاسيوس	Anastasius
اسطفانوس	Stephen
اقليم اليهودية	Judaea
أرورا (مقياس للأرض)	Aroura
آيا صــوفيا	Hagia Sophia
الاسقيط	Scetis
ايسيدوروس	Isidore

(ب)

بيزنطة	Byzantium	بموا	Pambo
البلقــان	Balkans	بليمى (قبيلة نوبيــة)	Blemmyes
بيســا	Besa	بولا السائح (الطيبى)	Paul the hermit (Theban)
بروتيريوس	Proterius	باخوميوس	Pachom
بولس التبنيسى	Paul of Tabenessi	بيبو	Pebou
بنيامين	Benjamine	برنوج (جبل)	Jernudj
بيشبير	Pispir	بيشــوى	Bishoi
بلامون	Palaemon	بمون	Pamoun
بيجول	Bgoul	بيمن	Poimen
برموجى (قرية)	Barmugi	بيرنادوس	Bernadus
البراموس (دير)	Baramus	بنى سويف	Benisuef
ببنوتى	Papnoute	بلقيب	Pelkip
بيسى	Paese	البجوات	Bagawat
بوش (بلدة)	Bûsh	بابليون	Babylon
بوكوك	Richard Pococke	براتييه	Poitiers
بلزونى	Belzoni	بوتشر	Mrs E.L. Butcher
باويط	Bawit		
بيبا	Bibbeh		

(ت)

تقاليد	Institutions	تكريت	Takrit
تالنت (عملة الرومان)	Talent	تشابرياس	Chabrias
تاكيتوس	Tacitus	طراقيــا	Thrace
الترجمة السبعينية	Septuagint	تراجان	Trajan
تواضع القلب	Humbleness of the heart	تركيــا	Turkey
تيتيموس	Titimus	التواضع	Humility
		تاتام (رحالة)	Tattam

(ث)

ثيساليـا	Thessalia
ثيوفيلوس	Theophilus
ثيبايد (اقليم مصر العليا)	Thebaid
ثيودور	Theodore
ثيفينوت (رحالة)	Thévenot
ثيودوسيوس	Theodosius
ثاؤونا	Theonas
ثيودورا	Theodora
ثيوبنتوس	Theopentos
الثالوث المقـدس	Holy Trinity

(ج)

جرانيكوس	Granicus
جيتو	Ghetto
جالليينوس	Gallienus
جسر ملفيـا	Melvian Bridge
جوفيـان	Jovian
جوستنيان	Justinian
جوسلين	Jocelyn
جيرارد	Gerard
جوهان وانسلبن	Johann Wansleben
جاوجاميلا	Gaugamela
جوبيتر	Jupiter
جيروم	Jerome
جاليريوس	Galerius
جوليـان المرتـد	Julian the apostate
جوستين	Justine
جبل القلزم	Clysma
جورج زويجا	George Zoega
جوهان جورج	Johanne George
جالين	Galen
الجليل	Galilee

(ح)

حنانيـا	Hannaniah
حاكم مصر العليا	Dux
حواء	Eve
حامل الأيقونات	Screen
حاكم اقليم	Praeside
الحاكم المبجل	Augustal Dux
الحوريات	Nymphs
الحصن (القصر)	Keep
الحروب الصليبية	Crusades

(خ)

Kharga	الخارجة	Chalcedon	خلقيدونية

(د)

Darius	داريوس	Delta	الدلتا
Deinocratis	دينوكراتيس	Christianity	الديانة المسيحية
Drypetis	درابيتس	Tigris	دجلة
Diocletian	دقلديانوس	Diodorus	ديدوروس
Demetrius	ديمتريوس	Dionysus	دايونيسوس
Dalmatia	دلماطيا	Decius	داكيوس
		Damien	داميانوس
Deir El- Maimun	دير الميمون	Monastery of St. Antony	دير الأنبا أنطونيوس
Tentyra	دندرة		
Daniel	دانيال	Demotic	الديموطيقية

(ر)

Roxana	روكسانا	Rhakotis	راكوتيس ـ راكوت ـ راقودة
Stoicism	الرواقية	Romans	الرومان
Monachos (monk)	راهب	Rufinus	روفينوس
Parchment	الرق (جلد للكتابة)	Roman Catholic Church	الكنيسة الرومانية الكاثوليكية

(ز)

Zeno	زينون	Zeus	زيوس
Hermit	الزاهد	Zoilus	زويلوس
		Zenodotus	زينودوتوس

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

طروادة Troy
طيباريوس Tiberius
طافوس (مقبرة الدير) Topos
الطوخى (مؤرخ) Eutychius

طرسوس Tarsus
الطبيعة الواحدة للمسيح Monophysite
طوخ دلكة Tûkh Dalaka

(ع)

عقيدة الطبيعتين للمسيح Diphysisism
طائفة العراة Gymno sophists
عملية عماد السيد المسيح Baptism of Christ
عيد القيامة Easter

عيد أحد الشعانين Palm Sunday
عاموس Amos
عيد الميلاد Nativity
عيد البشارة Anunnciation
عيد أحد العنصرة Whitsunday

(غ)

الغنوسية Gnosticism
غرب الدلتا (اقليم) Aegyptus Jovia
غلاطية Galatia

الغنوسيون Gnostic
الغـال (فرنسا) Gaul
غاغرا Gangra
غبريال Ghabriel

(ف)

فارس Persia
فانيس Phanes
فينيقية Phoenicia
فيلينـا Philinna
فيلادلفوس (بطلميوس الثانى) Philadelphusl
فيلبى Philippi

فاليريان Valerian
فرومنتيوس Frumentarius
فالنتيان Valentinian
فيلة Philae
فدان Acre
فخار (للكتابة) Ostraca
الفرس Persians

الفرات	Euphrates
فيليب أرخيدايوس	Philip Archidaeus
فرجينا	Vergina
فاليروم	Phalerum
فالنتينوس	Valentinus
فيلومينوس	Philuminus
فالينز	Valens
فلابيانوس	Flavian
فيلون	Philo
الفيوم	Antinoe (crocodilepolis)

(ق)

قبط	Aiguptious
قورينة	Cyrene
قيصرون	Caesarion
قيافا	Caiaphas
قنسطنطين	Constantine
القسطنطينية	Constantinople
قنسطانس	Constans
القوط	Visigoths
دميان	Damian
قلاية (صومعة)	Cell
جبل القلزم	Clysma
القوصية	Quisa
قارون	Qarun
قدماء المصريين	Ancient Egyptians
قمبيز	Cambyses
قبرص	Cyprus
القسوس	Priests
قنسطنطين	Constantinus
قنسطنطيوس	Constantius
القبائل الجرمانية	German tribes
قزمان	Cosma
قورش	Cyrus
القلزم (الصحراء الشرقية)	Kuelzen
قسقام (جبل)	Qusqam
القلمون	al-Qalamun
قانا الجليل	Cana
القمص	Hegoumenos
قيصرية	Caesarea
القاهرة	Cairo

(ك)

كيليكية	Cilicia
كاليماخوس	Callimachus
كومودوس	Commodus
الكتاب المقدس	Holy Scriptures
كنيسة	Church
نساك معتزلون	Catachoi
كلودسيكارد	Claude Sicard
الكريمات	Kûraimât

Cyril	كيرلس	C. M. Kaufman	كوفمان
Canopus	كانوب	Kandahar	كاندهار
Casian	كاســـيان		
Georges Cogordan	كوجوردان	Crete	كريت
Kurzon	كيرزون	Caracalla	كاراكلا

(ل)

Leomedon	لوميدون	Tkeology	لاهوتيات
Lepidus	ليبدوس	Lydia	ليديا
Leonides	ليونيدس	Lagos	لاجوس
Licinius	ليسينيوس	Latin	اللاتينية (لغة الرومان)
Longinos	لونجينوس	Lucius	لوكيوس
Laisné	ليزني	Leo	لاون (بابا روما)
Lajarus	لعازر	Ludolph	ليودولف
Louvre Museum	اللوفر	Lourdes	لورد (قرية فرنسية)
Lucie Duff Gordon	لوسي داف جوردون	Lombards	اللومبارديون
		E. W. Lane	لين
Latin	اللاتين (مذهب ديني كاثوليكي)	Leo	ليو (امبراطور)
		Lybia	ليبيـا

(م)

The Would be converts	الموعوظون	Egypt	مصر
		Greek Immigrants	المهاجرون الاغريق
Maximinus	ماكسيميانوس	Marathon	ماراثون
Meletius	ميليتوس	Memphis	ممفيس
Edict	مرسوم	Mareotis	مريوط (بحيرة)
Matthew	متى (القديس)	Mithras	ميثراس أو ميثرا
Colchian	المقوقس	Messiah	المسـيا
Therapeutae	المعالجون		

(ن)

(هـ)

العصر الهلنستى	Hellenistic
هيلين	Helen
هوميروس	Homer
هيفايستيون	Hephaestion
هيكاتايوس	Hecataeus
هيرودس	Herod
هرقل	Heracles (Heracleus)
هينوتيكون	Henoticon
هليوبوليس	Heliopolis
هور	Hor
الهراطقة	Heretical
الهكسوس	Hyksos
الهلينية	Greek civilization (Hellenic)
هيرات	Herat
هيروفيلوس	Herophilus
الهند	India
هيلانة	Helena
هيباشا	Hypatia
هرميسداس	Hormisdas
هورسيس	Horsiese
هنتنجدون	Huntingdon
هوشع (سفر)	Hosea
هيروثيوس	Hierotheos

(و)

والدة الاله	Theotokos
ويلكنسون	Gardner Wilkinson
وادى النطرون	Wadi Natrun
ويصا	Besa
واخس (القديس)	Bacchus
وانسلبن	Wansleben

(ى)

اليهود	Jews
يورجتيس	Euergetes
يوليوس قيصر	Julius Caesar
يوسيفوس	Josephus
اليونانية (لغة اليونان)	Greek
ياروكلاس (البابا)	Heracles
يوحنا المعمدان	John the Baptist
يوحنا القصير (قديس)	John the Short
الهيروغليفية	Hieroglephic
يوليانوس	Julian
اليونان (بلاد)	Greece

يوريبيديس Euripides

اليهودية (ديانة) Judaism

يسوع الناصرى Jesus of Nazareth

يوسابيوس Eusebius

يعقوبى Jacobite

الهيراطيقية Hieratic

يعقوب Jacob

اليعاقبة السوريون Syrian Jacobites

صدر من هذه السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية

وليام بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية

ج.كارفون، تبسيط المفاهيم الهندسية

ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية

و. د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي المصور في المعادن والصخور والحفريات

حسام الدين زكريا، المعجم الشامل للموسيقى العالمية (ج١)

خيرية البشلاوى،معجم المصطلحات السينمائية

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر.

د.محمد نعمان جلال، حركة عدم الانحياز في عالم متغير

إريك موريس، آلان هو، الإرهاب

ممدوح عطية، البرنامج النووى الإسرائيلى

د. إينولر تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر

إزرا ف. فوجل، المعجزة اليابانية

د. السيد نصر الدين، إطلالات على الزمن الآتى

بول هاريسون، العالم الثالث غدا

مجموعة من العلماء، مبادرة الدفاع الاستراتيجى: حرب الفضاء

و. مونتجمرى وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر

مادى أونيمود، أفريقيا الطريق الآخر

فانس بكارد ، إنهم يصنعون البشر (٢ج)

مارتن فان كريفلد،حرب المستقبل

ألفين توفلر ، تحول السلطة (٢ج)

ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة

د.السيد أمين شلبي، جورج كينان

يوسف شرارة ، مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية

د. السيد عليوة، إدارة الصراعات الدولية

د. السيد عليوة، صنع القرار السياسى

جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب(٢ج)

إيمانويل هيمان، الأصولية اليهودية

أنجيلو كودفيللا، المخابرات وفن الحكم

آلان أنترمان، اليهود (عقائدهم الدينية وعباداتهم)

ثالثاً: العلوم والتكنولوجيا:

ميكائيل ألبى، الانقراض الكبير

فيرنر هيزنبرج، الجزء والكل: محاورات في مضمار الفيزياء الذرية

فريد هويل، البذور الكونية

وليام بينز، الهندسة الوراثية للجميع

د. جوردان دورشنر، الحياة في الكون كيف تنشأ وأين توجد

إسحق عظيموف، الشموس المتفجرة (أسرار السوبرنوفا)

روبرت لافور، البرمجة بلغة السى باستخدام تيربوسى (٢ج)

إدوارد إيه فايجينباوم، الجيل الخامس للحاسوب

د. محمود سرى طه، الكمبيوتر فى مجالات الحياة

د. مصطفى عنانى، الميكروكمبيوتر

ى. رادو نسكاياى ، الإلكترونيات والحياة الحديثة

جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول

إيفرى شاتزمان، كوننا المتعدد

فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء

كاتى ثير، تربية الدواجن

د.محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج

لارى جونيك ومارك هوبليس، الوراثة والهندسة الوراثية بالكاريكاتير

جينا كولانا، الطريق إلى دوللى

دور كاس ماكلينتوك، صور أفريقية: نظرة على حيوانات أفريقيا

إسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة

د.مصطفى محمود سليمان، الزلازل

بول دانيز، الدقائق الثلاث الأخيرة

ويليام هـ. ماثيوز، ما هى الجيولوجيا؟

إسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل

ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان

د. محمود سرى طه، الاتجاهات المعاصرة فى عالم الطاقة

بانش هوفمان، آينشتين

زافيلسكى ف. س.، الزمن وقياسه

ر .ج. فوربس، تاريخ العلم والتكنولوجيا (ج٢)

د.فاضل أحمد الطائى، أعلام العرب فى الكيمياء

رولاند جاكسون، الكيمياء فى خدمة الإنسان

إبراهيم القرصاوى، أجهزة تكييف الهواء

ديفيد الدرتون، تربية أسماك الزينة

أندريه سكوت، جوهر الطبيعة

إيجور إكيموشكين، الإيثولوجي

بارى باركر، السفر فى الزمان الكونى

ديمترى ترايفونوف، ظلال الكيمياء

بول ديفز، جونز جريبين، أسطورة المادة

جيفرى ماوسايف ماسون، حين تبكى الأفيال

ليونارد أ. كول، السلاح الحادى عشر

و. جراهام ريتشاردز، أسرار الكيمياء

د. زين العابدين متولى، وبالنجم هم يهتدون

رابعاً: الاقتصاد

ديفيد وليام ماكدوال، مجموعات النقود (صيانتها، تصنيفها، عرضها)

د. نورمان كلارك، الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

سامى عبد المعطى، التخطيط السياحى فى مصر

جابر الجزار، ماستريخت والاقتصاد المصرى

ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية الاقتصادية

فيكتور مورجان، تاريخ النقود

د. تشارلز سى مانز، إدارة الأعمال بلا مديرين

خامساً: مصر عبر العصور

محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء

فرانسوا ديماس، آلهة مصر

سيريل ألدريد، إخناتون

موريس بيرابو، صناع الخلود

بكـــف أ كتش، رمسيس الثانى. فرعون المجد والانتصار

ألن شورتر، الحياة اليومية فى مصر القديمة

ونفرد هولمز، كانت ملكة على مصر

جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ فى مصر

نفتالى لويس، مصر الرومانية

عبده مباشر، البحرية المصرية من محمد على للسادات (١٨٠٥ ـ ١٩٧٣)

د. السيد طه أبو سديرة، الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية

جابرييل باير، تاريخ ى فى الحديثة

عاصم محمد رزق، اكز الصناعة فى مصر الإسلامية

ت. ج. هـــ جيمز، كنوز الفراعنة

حسن كمال، الطب المصرى القديم

أ. أ. س. إدواردز، أهرام مصر

سومرز كلارك، الآثار القبطية فى وادى النيل

كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية

بيل شول وأدبنيت، القوة النفسية للأهرام

جيمس هنرى برستد، تاريخ مصر

د. بيارد دودج، الأزهر فى ألف عام

أ. سبنسر، الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة فى مصر (ج٢)

روز أليندم، الطفل المصرى القديم

ج. و. مكفرسون، الموالد فى مصر

جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية

سوزان راتييه، حتشبسوت

مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر

أولج فولكف، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة

د. محمد أنور شكرى، الفن المصرى القديم

ت.ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة

إيفان كونج، السحر والسحرة عند الفراعنة

تشارلز نيمس، طيبة (آثار الأقصر)

رندل كلارك، الرمز والأسطورة فى مصر القديمة

ديمترى ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية

محمد عبد الحميد بسيونى، بانوراما فرعونية

حمدى عثمان، هؤلاء حكموا مصر

جوزيف دلى، العمارة العربية فى مصر

ميكل ونتر، المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى

بربارة واترسون، أقباط مصر

إريك هورنونج، فكرة فى صورة

بيير جرانديه، رمسيس الثالث

سادساً: الكلاسيكيات

جاليليو جاليليه ، حوار حول النظامين الرئيسين للكون (ج٣)

وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (ج٣)

أبو القاسم الفردوسى ، الشاهنامة (ج٢)

إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها (ج٣)

ناصر خسرو علوى، سفر نامة

فيليب عطية، ترانيم زرادشت

جورج جاموف، بداية بلا نهاية

محمد كرد على، بين المدنية العربية والأوربية

سابعا: الفن التشكيلي والموسيقى

عزيز الشوان، الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

ألويز جرايتر، موتسارت

شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي

ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير

د.غبريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي

روبين جورج كولنجوود، مبادئ الفن

مارتن جك، يوهان سباستيان باخ

ميخائيل ستيجمان، فيفالدي

هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن

أدامز فيليب، دليل تنظيم المتاحف

حسام الدين زكريا، أنطون بروكنر

جيمس جينز، العلم والموسيقى

هوجو لا يختنتريت، الموسيقى والحضارة

محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع الأوركسترالي

د.صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

إدموندو سولمي، ليوناردو

سيوناليد ميري روبرتسون، الأشغال الفنية والثقافة المعاصرة

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان

س. م. بورا، التجربة اليونانية

جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام

أ. د. جرني، الحيثيون

ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين

ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية

آدم متز، الحضارة الإسلامية (٢ج)

جوزيف نيدهام، تاريخ العلم والحضارة في الصين

ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطية

سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية

تاسعا: التاريخ

جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى

هنري بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى

أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق

بول كولز، العثمانيون في أوربا

جوناثان ريلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

د. بركات أحمد، محمد واليهود

ستيفن أوزمنت، التاريخ من شتى جوانبه (٣ج)

و. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى

فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوربا الشرقية

د.ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية (٢ج)

نويل مالكوم، البوسنة

جاري. ب. ناش، الحمر والبيض والسود.

أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (٢ج)

آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

تاجاي متشيو، الثورة الإصلاحية في اليابان

محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية

د. إيرلر كريم الله، من هم التتار؟

ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية

آليان ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه (٢ج)

جوسيبي دي لونا، موسوليني

جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية

هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (٤ج)

هـ. سانت موس، ميلاد العصور الوسطى

يوهان هويزنجا، اضمحلال العصور الوسطى

هـ. ج. ويلز، موجز تاريخ العالم
لورد كرومر، الثورة العرابية
مونتجمري وات، محمد في مكة

عاشرا: الجغرافيا والرحلات

ت.و. فريمان، الجغرافيا في مائة عام
ليستردل راي، الأرض الغامضة
رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)
إميليا إدواردز، رحلة الألف ميل
رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)
رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (٣ج)
رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر
رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (٣ج)
يوميات رحلة فاسكو داجاما
س. هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا
إريك أكسيلون، أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا
وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (٣ج)

حادي عشر: الفلسفة وعلم النفس

جون بورز، الفلسفة وقضايا العصر (٣ج)
سوندراي، الفلسفة الجوهرية
جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الفريد
سدني هوك، التراث الغامض: ماركس والماركسيون
إدوارد دو بونو، التفكير المتجدد
رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحماقة
د.توماس أ. هاريس، التوافق النفسي: تحليل المعاملات الإنسانية
د. أنور عبد الملك، الشارع المصري والفكر
نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد
انطوني دي كرسبني، اعلام الفلسفة المعاصرة
جين وروبرت هاندلي، كيف تتخلصين من القلق؟
هـ. ج. كريل، الفكر الصيني
د. السيد نصر السيد، الحقيقة الرمادية
برتراند راسل، السلطة والفرد
مارجريت روز، ما بعد الحداثة
كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل
ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى
د. روجر ستروجان، هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال؟
إريك برن، الطب النفسي والتحليل النفسي
بيرتون بورتر، الحياة الكريمة (٢ج)
فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوربي الحديث (٤ج)
هنري برجسون، الضحك
أرنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية
و. مونتجمري وات، القضاء والقدر
إدوارد دي بونو، التفكير العملي

ثاني عشر: العلوم الاجتماعية

د.محيي الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
م. و ثرنج، ضمير المهندس
رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع
روي روبرتسون، الهيروين والإيدز
بيتر لوري، المخدرات حقائق نفسية
د.ليو بوسكاليا، الحب
برنسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين

بيتر ر داى، الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

بيل جيرهارت، تعليم المعوقين

أرنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة

رونالد د سمبسون، العلم والطلاب والمدارس

ثالث عشر: المسرح

لويس فارجاس ، المرشد إلى فن المسرح

برونو باشينسكى ، حقلة مانيكان

جلال العشري ، فكرة المسرح

جان بول سارتر ؛ جورج برناردشو ؛ جان أنوى مختارات من المسرح العالمى

د.عبد المعطى شعراوى ، المسرح المصرى المعاصر: أصله وبدايته

توماس ليبهارت، فن المايم والبانتومايم

زيجمونت هبنر ، جماليات فن الإخراج

أوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ج)

دان مكدونالد، مسرح الشارع

نك كاى، ما بعد الحداثية والفنون الأدائية

بيتر بروك، التفسير والتفكيك والإيديولوجية

أندريه فيليبيه، الممثل الكوميدى

لي ستراسبرج، تدريب الممثل

جلال جميل محمد، مفهوم الضوء والظلام فى العرض المسرحي

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف، وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء

د.جون شتلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب

م. هـ. كلج، التغذية فى البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام وقصص أخرى

ألدس هكسلى، نقطة مقابل نقطة

جول ويست، الرواية الحديثة : الإنجليزية والفرنسية

أنور المعداوى،على محمود طه: الشاعر والإنسان

جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصى

تاجور شين بن بنج وآخرون، مختارات من الآداب الآسيوية

محمود قاسم، الأدب العربى المكتوب بالفرنسية

جابرييل جارسيا ماركيز، الجنرال فى متاهة

سوريال عبد الملك، حديث النهر

د.رمسيس عوض، الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها

مختارات من الأدب اليابانى: الشعر، الدراما، الحكاية، القصة القصيرة

ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر

نادين جورديمر وآخرون، سقوط المطر وقصص أخرى

رالف ئى ماتلو، تولستوى

والتر ألن، الرواية الإنجليزية

هادى نعمان الهيتى، أدب الأطفال

مالكوم برادبرى، الرواية اليوم

لوريتو تود، مدخل إلى علم اللغة

د. جابرييل جارسيا ماركيز، سيمون بوليفار

ديلاسى أوليرى، الفكر العربى ومكانه فى التاريخ

د. على عبد الرءوف البمبى، مختارات من الشعر الإسبانى فى العصور الوسطى (ج١)

ب. إفور إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية
ج. س. فريزر، الكاتب الحديث وعالمه (٢ج)
جورج ستاينر، بين تولستوى ودستويفسكى (٢ج)
ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية
فيكتور برومبير، ستندال
فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى
يانكو لافرين، الرومانتيكية والواقعية
د.نعمة رحيم الغزاوى، أحمد حسن الزيات كاتبا وناقداً
ف.برميلوف، دستويفسكي
لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل البيليوجرافي:روائع الآداب العالمية (ج١)
محسن جاسم الموسوى، عصر الرواية : مقال من النوع الأدبى
هنرى باربوس، الجحيم
ميجيل دى ليبس، الفئران
روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي
يانيس ريتسوس، البعيد (مختارات شعرية)
ب. إفور ايفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزى
مخرى أبو السعود، فى الأدب المقارن
سليمان مظهر، أساطير من الشرق
ف.ع. أدينكوف، فن الأدب الروائى عند تولستوى
د. صفاء خلوصي، فن الترجمة
بالدوميرو ليلو وآخرون، قصص من أمريكا اللاتينية

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجير، الإعلام التطبيقى
بيير ألبير، الصحافة
هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومية فى السينما العربية
ج.دادلى أندرو، نظريات الفيلم الكبرى
روى آرمز ، لغة الصورة فى السينما المعاصرة
هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاورات)
جان لويس بورى وآخرون ، فى النقد السينمائى الفرنسي
محمود سامى عطا الله ، الفيلم التسجيلى
ستانلى جيه سولومون ، أنواع الفيلم الأمريكى
جوزيف وهارى فيلدمان، ديناميكية الفيلم
أندرى حفنى، الإنسان المصرى على الشاشة
مونى براح، السينما العربية من الخليج إلى المحيط
حسين حلمى المهندس، دراما الشاشة: بين النظرية والتطبيق للسينما والتليفزيون (٢ج)
إدوارد مرى، عن النقد السينمائى الأمريكى
جوزيف م. بوجز، فن الفرجة على الأفلام
سعيد شيمى، التصوير السينمائى تحت الماء
دوايت سوين ، كتابة السيناريو للسينما
هاشم النحاس، نجيب محفوظ على الشاشة
يوجين فال، فن كتابة السيناريو
دانييل أريخون، قواعد اللغة السينمائية
كريستيان ساليه ، السيناريو فى السينما الفرنسية
آلان كاسبيار، التذوق السينمائى
تونى بار ، التمثيل للسينما والتليفزيون
بيتر نيكولز ، السينما الخيالية
بول وارن، خفايا نظام النجم الأمريكى
دافيد كوك، تاريخ السينما الروائية

ثامن عشر: كتب غيرت الفكر الإنساني

سلسلة لتلخيص التراث الفكرى الإنسانى فى صورة عروض موجزة لأهم الكتب التى ساهمت فى تشكيل الفكر الإنسانى وتطوره مصحوبة بتراجم لمؤلفيه وقد صدر منها ٩ أجزاء.

تاسع عشر: الأعمال مختارة

يوهان هويزنجا، أعلام وأفكار

د.مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى

ت. كويلر يانج، الشرق الأدنى

جيمس نيومان، ميشيل ويلسون، رجال عاشوا للعلم

ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك

د محمد عوض محمد، نهر النيل

آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين

أوجست دييس، أفلاطون

يعقوب فام، البراجماتية

بلوطرخوس، العظماء

روبرت دبيو جراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣٢٥ / ٢٠٠٢

ISBN — 977 — 01 — 7809 — 8

يجمع هذا الكتاب كافة عناصر العصر القبطى: التاريخية، والأثرية، والاجتماعية والسياسية منذ العصر الإغريقى، ومؤلفته بربارة واترسون لديها قدرة نادرة على استخدام الإيجاز، مع الحرص على عناصر الموضوع فى دقة عجيبة. وتتنوع فصول الكتاب إلى حد كبير، بالرغم من طول الحقبة التاريخية التى يبدؤها الكتاب بالحديث عن الإسكندر الأكبر والصدام مع الفرس وتخطيط مدينة الإسكندرية وحروبه، ثم الأحداث السياسية التى أعقبت وفاته حتى آلت مصر إلى حكم البطالمة والرومان. وينتقل من ذلك إلى عرض وجهات نظر عديدة عن العصر القبطى، مع شرح وافٍ لدخول المسيحية مصر وأحوال المصريين فى كافة النواحى، ولاشك، أن الكتاب إضافة ذات عمق كبير إلى دراسة العصر القبطى.



٧٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب